

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية



خاص بالذكرى العاشرة لجلوس صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني على أريكة أسلافه الأمجاد

العدد الثالث
السنة الرابعة عشرة
ذو الحجة ومحرم 1391
فبراير ومارس 1971
ثمن العدد : درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فأكثر .
السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



لمعالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية
الأستاذ الحاج أحمد بركاش

عيـد العـرش

وعيـد الهجـرة

وموسم فصـل الربيـع

تلك أعياد سعيدة ، ومواسم حافلة ، ومهرجانات شائقة رائعة يستقبلهـا الشعب المغربـي النبيـل وهو يحتفل ، فى نشوة من الفـرح والغبطة ، والمسرة والابتهاج ، بعيد العرش السعيد ، ، وذكرى جلـوس العاهل الهمـام على عرش أسلافه الامجاد ، وأجداده المنعمين ...

وايام غرة طافحة بالبشر والصفاء يستفتح بها هذا الشعب الكريم صفحات بيضاء من صفحات الحياة تهديها سنتنا الهجرية الجديدة ، نامل ان نضيف اليها أمجادا ومآثر ومفاخر ، وأعمارا حافلـة بالحركـة والانتاج ، ونسجل فيها تاريخا مزدحما بالذكريات الكبرى ، والمناسبات السعيدة ، والايام الخالدة ...

وربيع باسم ، وجو طليق ، وطبيعة تغرق فى النعيـم ، وتفيـض بالبشـر والانس والحبور .. وقلوب تزخر بالعواطف ، وصدور تجيش بالأماني ، ونفوس تسبح فى مرح العافية ، وفيض من النعيم المقيم ...

صور رائعة وضيئة تتالق وتتراءى فى اطار مشرق جميل تالف من عيد العرش المجيد ، وعيد الهجرة المحمدية ، وموسم فصل الربيع الذى تتراقص على حواشيه الخضر عرائس المنى ، واطياف الحسن والجمال ...

ان عيد العرش السعيد الذى يحل كل عام فى الثالث من شهر مارس ، وفى مستهل فصل الربيع الذى جعله الله نشورا للحياة ، ومتاعا للحي ، ومعادا للفتوة والشباب ، ومبعثا للدفء والحب والصفاء ، وانتعاشا للاعشاش الناعمة المفردة التى تمتاز بالطهارة والفضارة والنضارة ، والبركة والانتاج ، ليشير الى هذه المعاني كلها ... فقد شاء الله ان يكون لهذه الامة ربيعا للقلوب ، ومظهرا للفرح ، ومهبطا للسرور ، ومصدرا للاخاء والود والابتهاج ، وفرصة ميمونة لتقوية الروابط ، وتاكيد العهد ، وتوثيق الصلات ، ومراجعة الاعمال ، ومحاسبة النفس ، وبراءة من التقصير ، وعزما أكيدا على الجد والمثابرة ، والصبر والمصابرة ، والانطلاق فى سبيل الحق والخير والجمال ..

* * *

انقضى عقد كامل ، ومرت عشر سنوات من أيام الله قضاها صاحب الجلالة والمهابة امير المومنين مولانا الحسن الثاني فى الكفاح والنضال ، والتشييد والبناء ، يسوس امة ، ذكية القلب ، يقظة الفؤاد بالصراحة والسماحة والحرية والعدل ، ويولد فى نفوسها وقلوبها معاني الانسانية والعدل والديمقراطية ...

فلقد اعطى حفظه الله لهذا الشعب الكريم الذى اخلد اليه بالثقة ، والقى فى يده المقاليد ، ذوب قلبه ، وعصارة تفكيره ، ونضارة وجوده ، وما زال – رعاه الله – وهو الوالد الحدب ، والاخ العطوف ، وموطن الرجاء ومعقل الامل ، يشفع نشاطا بنشاط ، ويبذل جهودا اثر جهود بدافع من نفسه ، وحافز من شعوره ، وباعث من وطنيته التي تملأ شعاب القلب بالاكبار والاعجاب ... همه ان يرى هذا الشعب سعيدا كريما يعيش فى حرية مهذبة الاطراف ، منمنمة الحواشي مامونة من الترف والسفه والميع فى مغرب حر كريم ، صريح الاستقلال ، موفور الكرامة، قوي الدعائم ، رفيع الذرى ، شامخ الاركان ، تضوع فى ابهائه نفحة الاسلام ، وتخفق فى جنباته الرايات والاعلام .

* * *

وانها لمناسبة سعيدة يستقبلها الشعب المغربي، وهو يحتفل بالذكرى العاشرة لجلوس عاهله العظيم على عرش اسلافه الامجاد ، والعالم الاسلامي من اقصاه الى أقصاه يحتفل هو ايضا بحلول العام الجديد من السنة الهجرية التى كانت حركتها فتحا مبينا فى صدر الاسلام ، وقاعدة انطلاق التاريخ ، ونقطة تحوله، وأصل تقدمه وامتداده لما لها من صدى عميق فى اوساط الانسانية ، واثر بالغ فى تاريخ البشرية ، غير وجه الحياة العتيقة البالية ، وقلب نظام المعيشة الفاسدة، ودفع بعجلة الانسانية نحو التقدم والرخاء والازدهار ...

والامة المغربية المسلمة المومنة التى تحتفل فى اهتبال عظيم ، ونشوة غامرة ، وحماسة دافقة وشعور واثق مطمئن بعيد العرش السعيد ، يسعدها ان تستقبل عاما هجريا جديدا يجدد فى اذهانها ما طمس من معاني الايثار والاخاء والمروءة والفداء ، فتتداعى الى قلوبها وخواطرها أيام حامية بالجهاد ، دامية بالضحايا ، ومواقف خالدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ، وتستلهم من وحي تلك الذكرى روح التضحية والفداء ، وبذل النفس والنفيس لنشر دعوة الاسلام ، وحماية دياره من كيد الظالمين ، وعنت المعتدين ...

كانت الهجرة المحمدية ، التى جمعت بين روعة الكفاح والفداء ، وعظيم الاثر وخطير اللقاء ، أعظم حادث فذ فى تاريخ الاسلام ، ومنطلق القيم الخالدة لدى الانسانية جمعاء ، ومثلا عظيما من أمثلة الدفاع عن الحرية والكرامة ..

انها عيد الانسانية الاكبر .. وعيد التضحية والفداء .. وعيد الاخاء والمساواة والمثل الرفيعة فى حياة الناس ...

واذا كانت الهجرة أتعابا شاقة ، وجهودا مضنية ، واستئنافا لجهاد قام به الرسول عليه السلام لتحويل العرب عن وثنيتهم المشركة ، وجاهليتهم الخرقاء ، وعبوديتهم الذليلة الى حياة العز والسلام ، فأحيى امة ، وأيقظ شعبا سارت مواكبه عبر الاجيال . ومدى القرون تحمل المشعل الوحيد الذى يضيء الطريق فى دروب الحياة ... فان الحياة اليوم جهاد ... ومعركة ونضال ... وهجرة من التخلف الى التقدم والنماء ، ورصد للمكنات الامة وكفايتها لدفع الفقر ، وطرد الجهل ، ومعالجة المرض ، وحماية الشباب الذى يلقى فى هذه الحياة فتنة العقائد المريضة ، والمذاهب الواغلة التى تقدم اليه ملفوفة فى تيارات منحرفة أفسدت عقله ، وبلدت حسه ، وحملت اليه السم الزعاف ، والبلاء المبين ...

لقد كان ملوكنا العلويون ، أكرم الله مثواهم ، وبرد بالرحمة ثراهم لا يدعون فرصة تمر دون ان يغتنموها لتوجيه امتهم الى ما فيه صلاحها وفلاحها ، وخيرها واسعادها

ففى بداية السنة الهجرية لعام ثلاثمائة والف ، وجه امير المومنين المولى الحسن الاول الذى جبر الله به صدع الدين ، ولم شعث المسلمين ، وأخمد شهاب الباطل وأنار سبيل الحق المبين ، رسالة جامعة الى معاشر اهل الاسلام اشتملت على كثير من المواعظ الحسنة ، والاوامر المطاعة ، والنواهي الزاجرة ، والنصائح الغالية لجميع بلاد المغرب .

وهي رسالة تجديدية بالمفهوم الصحيح لكلمة التجديد أرسلها مولانا الحسن الاول منذ تسعين سنة الى عموم المسلمين فى كل مكان ، وهي طويلة جدا ، نستأنس هنا ببعض فقرات منها ... فقد ختمها رضي الله عنه بقوله :

« ... وقد ظهر فى الناس من المخالفة لامر الله واتيان ما حرم الله والتفريط فى جنب الله والاعراض عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخشى معه من حلول عقاب الله ونقمته ، لولا حلمه وعفوه ، وسابق رحمته . قال تعالى «ولو يواخذ الله الناس بظلمهم» .. الآية . نطلب الله أن يلهمنا والمسلمين لما يوجب رضوانه ، ويرشدنا لما يجلب امانه وغفرانه ، فان هذه الدار قنطرة الى الاخرة ، وسبيل لمن وفقه الله الى الوصول للمنازل الفاخرة ، والسعيد كل السعيد من استعمله الله فى أعمال صالحة ، وألهمه الى اتباع سنة رسوله التي هي المتاجر الرابحة ، فخاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، وتزود من تقوى الله ، وخير الزاد التقوى ، وقدم ما ينفعه من هذه الدار للاخرى ، وذكر فنفعته الذكرى ، فينبغي تكرير الوعظ والتذكير ، والتنبيه والتحذير ، ليلا تقسو القلوب ، بتوالي الذنوب ، « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وفى الحديث عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا ، ويجب الرجوع الى الله بالتوبة والاستغفار ، وتجديد نية الاخلاص ونفي الاصرار . والعمل بالسنة هو السبيل

الموصل الى رضوان الله فالزموها ، واجتنبوا البدع والمنهيات واحذروها ، ففي الحديث : ((عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة)) فيتأكد على كل من ولاه الله تعالى أمرا أن ينظر لرعيته . ويعمل على اخلاص عمله وتصحيح نيته . ويرشدهم الى ما ينفعهم دنيا واخرى ، ويحملهم على ما يقربهم الى الله زلفى ، قال الله سبحانه : ((وذكر فان الذكرى تنفع المومنين)) وقال ((ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ((، وذلك بعد أن يعمل العامل بطاعة ربه ، ويجعل سعيه فيما يوجب الفوز بقربه . فانه لا ينفع الوعظ فى ابناء جنسه ، الا بعد تطهير نفسه . فليبدأ العامل بنفسه فيصرفها عن هواها ، ويامرها بما يامر به سواها . ولا يكن ممن يدعو الى طريق البر وهو قد حاد عنه وخرج ، وانتصب لمعالجة غيره وهو الى من يعالجه أحوج . اذ بصلاح الولاة تصلح الرعية ، وتستقيم احوالها فى السر والعلانية ..))

كلمات حية صافية ، وتوجيهات سامية مضيئة اعتادت الامة المغربية ان تتلقاها بالقبول الحسن من ملوكنا العظام الذين عقلوا جهودهم للحفاظ على تربية هذا الشعب ، وارصدوا الاهب لتوجيهه وتثقيفه كلما صادفتهم مناسبة من المناسبات الاسلامية او الوطنية والقومية ..

وقد الفنا من مولانا صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني نصره الله وأيده ان يصدع بالنصح المحض والتوجيه الحسن فى ظلال الحكم الصالح ، والديمقراطية الواعية ، وجمال العدل والنصفة والمساواة كلما دعا داع الى ذلك ...

وتلك نفحة قدسية من نفحات مولانا محمد الخامس تغمده الله برحمته ، وثمرة كريمة من غرس يمينه ، وتربية من بطل عظيم له مواقف اولي العزم من الرسل فى الذياذ عن كرامة الوطن ، واستقلال البلاد ، وتحرير المواطنين ...

وما الخطاب السامي الذى وجهه صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني الى اصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول الشقيقة والصديقة بشأن توتر الحالة فى بلدان الشرق الاوسط يدعو فيه حفظه الله الى تضافر جهود الدول المحبة للسلام من أجل تحقيق حل عادل ودائم لازمة الشرق الاوسط الا مبادرة حميدة ومواقف حاسمة ترمي الى تحقيق انسحاب القوات الاسرائيلية التى شنت حربا عوانا في صراحة ووقاحة ضد اخواننا الفلسطينيين الذين يكابدون برحاء الاحزان والاشجان ، ومرارة الظلم والعناد والطغيان ، وتهديم الاماكن المقدسة التى تعتبر قبلة الاسلام ، ومهد الانبياء ، ومسرى الرسول عليه السلام .

* * *

وان البلاد المغربية المسلمة المومنة التى حظيت بملك عظيم ، وحباها الله بطلا فذا ، واماما مجاهدا يذيب روحه فى سبيل انشاء امته ، واذكاء نهضتها ، واحكام الصلة وتوثيق العرى بين افرادها ، لجديرة بان تختال مزهوة فى هذه الايام السعيدة ، والاعياد المجيدة الخالدة التى تعيشها الامة فى سلسلة من المهرجانات والحفلات التى تتوج جهود مولانا الامام، وتكلل بغار الظفر والنصر أعماله العظام ، حيث الخير عميم ، والشمل جميع ، والقلوب مؤتلفة ، فى ظله الرخي الوارف .

فيا سيد البلاد ، ويا حامي حمى الوطن والملة .. حفظ الله زمانا أطلعك ..

وحفظك فى ولي عهدك المحبوب الامير الجليل سيدي محمد وباقي الامراء والاميرات والاسرة العلوية الشريفة وشعبكم العظيم ...





في مقابلة كريمة مع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، بمناسبة عيد المولد الشريف ، ضمت عدة اعضاء من رابطة العلماء ، وجرت بمشور القصر الملكي في مدينة تطوان التي اقيم الاحتفال الرسمي بالمولد النبوي فيها تلك السنة ، تدفق حديث العاهل الكريم ، كالعادة ، مشيرا الى الاعمال الكبرى التي انجزت وتنجز في سبيل النهوض بالتعليم والفلاحة، والتجهيز الصحي والتنمية الاقتصادية . وتنظيم القضاء وتقوية الدفاع الوطني ، وتكوين الاطارات اللازمة لكل مصالح الدولة وما الى ذلك ، وقال جلالته : وبما ان الحسن عدو الاحسن ، وانه لا حد للفضيلة ولا نهاية للكمال ، فانا مصممون على المضي قدما في سبيل تقدم المغرب ورفاهيته ، ولا نبلغ غاية من ذلك الا تطلعنا لغاية ابعد ، وتعلقت همتنا بما هو اسمى .

ودعا جلالته الى تضافر الجهود ومواصلة العمل لتحقيق الاهداف والاماني الوطنية التي يؤمن بها المغاربة كلهم ، وتلتقي ارادتهم الفعالة على صعيد تحقيقها وانجازها .

وفي جواب الرابطة على كلمته الجامعة ، بعد التهنئة بالعيد طبعا ، وقع التعبير عن الايمان العميق بمساعي جلالته ومشاريعه من اجل تطور المغرب ، ولحاقه بركب الشعوب الراقية ، والتاكيد على سير الشعب من ورائه ، ومبادرته الى تنفيذ خططه الاصلاحية التي انما ترمى لنموه وازدهاره . ثم الم الجواب الى الاقتناع بحسن جلالته وعدم التشوف الى الاحسن ، علما بان الحسن صفة مشبهة ، وهي تقتضي الثبات والدوام ، ولا كذلك الاحسن ، ومع الثبات والدوام يتحقق كل مطلوب ، وينال كل مرغوب !..

ولئن كان القصد من هذا الجواب البديهي ، هو التلميح الى اسم جلالة الملك ، واستشعار ما يقوله النحاة في الصفة المشبهة ، فرقا بينها وبين بقية الصفات ، ومنها اسم التفضيل ، وقد استنفد غرضه في تلك الساعة ، وحصل على استحسان الجميع ، فان الايام قد اظهرت صوابه ومطابقته لمقتضى الحال، واكدت احقيته وصدقه بما ليس للشك فيه مجال .

ذلك ان العبرة بالاعمال لا بالاقوال ، وبالحقائق الثابتة لا بالشعارات الفارغة ، فقد نهض المغرب في عهد الحسن الثاني من المشاريع العمرانية والاقتصادية الشيء الكثير ، وانجز في ميدان الفلاحة والصناعة تقدما كبيرا ، وخطا خطوات واسعة في سبيل التطور الاجتماعي ، وصار له في مجال السياسة الدولية مقام واعتبار .. وليس السبب في ذلك الا نظرته الواقعية للامور ، وسلوكه نهجا وسطا بين اليمين واليسار ، وانصرافه الى معركة بناء الاستقلال ، على اساس المبادىء الثابتة ، النابعة من عناصر الحياة النفسية والذاتية ، للشعب المغربي المسلم ، من غير اغترار بالافكار المستوردة ، ولا اندفاع مع المذاهب الهدامة .

فهو الآن قد بنى من القرى النموذجية مايشهده الجميع ، وشيد من المجموعات السكنية الشعبية ما يبشر بقرب القضاء على مدن القصدير ، وشق العديد من الطرق الجديدة ، واعاد ترميم الكثير من الطرق القديمة ، واقام ويقيم من السدود ما سوف يجعله متحكما فى مياه انهاره ، متوفرا على وسائل ري عصرية ، تضمن له تحقيق مشروع المليون من الهكتارات المسقية .. وهو الى ذلك قد حقق نموا اقتصاديا كبيرا بحيث اصبحت ميزانيته السنوية تعد بالمئات من الملايير . وفى حقل الفلاحة فضلا عما ذكر آنفاء قد اغرق الاسواق الخارجية بمنتوجاته من الحوامض والبواكر وزيت الزيتون وغيرها واستغنى عما كان يستورده من ذلك . وفى قطاع الصناعة التقليدية والحديثة قد قطع مراحل هامة نحو التصنيع الكامل ، فطور صناعته القديمة وضمن لها الرواج فى الداخل والخارج ، وانشا من الصناعات الحديثة ما حقق له الاكتفاء الذاتي فى كثير من المصنوعات ، واهمها النسيج بجميع اصنافه من صوف وقطن وكتان وحرير ، وهو الذى كان يستنزف من ميزانية المواطنين قدرا كبيرا ، فصار الآن يكفي مطالبهم ويصدر ما يفضل منه الى الخارج. وصناعة السمك المعلب يقف المغرب اليوم فى الصف الاول بين البلاد ومثلها بقية المصبرات وقل فى الصناعات الاخرى من الزجاج واللدائن والاليمينيوم وما اليها مثل ذلك. وكذا تركيب عدد من انواع السيارات والشاحنات واجهزة الراديو والتلفزيون وقطع الغيار والادوات الكهربائية وغير ذلك مما يطول ذكره . ولا حاجة الى التنويه بمركب آسفي الفوسفاط ومعامل السكر التى تدلف شيئا فشيئا الى سد حاجة البلاد من هذه المادة المستهلكة عندنا بكثرة، فالجميع يعرف ذلك . وما وقع نتيجة لما ذكر من التطور الشامل فى جميع المرافق الاجتماعية والخدمات العامة كالتعليم والصحة ورفع مستوى المعيشة للعامل والصانع والفلاح وانشاء صندوق الضمان الاجتماعي ورعاية الطفولة والمكفوفين وذوي العاهات وغيرهم ، كله معلوم يلمس آثاره عموم الناس . ان ما نريد ان نصل اليه من هذا الاستعراض السريع ، هو بيان ان العمل بجد واخلاص ، والعمل الدائب المستمر ، يحقق المعجزات ويذلل العقبات ، والذين يظنون انه لا تطور ولا نهوض لهذا الشعب الا بالانسلاخ من ذاتيته الخاصة ، والتنكر لماضيه العريق بما فيه من عقيدة وسلوك ، لعلهم لو اتيح لهم ان يدبروا امره ويتصرفوا فى شؤونه ، بعقليتهم هذه ، لاوقفوا به على الهاوية ، وتركوه يتخبط فى مشاكل لا مخلص له منها .

فكم من بلاد نعرفها قد وقعت بين ايدي متحكمين من هذا القبيل ، وملات الدنيا دعاية وصخبا وتنويها بالشعارات والمزاعم ، وتصرفت تصرفات شائنة بالنسبة الى ابنائها واخوانها ، قصد القضاء على المعارضة الداخلية والخارجية ، واستهوت الكثير منا ومن غيرنا ، حتى صارت مضرب الامثال فى التقدمية والثورة ، فماذا كان حصادها بعد سنين من التجارب القاسية ، غير بلبلة الافكار وتفكك عرى الوحدة القومية ، ثم التراجع فى كثير من المقررات ، ومحاولة اصلاح الاخطاء ، ان كان ذلك مما ينفع .

ولست ازعم اننا حللنا جميع المشاكل ، واستوينا على الخصل فى معركة التنمية ، فهناك قضايا هامة ما زلنا لم نوفق فيها الى سلوك السبيل الاقوم ، ومنها قضية التعليم والسياسة العامة التي ينبغي اتباعها فيه ، ومن الانصاف ان نقول ان الفشل الذي لقيته هذه القضية متسبب من التخطيط الاول والمبادىء التى بني عليها ، كمبدا التعليم الذى وان كا حقا ، الا انه لم تتخذ له الاهبة من اول يوم ، وكمبدا التوحيد الذى فهم مقلوبا فانصرفت كل الجهود الى تصفية التعليم الديني رغبة فى التوحيد كما زعموا ، وترك تعليم البعثات الاجنبية والجالية الاسرائيلية على ما هو عليه ، وكمبدا التعريب الذى لم ينل ما يجب من الاهتمام به ، فبقيت الازدواجية كما كانت قبل الاستقلال .. ولكن مهما يكن من امر ، فان هذه القضايا سوف تجد الحلول المرغوبة طال الزمن ام قصر .

وانما علينا ان نسير على النهج الواضح ، وبتثبت تام ، ودأب واستمرار ، وان نعرف ان الحسن هو الاحسن ، اذا اخذ بجد وصبر وعزيمة ، كما يفعل جلالة الملك الحسن الثاني ، من غير التفات الى ما عداه من المغريات المغويات . والله الموفق .

طنجة ـ عبد الله كنون

لقاء بين العرش والشعب

للأستاذ الرحالي الفاروقي

من السنن القائمة والعادات الجارية في هذه المملكة الشريفة تنظيم لقاء رسمي بين العرش والشعب في مبتدأ شهر مارس من كل سنة وشعار هذا اللقاء ، عيد العرش ، فيتبادلان فيه التحية والاخلاص بوجه عام وليس بوجه خاص — ويظهر الشعب باقامة احتفالات واسعة النطاق تعبر عن الصفاء والولاء ، والحمد والثناء ، ويقوم العرش بشرح السياسة العامة وتوضيح مراميها ، وعرض آثارها في الداخل والخارج ليكون الشعب على بينة مما يروج في داخله من انجازات واستثمارات — وعلى بصيرة مما يجري في خارجه من اتجاهات واتصالات، وبذلك يتبين وجه التقدم في دواليب الدولة واجهزتها — ويتلمس سر السياسة في مقدماتها ونتائجها .

ومثل هذا اللقاء الذي يتخلله اعتراف الشعب بفضل العرش واعتراف العرش بحق الشعب يعتبر شعورا بواجب المسؤولية ، واحساسا بخلق « الديمقراطية »

وحياة تقوم على هذا الاطار وتنهج هذا المنهاج فتعرب من حين لآخر عن تبادل المشاعر وتجاوب الضمائر — وتكافيء المعروف بالمعروف،وتشرح الاحوال والظروف ، لا تزيدها الايام الا تعميقا لجذور الوحدة وتمكينا من التغلب على العسرة ، وذلك ما ينبيء عن حكمة القيادة ، ورشد السياسة ، ويكشف عن الدقة والمهارة في تصريف الشؤون العامة ، وتخطيط النظم الهامة ، ولاسيما النظام التقني الذي يلوح بمعالم النهضة ، ويحاول ايجاد الشواهد على مدى نمو المرافق الحيوية ، والميادين الضرورية، كالفلاحة والسياحة والابحاث الجيولوجية ، وما الى ذلك من موارد الثروة الطبيعية .

وان ما يعترض حياة المغرب القائمة على الوضع العربي والنظام الاسلامي من مشاكل اوحت بها طبيعة النظام الجديد ، وارادة التحول والتطور ، لا تحول الوجوه عن قبلتها الاولى اذا كان ذلك يرجع الى الشكل والصورة لا الى الذات والجوهر — وما دام المغرب يقوده مومن مسلم كالحسن الثاني يحتفظ بشخصيته وعقيدته ، ويحس بمقوماته ومميزاته فانه سيظل ان شاء الله قائما على جادة الطريق وان كانت هناك نوازع سياسية وجواذب اقتصادية وافكار ثورية قد لا تترك الاختيار للنظام الاصيل والتاريخ الطويل المستمد من طبيعة البلد وشريعته وحاجاته .

والقوانين والتشريعات ايا كانت لا تنبع الا من هذه العناصر الذاتية والمواد الاساسية — الا اننا لا ننكر ان الكائنات من لفات وحاجات قد تتجاوب فيما بينها وتتعاون مع بعضها بعضا ، وهذا التجاوب والتعاون لا يعني الاستسلام والانهزام امام الكائنات الاجنبية ، ونحن لا نمانع في التعاون بين الكائنات

اذا آمنا بشخصيتنا ، ووثقنا بحضارتنا ، وصنعنا عقولا ترفع من مكانتنا وصمدنا في وجه الضغط والقوة وبقينا اقوياء اشداء لا نتصرع ولا نتضرع كما انه لا يمنعنا مانع ان نسير بعقيدتنا مع غيرنا اذا كان يحترم شعورنا واستقلالنا ولا يستضعف وجودنا وعقولنا .

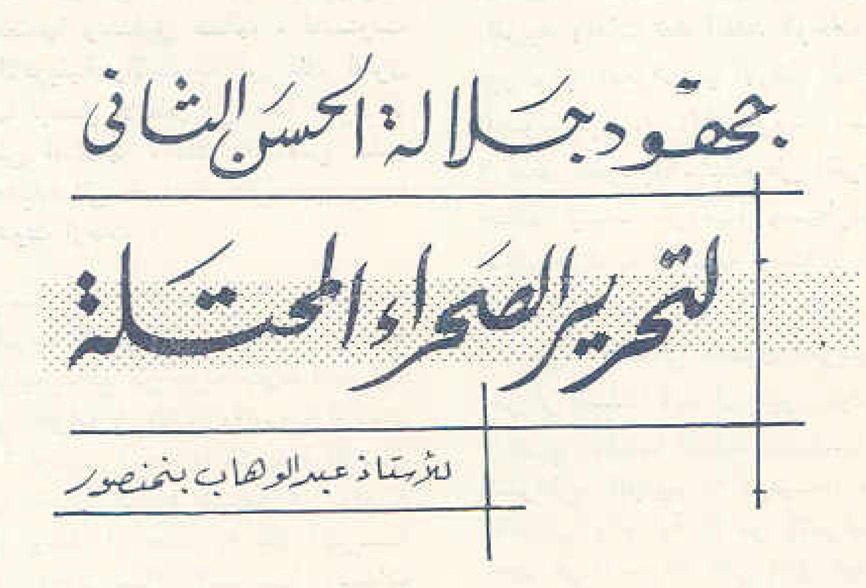
وحقا ان نبوغ العرش العلوي الذى ما فتىء يعمل بقوة وشجاعة لصالح الوطن واسعاد الشعب في شتى الميادين ـ استطاع ان يحاول الجمع بين الحسنيين ، والتوفيق بين الحضارتين ، فهو يواكب ركب الحضارة الحاضرة ، وفى ذات الوقت يراقب الحضارة التى تشكل ارتباط التاريخ بعضه ببعض حتى لا تتشتى مقوماتها ولا تمس مبادئها فجلالة الحسن الثاني بعبقريته وفلسفته يجمع بين المقامات ويعرف كيف يستفيد من الحضارات ، وهي مبدئيا لا تختلف في المحاسن والاصول بل من شانها ان يلقح بعضها بعضا ، واياما يكون فلا غنى للانسان عن رياضة روحية وفكرية ومادية ، ولا كمال له الا بوجود هذه الرياضات كلها ، وتعاونها على الحياة باسرها ، وذلك ما يسخر له عاهل البلاد نفوذه ويصرف فيه جهوده ـ ولذلك كان من النظر السديد ان لا يخرج التعليم الديني عن اصله ، وان لا يصير الى قراره ومستقره .

اذ لا يغيب عن الاذهان أن اول مظهر من مظاهر التقدم والسيادة يتجلى فى العناية بمراحل التربية والتعليم ورعاية شؤونهما والعمل على تنميتهما ـ ذلك ان الانسان مدني بطبعه لا يمكنه ان يعيش الا مع غيره ، والله اخرجه من بطن امه لا يعلم شيئا عن حياته ، ثم علمه بلسان قومه ، ويسر له ان يكتسب التربية من منابعها ، وان يتعاطى المعرفة ويأتي البيوت من ابوابها ، فكانت التربية لذلك اساسا ومفتاحا لكل تفاهم وكل تعاون ـ فانسانية المرء تساعده في اغلب الاحيان على انجاز مسؤولياته، وتحقق له انجاح معاملاته .

ووحشيته ورداءة طقسه قد تعرقل اعماله وتخيب مساعيه ، وكذلك المعرفة هي اصل كل مصلحة وكل معجزة فى الارض او فى السماء ، ومن ثم كان الاسلام يقدس العلم باطلاق ويرعاه على العموم ـ والعلوم الطبيعية التى كان يتحاماها المسلمون من قبل هي من العوامل التى اخرتهم وجعلتهم يعيشون على الهامش ـ والحق ان العلم شيء والعقيدة شيء فقد يعلم الانسان الشيء ولا يعتقده كما نعلم ما تؤديه هذه العلوم فى هذا العصر ومع ذلك فلا يعتقد مسلم انها فاعلة بذاتها بل باذن الله كما قال فى الريح المدمرة « تدمر كل شيء بأمر ربها » واخذ هذه العلوم تدريجيا باللغة القومية اجدى وانفع اذ تزيد فى التربية وقوة الشخصية، وتحافظ على العقائد والتقاليد كما هي اينما انطلقت وقد تبلغ الى العمق وتاخذ بناصية الاشياء ، وفى هذا ما يفتح ابواب المعرفة ، وءافاق الحضارة ويجمع بين سياسة الدين والدنيا ، وذلك قول الشاعر العربي :

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا
واقبح الكفر والافلاس فى الرجل

الرحالي الفاروق



لم تبل خلال عصور التاريخ الا امم قليلة بمثل ما ابتليت به الامة المغربية من تفريق لوحدة اراضيها وجحود لسيادتها على اقاليمها ، فطيلة القرون الستة الاخيرة لم تفتأ الدول الاوربية تتطاول عليها وتمد اليها عين اطماعها ، وتسعى جاهدة لاحتلال أوطانها واستعباد سكانها والاستئثار دونهم بخيراتها ، تفعل ذلك تارة بدافع نصراني تعصبي واخرى بحافز استعماري تعسفي .

ففي مطلع القرن الخامس عشر وقبل سقوط غرناطة المسلمة بكثير دشن البرتغاليون عملية احتلال الشواطىء المغربية بالاستيلاء على مدينة سبتة (1415 م) ، ثم عقدوا ثلاث معاهدات مع الاسبانيين (1) حددوا بها مناطق النفوذ في اقطار المغرب العربي كافة ، فاتفقوا على ان تكون الاراضي الواقعة الى الشرق من بادس من حظ اسبانيا ، والاراضي الواقعة الى الغرب منها على مضيق جبل طارق و الى الجنوب على المحيط الاطلسي من حظ البرتغال ، ومنذ ابرام هذه المعاهدة نشطت اسبانيا لغزو القسم الذي ينوبها فوصلت في فتوحها الى طرابلس مارة بمليلية ووهران وحجرة الجزائر وتونس وجربة ، ونشطت البرتغال لغزو القسم الذي يخصها فسارت في فتوحها غربا وجنوبا حتى تجاوزت شواطىء المغرب الى ما وراءها من شواطىء السودان ، ولم يسلم من احتلالها الا قليل من المراسي المغربية كالرباط وسلا ، ولكن الشعب المغربي عرف كيف يكر على المحتلين في عهد الدولة السعدية والدولة العلوية رغم الفوضى السياسية التي كان يتخبط فيها والتخلف المادي الذي كان يعانيه ، ويجليهم عن كلا شاطئيه المتوسطي والاطلسي حتى لم يبق منهم بهما الا بقية بسبتة ومليلية وجزيرتي نكور وبادس الصغيرتين

ولكن الروح الاستعمارية عادت الى الظهور على اشدها في القرن الماضي ، واندفعت الدول الاوربية بسبب تقدمها الصناعي ونموها الديموغرافي تبحث لنفسها عن مجالات للتوسع خارج حدودها بغية تصريف منتجاتها وتهجير الفائض من سكانها

(1) عقد الاتفاق الاول سنة 1479 وهو المعروف باتفاق الكوسوباس الذي يعترف لاسبانيا بحق احتلال ارخبيل كناريا وللبرتكال بحق احتلال مملكة فاس وغينيا وعقد الاتفاق الثاني سنة 1494 باشراف البابا اليكساندر السادس وتحت ظل صليبه وقد حددت في هذا الاتفاق مناطق احتلال اسبانيا والبرتغال في العالم كله ، وعقد الاتفاق الثالث سنة 1509 وهو المعروف باتفاق سينترا الذي يخول للبرتكال حق احتلال الشواطىء الواقعة غربي مرسى بادس بريف المغرب الاقصى ويخول لاسبانيا حق احتلال باديس وما وراءها شرقا .

والاستحواذ على مصادر المواد الخام الضرورية لسير مصانعها ومعاملها وتشغيل عمالها ، فاستولت على جل الاقطار الافريقية والآسيوية في ذلك القرن ولم يتأخر احتلالها لبعض الاقطار الى هذا القرن الا بسبب تنافسها على امتلاكها ، ذلك التنافس الذي كاد يؤدي مرات عديدة الى حدوث حروب بينها بعدما ادى الى حدوث ازمات .

ودشنت فرنسا عملية الفتوح الاستعمارية بالنسبة لاقطار المغرب العربي بغزو الجزائر سنة 1830 ولما قام المغرب يدافع عن حرية جارته الشرقية ويمد يد العون الى اخوانه في الدين والقومية ارسلت اليه جيشا مجهزا تجهيزا عصريا بقيادة المرشال بيجو اكبر ضباطها فكبده هزيمة شنيعة في وقعة يسلي سنة 1844 ومنذ ان حلت به تلك الهزيمة التي اذهبت هيبته تحرك ساكن اسبانيا وبدات تقلب وجه مطامعها فيه وترى انها احق من فرنسا بامتلاكه والتحكم في سكانه والاستغناء بخيراته نظرا لقربها الجغرافي منه ووجود مراكز لها على شاطئه تعسكر بها حامياتها وترفرف عليها راياتها منذ ثلاثة قرون ، فسارعت الى احتلال جزائر ملوية Los Chafarinas سنة 1847 ثم تعمدت سنة 1859 خلق ازمة بينها وبين المغرب بسبب حادث عادي وقع بضواحي سبتة بين حراسها والحراس المغاربة ، فاعلنت عليه الحرب واحتلت تطوان سنة 1860 ولم تجل عنها الا بعدما اكرهته على تنازلات ترابية بالشمال والجنوب واداء غرامة حربية كبيرة بالاضافة الى عدد من الشروط الاخرى المهينة .

واستمرت فرنسا توسع آفاق احتلالها بالجزائر وفق مخطط محكم ومبيتات معلوم ؛ وكان توسعها يتم في غالب الاحيان على حساب المغرب ؛ فكانت جيوشها تقتطع كل سنة اجزاء من اقاليمه الشرقية او تتوغل في صحرائه الشاسعة التي كانت تتصل شرقا بحدود املاك الدولة العثمانية بطرابلس وجنوبا بنهر السنغال ، وكلما كسبت تلك الجيوش مكسبا او نالت من ارض المغرب نيلا تاججت نيران الغيرة في اسبانيا وقويت مطالبة ساستها المدنيين وقادتها العسكريين بالقيام بعمل مماثل فيه قبل فوت الاوان ، وفي عشر الثمانينات لما رسمت فرنسا مخططها لاحتلال اقاليم توات وتيديكلت وشنكيط المغربية وبدات تعد العدد للزحف عليها من الشرق عبر تراب الجزائر او الارض المغربية الملحقة بها ومن الجنوب عبر السنكال قررت اسبانيا من جهتها ان لا تدعها تنفرد بالاستيلاء على المغرب ورسمت بدورها خطتها لبسط نفوذها وسيطرتها على الاراضي المجاورة لمليلية وسبتة وامتلاك الشاطيء المغربي المسامت لجزائر كناريا ، ولما كان القيام بعمل في الشاطيء الشمالي الماهول القريب من عواصم الملك ومراكز السلطة لابد ان يثير ردود فعل محلية ودولية لا تدري عاقبتها فضلت اسبانيا البدء باحتلال الشواطيء الجنوبية البعيدة عن قواعد الحكم والجيش والخالية الا من الاعراب الذين ينتجعونها بابلهم في السنوات التي ينزل فيها المطر وينمو الكلأ ، وهكذا انشات سنة 1881 بفرضة وادي الذهب Rio de Oro وبالراس الابيض Cabo Blanco محطات ومخازن ذات مظهر تجاري بعضها تابع لشركة الصيد الكنارية الافريقية وبعضها للشركة التجارية الاسبانية الافريقية ، وفي سنة 1884 انزلت جنودها لاول مرة امام مرسى الداخلة الذي سمته Villa Cisneros (2) وابلغت حكومتها يوم 26 دجنبر من نفس السنة جميع الدول الموقعة على عقد برلين ان قواتها تمركزت بالشاطيء الغربي لافريقيا ! بين الراس الابيض وراس بوجدور Cabo Bojador

ومع ان الحكومة المغربية قامت بعدد من المساعي الدبلوماسية على الصعيد الدولي واتخذت عددا من التدابير الوقائية باقصى الجزء المسكون من المملكة ، وان قبائل اولاد دليم ، واولاد بوسبع ، والعروسيين ، ابلت بلاء حسنا في مقاومة المحتلين وشنت غارات كثيرة على مؤسساتهم التجارية ومراكزهم العسكرية فان الوضع بقي على ما هو عليه، بل ازداد تدهورا وخطورة ، لانه لم يكن في الامكان اجلاء القوات الاسبانية الا بالتوفر على اسطول مرهوب، وجيش منظم ، وسلاح حديث ، ومواصلات سريعة ، وخبرة تقنية ، واستقرار داخلي ، وهي أشياء كانت تنقص المغاربة يومئذ ولا تنقص الخصوم المغيرين عليهم الطامعين في اذلالهم واستعبادهم .

(2) باسم الكاردينال خمنيس دي سيسنيروس بطل محاكم التحقيق الشهير .

وفي 27 يونيو 1900 عقدت فرنسا واسبانيا بباريس ، بعد مفاوضات ومساومات ، الاتفاقية المعروفة باتفاقية موني لتحديد ممتلكاتهما بالصحراء، اعترفت الاولى بموجبها للثانية بالمنطقة المغربية الممتدة من رأس بوجدور الى الرأس الابيض ثم حاولت الدولتان بعد سنتين ان تتراضيا بعقد اتفاقية جديدة توسع آفاق نفوذهما في جنوب المغرب وتحددها ، ولكن ظهور المانية على صعيد السياسة المغربية كمنافس قوي ، وتوتر العلاقات الفرنسية الانكليزية يومئذ حالا دون التوقيع على الاتفاق ، فلما عاد الصفاء الى تلك العلاقات بعد امضاء الاتفاق الودي يوم 8 ابريل 1904 الذي اطلقت انكلترا بموجبه يد فرنسا في المغرب مقابل اطلاق فرنسا يد انكلترا في مصر نشطت الدبلوماسية الفرنسية للتفاوض مع اسبانيا على تقسيم المغرب برمته ، وابرمت حكومتا باريس ومدريد اتفاقية سرية بشأنه يوم 3 اكتوبر 1904 حددت فيها مناطق نفوذ كلتيهما بشماله وجنوبه ، وهي الاتفاقية التي جرى تعديلها باتفاقية 27 نونبر 1912 المبرمة بعد تأسيس نظام الحماية بالمغرب يوم 30 مارس من نفس السنة ، وخلال اجراء تلك المفاوضات المريبة ، وابرام هذه الاتفاقيات السرية والعلنية كانت فرنسا تواصل الزحف على المغرب من الشرق والغرب والجنوب ملحقة ما تشاء من أقاليمه بمستعمراتها ومنشئة فيما تشاء منها حكما ثنائيا ، اما اسبانيا فقد حولت توسيع رقعة احتلالها بالريف وانزال جنودها بمنطقة سيدي يفني فردت على اعقابها مذمومة مدحورة ، ولكن فشلها لم يصرفها عن التفكير في اعادة الكرة وتحقيق ما تحلم به من انتصار واستعمار ، فاستطاعت ان تحتل طرفاية Cabo Juby سنة 1916 والكويرة سنة 1920 ثم اتمت بمساعدة فرنسا اخضاع منطقة حمايتها بشمال المغرب سنة 1926 واخيرا انزلت جنودها سنة 1934 بمنطقة سيدي يفني بعدما تغلبت فرنسا على المقاومة المغربية بأقاليم سوس وورزازات وتافيلالت وشمال شنكيط .

وهكذا اسفر التآمر الدولي والعدوان الاجنبي اللذان استمرا اكثر من مائة سنة عن تمزق الوحدة الوطنية للمغرب وفقدان سيادته الفعلية ، ووجد المغاربة في سنة 1934 التي قضي فيها على مقاومتهم المسلحة بلدهم محميا ـ مستعمرا موزعا على الشكل التالي :

1) مراكز السيادة الاسبانية Plazas de Subranis بالشمال في سبتة ومليلية وجزائر بادس ونكور وملوية
2) منطقة ادارة دولية بطنجة وحوزها
3) منطقة حماية اسبانية بالشمال مقرها تطوان
4) منطقة حماية فرنسية بالوسط مقرها الرباط
5) منطقة احتلال اسباني بسيدي يفني
6) منطقة حماية اسبانية بطرفاية
7) منطقة احتلال اسباني بالساقية الحمراء مقرها العيون
8) منطقة احتلال اسباني بوادي الذهب مقرها الداخلة
9) مناطق توات وتيديكلت وغيرها الملحقة بالجزائر
10) مناطق شنكيط المسماة اليوم بموريتانيا الملحقة بافريقيا الغربية .

لكن هذا التمزيق وما نشأ عنه من تقطيع الارحام واقامة الحواجز بين ابناء الوطن الواحد واخضاعهم لانظمة وترتيب متباينة لم يشغل الحركات السياسية الناشئة التي خلفت المقاومة المسلحة المنهارة عن التفكير في اعادة الوطن المغربي الى سابق وحدته وتماسكه والقضاء على جميع الفروق التي اصطنعها المستعمرون اصطناعا وخلقوها خلقا بين افراد شعبه لاطالة أمد استعبادهم واستغلالهم له ، فجعلت الاحزاب المغربية جميعها في مقدمة برامجها الجلية وطليعة اهدافها الخفية اعادة الوحدة الى الوطن المغربي والشعب المغربي كما كانا قبل ان يصيبهما سرطان الاستعمار، وكانت ارادة المستعمرين في التمزيق والتفريق لا تضاهيها الا ارادة الوطنيين في الضم والجمع والتوحيد ، وكلما قطع الاولون شوطا في نصب الحواجز وخلق الفوارق قطع الآخرون اشواطا في رفعها والقضاء عليها والتنبيه على مخاطرها والابعاد عن مزالقها بما يبثون من وعي ويحركون من همم عن طريق الصحف والمدارس الحرة والخلايا الحزبية ، حتى بقي المغربي مغربيا في كل مكان سواء تعامل بالفرنك او تعامل بالبسيطة،



جلالة الملك الحسن الثاني يستقبل بالرباط يوم الثلاثاء 5 مايو 1970 (28 صفر 1390 هـ) السيد لوبيث برافو وزير الخارجية الاسبانية ويتحادث وإياه في الشؤون التي تهم البلدين كقضية الصحراء المغربية المحتلة



العلم المغربي يرفع على مقر الحاكم الاسباني بسيدي يفني يوم الاثنين 30 يونيو 1969 (14 ربيع الثاني 1389 هـ)

ولما تغلبت المقاومة السياسية والحربية المغربية على الاستعمار الفرنسي في أواخر سنة 1955 ورجع الملك المرحوم **محمد الخامس** والاسرة الملكية من المنفى كان الاستقلال والوحدة بالنسبة للشعب المغربي وملكه مطلبا متعدد اللفظ واحد المعنى ، فلم يكن أحد يتصور استقلالا بدون وحدة ولا وحدة بدون استقلال ، وعلى هذا الاساس وبهذه الفكرة : اساس الاستقلال والوحدة وفكرة الاستقلال والوحدة انطلق المسؤولون المغاربة في بداية سنة 1956 للتفاوض مع فرنسا واسبانيا ، وقد عبر جلالة الملك المرحوم محمد الخامس عن مطامح شعبه وارادته وحددها في تدشين المفاوضات مع كلتا الدولتين ، فكان مما صرح به بباريس يوم الاربعاء 15 يبراير 1956 (13 رجب 1375 هـ) امام رئيس الجمهورية الفرنسية ووفدي المفاوضات المغربي والفرنسي قوله :

« وهناك مشكل من نوع آخر ، واملنا ان يوجد لها في المستقبل القريب الحل العادل الموافق للقانون الذي تقتضيه ، الا وهي وحدة التراب المغربي ، ونريد ان تصرح علانية انه لا توجد بالنسبة الينا اية حرية جديرة بهذا الاسم ومقبولة من النفوس الا في دائرة وحدة التراب الوطني وعدم قبول اي تجزئة فيه ، وان فرنسا والدول الموقعة على عقد الجزيرة وعلى غيره من المعاهدات الدولية لتضمن هذه الوحدة ضمانا صريحا واننا نوقن مقتنعين ان قضيتنا العادلة ستحظى لدى جميع الدول الصديقة بالقبول الحسن الذي هي جدير به ، وفي عزمنا ان نحافظ على ما لنا مع هذه الدول من علاقات تاريخية مبنية على التعاون الودي وتنميها في دائرة احترام مصالحها الخاصة » .

كما كان مما صرح به في الخطاب الذي القاه امام رئيس الدولة الاسبانية الجنراليسيمو فرانكو بمناسبة افتتاح المفاوضات المغربية الاسبانية بمدريد يوم الخميس 5 ابريل 1956 (23 شعبان 1375 هـ) قوله :

« وغني عن البيان ان علاقتنا الجديدة ستبنى على امتن الاسس واثبتها اذا ما تحققت مطامح الامة المغربية في الوحدة ، تلك الوحدة التي تضمنها المعاهدات ضمانا صريحا ، وغير خاف ما خلفته تجزئة الارض المغربية الى مناطق من المصاعب والمشاكل المادية والمعنوية في حياتنا السياسية والاقتصادية ، ونحن متيقنون بان اسبانيا التي وقفت بجانب المغرب في احرج الاوقات ستلبي هذه الرغبة لما عاهدناه فيها من اريحية وشمم ، وان المغاربة لينتظرون بتلهف من هذا الاجتماع التاريخي ان يزيل من ارضهم تلك الحدود والفواصل التي هي رمز لعهد قديم قد تصرم : عهد الحجر والحماية ، وان الاعتراف بوحدة التراب المغربي في دائرة الاستقلال لا يتنافى مطلقا مع احترام مصالح اسبانيا والاسبانيين المستوطنين بالمغرب »

ومع ان فرنسا اكدت في التصريح المشترك الصادر بباريس يوم الجمعة 2 مارس 1956 (19 رجب 1375 هـ) عزمها على ان تحترم وحدة تراب المغرب المضمونة بحكم المعاهدات الدولية وتعمل على احترامها ، وان اسبانيا اكدت في التصريح المشترك الصادر بمدريد يوم السبت 7 ابريل (25 شعبان) من نفس السنة تجديد عزمها على احترام تلك الوحدة وتعهدها ايضا باتخاذ التدابير اللازمة لتحقيقها ، فان مصاعب كثيرة تجلت في الافق بعد صدور التصريحين مباشرة وحالت دون تطبيق ما ورد فيهما ، لان مفهوم وحدة التراب في اذهان المغاربة كان يختلف عن مفهومه في اذهان الفرنسيين والاسبانيين ، فالمغاربة كانوا يفهمون من الوحدة عودة المملكة المغربية الى الحدود السابقة التي كانت لها في القرون الخوالي ولكن عند بدء الفتوح الاستعمارية بالشمال الافريقي سنة 1830 فقط ، والفرنسيون والاسبانيون كانوا يفهمون منها وحدة المناطق الثلاث التي انبسطت على اثنتين منها الحماية الفرنسية والاسبانية وسيطرت على الثالثة الادارة الدولية ، وهي المناطق التي بينت حدودها اتفاقية 27 نونبر 1912 بين الدولتين الحاميتين ، اما الاراضي المغربية السليبة التي بترت من جسم المملكة المغربية بالقوة او بمقتضى اتفاقيات سرية وحولت الى مستعمرات او اجزاء ملحقة بمستعمرات فانها ظلت خارجة في رايهم وحسب تاويلهم عن مقتضى التصريحين المشتركين المشار اليهما آنفا فلم يظهر منهم اي استعداد للرجوع الى الحق والاذعان له رغم وضوحه كاجلى ما يكون الوضوح .

ولم تكتف فرنسا واسبانيا بالتمسك بالتاويل الخاطىء والاصرار على الحنث العظيم فيما يتعلق بالوحدة الشاملة للتراب الوطني المغربي فقط ، بل وضعت الاولى يدها على اجزاء من جنوب منطقة حمايتها السابقة بقيت خاضعة لسلطة اقامتها

العامة بالمغرب الى سنة 1956 وحالت دون انبساط السلطة الشرعية المغربية عليها لاعتبارات استراتيجية تتعلق بحربها مع الثوار الجزائريين ، بينما ماطلت الثانية فى تسليم سلطتها باقليم طرفاية الحالي الى الحكومة المغربية ، ولم تفعل ذلك الا تحت الضغط الشديد سنة 1958 بعد مرور سنتين على اعلان الاستقلال وتسلم الموظفين المغاربة للسلطات التى كانت تمارسها بمنطقة حمايتها السابقة فى شمال المملكة .

وازاء هذا التحدي اصبح المغرب امام اختيارين لا ثالث لهما ، اما أن يواصل مطالبته للدولتين باعادة ارضه السليبة اليه عن طريق الاتصالات الديبلوماسية ، واما ان يلتجيء الى القوة لنيل مطالبه واحقاق حقه وبلوغ امانيه ، وبديهي ان الاختيار الاول هو الذى يتلاءم مع الاسس الثابتة التى اقام عليها سياسته الخارجية فى عهده الجديد ، وان اللجوء الى القوة والعنف لم يكن سوى عملية انتحارية فى تلك السنوات العصيبة التى تلت استعادته لحريته وسيادته والتى كانت فيها مدنه وقراه ترزح تحت نير القوات الفرنسية والاسبانية والامريكية ، والسلطات الحكومية والادارية تتمركز فيها بشق الانفس وتواجه آلاف المصاعب ، وقد اهتبل جيش التحرير الوطني الفرة فهجم فى دجنبر سنة 1957 على القوات الاسبانية المعسكرة فى قطاع سيدي يفني واجلاها عن مراكزها ومعسكراتها الداخلية ولكنه لما بلغ المدينة واجهته اسلحتها الثقيلة وطيرانها فعجز عن اقتحامها ، وكاد هذا الهجوم يعرض استقلال المغرب لخطر محقق ، لان اسبانيا ارسلت اسطولها الى عرض اكدير وهددت بالنزول الى البر لولا الحكمة التى عالج بها المشكلة جلالة الملك المرحوم محمد الخامس وولي عهده صاحب السمو الملكي الامير **مولاي الحسن** (جلالة الملك اليوم) الذى كان يتولى رئاسة الاركان العامة لقوات المسلحة الملكية وينوب فى نفس الوقت عن والده الذى كان متغيبا فى الولايات المتحدة الامريكية عندما بدأ الهجوم .

وحدث بعد استرجاع الاستقلال بقليل ان قبل الفرنسيون اعادة النظر فى تخطيط الحدود ، واشتركت حكومتهم مع الحكومة المغربية فى اصدار بلاغ مشترك بذلك ، ولوحت محافلهم الدبلوماسية فى السر وصحافتهم فى العلن للمغرب بتنازلات ارضية لفائدته لقاء تخليه عن الثوار الجزائريين ، ولكن الحكومة المغربية ارجأت تعيين نوابها فى لجنة الحدود ، لان الملك المرحوم محمد الخامس رفض ان يكون ارجاع الاجزاء السليبة من مملكته مصحوبا بمساومات او معلقا بخذلان شعب شقيق يناضل فى سبيل حريته هو اهل لها كسائر الشعوب ، ولما ايست فرنسا واسبانيا من اي تنازل او تساهل من طرف المغرب اتجهتا الى قمع حركة مقاومته وتقوية الصبغة الانفصالية لبعض اقاليمه السليبة واعطاء كيان متميز لبعضها الآخر ، وقامتا ابتداء من 10 فبراير سنة 1958 لتحقيق هذا الغرض بعمليات حربية تفردتا فى بعضها واشتركتا فى بعضها الآخر ، وبعدما تغلبتا بقوة الحديد والنار على المقاومة الوطنية اصدرت اسبانيا — فيما يخصها — مرسوما مؤرخا فى 14 يونيو 1958 يجعل من الاراضي التى تحتلها من تراب المغرب ولايتين اسبانيتين تحمل احداهما اسم (يفني) وتحمل الاخرى اسم (الصحراء) ثم عزز هذا المرسوم فى 19 ابريل 1961 بمرسوم ثان يطبق بمقتضاه على ولاية (الصحراء) جميع القوانين الاسبانية ويعفي جميع السلع الاسبانية المجلوبة اليها من اداء المكس (3) الذى كان يؤدى عليها ، فتم بذلك ادماج الصحراء فى اسبانيا قانونيا واداريا واقتصاديا ، اما فرنسا فقد عملت جاهدة لتقوية الصبغة الفرنسية للاقاليم المغربية الملحقة بالجزائر ، والصبغة الانفصالية لاقليم شنكيط الفسيح الملحق بافريقيا الغربية الفرنسية فمنحته أولا حكما ذاتيا فى 28 نونبر سنة 1958 ثم انشات فيه ثانيا دولة عرفت باسم الجمهورية الاسلامية الموريتانية .

وظهر عامل جديد خلال هاتيك السنين زاد فى تعسير المشكل وتصعيد النضال بين شعب يدافع عن حقه الواضح فى استعادة وحدته الوطنية والقومية وبين القوى الاجنبية التى تنكر عليه هذا الحق وتابى الا ان يعيش ممزق الاوصال مقطوع الارحام ، هذا العامل هو ظهور البترول والغاز وآثار العديد من المعادن والمناجم والمقاطع الثمينة

(3) المكس قدر من المال يؤدى على السلع والبضائع عند ادخالها الى الاقطار والمدن والاسواق العمومية ويعرف عند المشارقة بالجمرك والكلمة تركية ، وعند المغاربة بالديوانة ، والكلمة اسبانية .

بالصحراء الكبيرة ، وقد حاولت فرنسا بسبب ذلك ان تعطي كيانا ! للصحراء فتسببت محاولتها في اطالة الحرب بالجزائر سنة اخرى ، ثم اضطرت تحت استماتة الثوار وضرباتهم المتلاحقة الى التخلي عن محاولتها والاعتراف في النهاية بالدولة الجزائرية المستقلة في الحدود الدولية او الادارية التي كانت لها وهي مستعمرة ، اما اسبانيا فقد شدت على الصحراء المغربية يد الضنينن بعدما اكتشفت ببوكراع قرب مدينة العيون بالساقية الحمراء مناجم غنية بمادة الفوسفات تقدر مدخراتها منه بمليار وثلاثمائة مليون طن ، ومنذ هذا الاكتشاف صار يجري بينها وبين المغرب حوار الصم : نحن نطلب منها ان تعترف بسيادتنا على الصحراء ونعلن لها استعدادنا للتعاون معها في الاستثمارات المالية والاستغلالات الاقتصادية ، وهي تطلب ان تعترف بسيادتها على الصحراء وتعلن رغبتها في الاستفادة من خبرتنا في ميدان استغلال الفوسفات وتجيره واستعدادها للتعاون معنا ماليا واقتصاديا ، وعندما كنا نراها محقة في مطالبتها باسترجاع جبل طارق كانت ترانا غير محقين في مطالبتنا باسترجاع الصحراء وباقي الجيوب الشبيهة بجبل طارق ، واذا اعلنا ضجرنا من رؤية مواطنين لنا يحيون في الرق والعبودية رمتنا بدائها وانسلت ووصفتنا انديتها السياسية وصحافتها الموجهة باننا قوم توسعيون نحلم بانشاء امبراطورية، كأن الاسبانيين قوم منكمشون داخل حدودهم أو كأن الساقية الحمراء ووادي الذهب مقاطعتان واقعتان بشبه الجزيرة الايبرية .

واذا كان المغرب لم ييأس حتى ذلك الوقت من الوصول الى تسوية عادلة لمشكلة الحدود مع الدولة الجزائرية الناشئة ، ولا من الوصول الى تسوية اخرى مع الاشقاء القابضين على أزمة الحكم في موريتانيا فان الوضع بقي مجمدا فيما يخص الصحراء التي تحتلها اسبانيا ، لان هذه الدولة لا هي استجابت لمطالب المغرب العادلة باعادة ارضه السليبة اليه كما يقتضيه العقل والمنطق ، ولا هي تركت اهلها يقررون بملء الحرية مصيرهم ومصيرها، ومن البديهي ان المغرب الذي ذاق شعبه مرارة الحكم الاجنبي والذي هو من انصا ر حرية الفرد والجماعة وتحرير الشعوب بدون استثناء لا يمكن ان يصبر الى ما لا نهاية له او يبقى يتحاور مع اسبانيا حوار الصم في هذا الموضوع ، فاذا كان عاجزا عن استرداد حقه بالقوة لانه لايتوفر على الوسائل المادية الكافية فهو

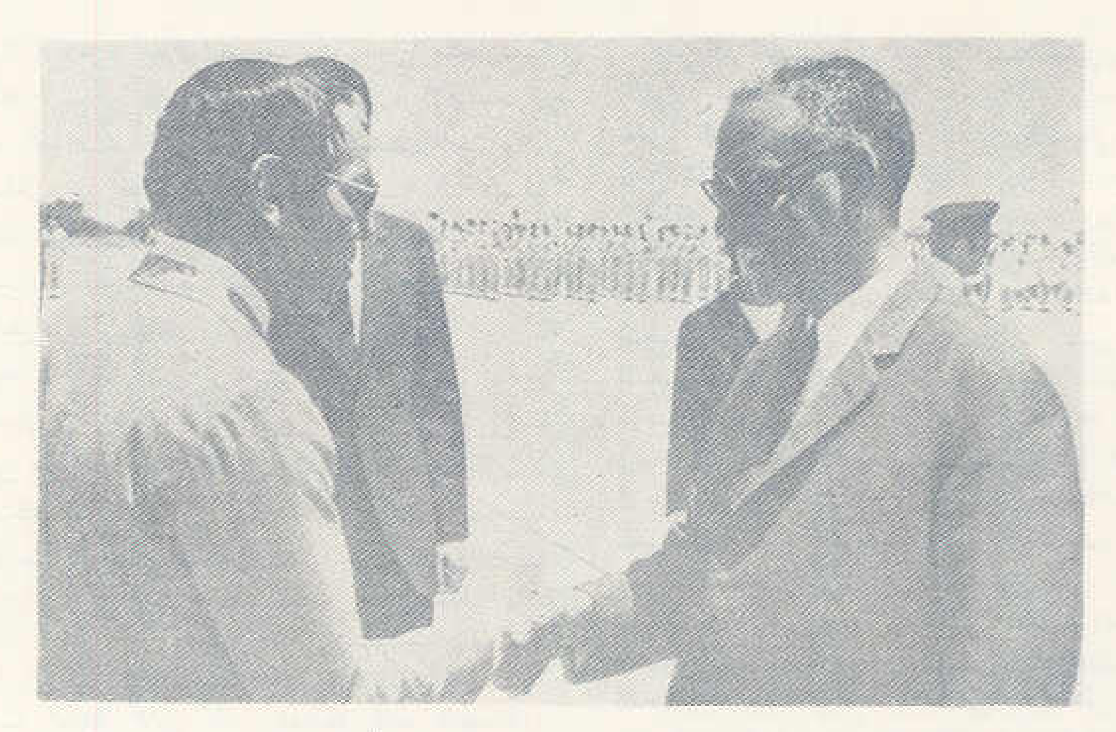
غير عاجز عن اخراج المشكل من النطاق الثنائي الضيق الى المجال الدولي الفسيح ، وبالفعل اخرجه الى هذا المجال سنة 1964 عندما عرض امر الصحراء وقطاع سيدي يفني على منظمة الامم المتحدة وطرحه على بساط المناقشة امام اللجنة الخاصة ودافع عن وجهة نظره وعدالة قضيته دفاعا يتسم في آن واحد بالرغبة في رفع الضيم والغبن عن مواطنيه والرغبة في المحافظة على العلاقات الطيبة وحسن الجوار مع الدولة الاسبانية ، ولم يكن لحكومة مدريد وصحافتها الموجهة من حجة تواجه بها المغرب سوى اتهامه بحب التوسع والسيطرة وادعائها ان اسبانيا تقوم برسالة تمدينية برضا السكان الذين يحبونها وتحبهم ! وهي دعوى رددتها الدول الاستعمارية مرات كثيرة فوق منصة الخطابة بمقر الامم المتحدة فلم يثق بها أحد ولم تجدها شيئا ، ولما كان الحق واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار اتخذت اللجنة الخاصة في جلستها التاسعة والعشرين يوم 16 اكتوبر 1964 قرارا يذكر بالتصريح الذي تضمنته توصية الجمعية العامة تحت عدد 1514 (الدورة الخامسة عشرة) بتاريخ 14 دجنبر 1960 المتعلق بمنح الاستقلال للاقطار والشعوب المستعمرة ، ويبدي الاسف لماطلة اسبانيا في تحرير الصحراء وسيدي يفني من سيطرتها ، ويرجو بالحاح منها ان تتخذ على الفور اجراءات من أجل التطبيق الكامل وبدون قيد ولا شرط لمقتضيات ذلك التصريح ، كما يطلب من الامين العام لمنظمة الامم المتحدة ان يقدم هذا القرار الى الدولة الحاكمة ويرفع الى الجمعية العامة خلال دورتها التاسعة عشرة تقريرا عن الاجراءات التي اتخذتها اسبانيا من اجل تطبيق القرار .

وقد عزز هذا القرار بقرار صادقت عليه الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة في دورتها العشرين بالاجماع ـ عدا صوتي اسبانيا والبرتكال ـ تحت عدد 2072 بتاريخ 16 دجنبر 1965 يذكر بالقرار عدد 1514 (14 دجنبر 1960) ويصادق على قرار اللجنة الخاصة بتاريخ 16 اكتوبر 1964 ويرجو بالحاح من الدولة الاسبانية ، باعتبارها الدولة الحاكمة ، ان تعجل بتحرير الصحراء وقطاع سيدي يفني وتدخل من اجل هذا الغرض في مفاوضات حول قضايا السيادة التي تطرحها هذه الاراضي .

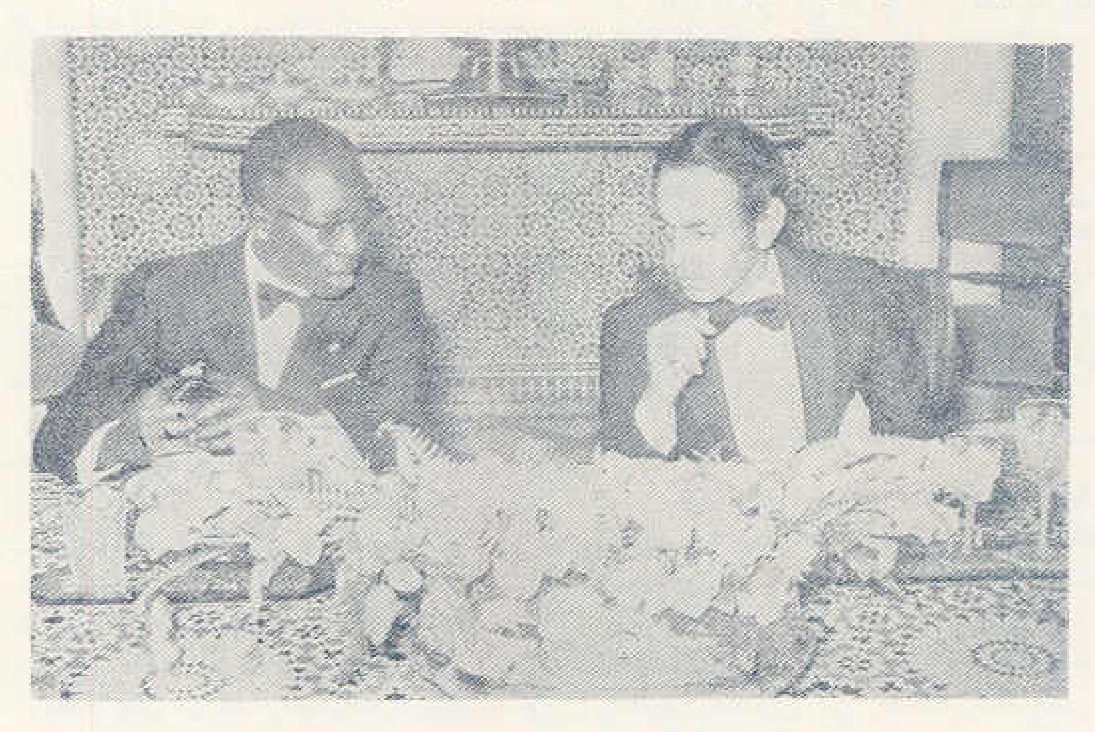
وحتى يقطع المغرب على الاسبانيين خط الرجعة ويحول بينهم وبين تكرير الدعوى بانه بلد توسعي الحاقي يحلم بانشا امبراطورية ـ الشيء

الذي يمارسونه هم فعلا — فقد عمد جلالة ملكه **الحسن الثاني** الى مبادرة من مبادراته الجريئة ، وهي دعوتهم الى كلمة سواء ؛ الى مبدأ مسلم به من كافة الدول والشعوب ومقرر من طرف الامم المتحدة، مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ، علما من جلالته بان سكان الصحراء المحتلة عندما تتوفر لهم الظروف السليمة والضمانات الحقيقية للاعراب عن ارادتهم بحرية لن يختاروا بوطنهم وشعبهم بديلا ، وقد فاتح جلالته بهذه الفكرة الوزير الاسباني السيد خوسي سوليس رويث عندما قابله بفاس اثناء مجيئه الى المغرب سنة 1966 لتمثيل دولته في الحفلات التي اقيمت بمناسبة مرور عشر سنوات على استعادة الاستقلال ، ثم كلف مندوبه الدائم لدى منظمة الامم المتحدة السيد الداي بن سيدي بابا أن يعرضها بصفة علنية رسمية على لجنة تصفية الاستعمار التابعة لتلك المنظمة فعرضها عليها يوم 7 يونيو 1966 اثناء اجتماعها بأديس أبابا وهو يعيد الى الاذهان في نفس الوقت، باسم حكومة صاحب الجلالة ان هذا الموقف الذي يتخذه المغرب ، يجب ان لا يفهم منه باي حال من الاحوال انه يدل على أي تنازل كيفما كان شكله عن حقوقه في الصحراء الخاضعة للسيطرة الاسبانية ، وان حقوق السيادة المغربية غير قابلة للتقادم وستبقى كذلك ، لان الامر يتعلق بسيادة وطنية ثابتة منذ اقدم العصور ، ولم يات الا احتلال اجنبي فعلي طرا مؤخرا للحيلولة دون استمرار هذه السيادة .

وقد استعد المغرب مثلما استعدت اسبانيا لخوض معركة حامية الوطيس بشان سيدي يفني والصحراء خلال الدورة الحادية والعشرين للجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة : استعد المغرب لانه لم يعد يحتمل السكوت او يطيق الصبر بعد الذي راى من اسبانيا من اصرار على البقاء باقليميه السليبين وعدم اظهار اي استعداد لتحريرهما ، وتماد في تقوية صفتهما الاسبانية بتعزيز القوات العسكرية المرابطة بهما وتهجير اعداد وفيرة من المواطنين الاسبانيين اليهما بلغ عددهم خلال اربعة أعوام عشرين الفا ، وطرد سكانهما الاصليين منهما حتى بلغ عدد النازحين منهم الى الجزء المحرر من المملكة أزيد من مائتي الف الشيء الذي يكاد يجعل الدولة المغربية امام مأساة من نوع روديسيا او فلسطين ، واستعدت اسبانيا من جهتها لانها وقد قبلت عضوا في المنظمة الاممية صار لزاما عليها التقيد بمبادئها وعدم المخالفة عن قراراتها وتوصياتها، بالاضافة الى شعورها بان الجو ليس في صالحها وان عددا كبيرا من الدول بما فيها دول من امريكا اللاتينية ستصوت ضدها اذا هي لم تجد لسياستها الاستعمارية مخرجا من المأزق الذي حصلت فيه . ولما اعلنت جبهة تحرير الصحراء المغربية عزمها على ارسال وفد لتمثيلها وابداء رايها للجمعية العامة اصطنعت اسبانيا بعض العملاء من اهالي الاقليمين وجاءت بهم مع وفدها الى الامم المتحدة ليدافعوا عن استعمارها ويسبحوا بحمدها ؛ تماما كما كانت تفعل فرنسا في اواخر سنوات حكمها للمغرب والجزائر عندما كانت تلحق بوفدها عملاء من ابنائهما يكتفون بالتنويه بمناقب الحماية والاشادة بكرامات الاستعمار ، ولكي تدفع اسبانيا عن نفسها كثيرا من التهم وتضمن حياد بعض الدول وتخفف من حدة المناقشات بعث مندوبها الدائم يوم 8 شتنبر 1966 رسالة الى لجنة تصفية الاستعمار يؤكد فيها عزم دولته على تطبيق مبدا تقرير المصير في الصحراء ، ومع ذلك فان وفد المملكة المغربية لم يغتر بشيء ووضع المشكل بكل ما أوتي من قوة تحدوه الرغبة في تصفية الاستعمار ومخلفاته واقامة علاقة المغرب مع الدول كلها — واسبانيا في مقدمتها بحكم الجوار — على اساس احترام السيادة والوحدة الوطنية ومراعاة المصالح والمعاملات المتماثلة ، وقد امتاز اعضاء الوفد — وعلى رأسهم السيد محمد الشرقاوي وزير الخارجية والسيد الداي بن سيدي بابا مندوب المغرب الدائم — بالجدية في التدخلات والاجتهاد في شرح المشكل وبيان حق المغرب وكسب التاييد من رؤساء الوفود واعضائها ولاسيما وفود الدول الافروآسيوية ، وكانت دعوة المغرب الى تطبيق مبدا تقرير المصير كافية لقطع كل جدال بشان احقية سكان يفني والصحراء في العيش الكريم واختيار شكل الحكم الذي يرغبون فيه ؛ وخلال المناقشة العامة التي استغرقت ست جلسات ابتدأت اولاها بتاريخ 6 دجنبر 1966 وانتهت اخراها بتاريخ 12 منه القى السيد محمد الشرقاوي وزير الشؤون الخارجية للمملكة المغربية خطابا جامعا تعرض فيه لمشكلة سيدي يفني والصحراء من بين المشاكل التي تعني بها حكومة صاحب الجلالة ؛ فلفت الانظار الى ما تقوم به حكومة مدريد من اعمال في ميدان سياسة التوطين واقامة القواعد العسكرية فضلا عن ادماج ذينك الاقليمين في اسبانيا دستوريا



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يستقبل فخامة السيد المختار بن دادة بمطار انفا بالدار البيضاء يوم الاثنين 8 يونيو 1970 (3 ربيع الثاني 1390 هـ) ويتحادث واياه في اليوم نفسه في قضية تحرير الصحراء من الاستعمار الاسباني.



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يتحادث بقصر الضيافة بالرباط مساء يوم الجمعة 11 شتنبر 1970 مع فخامة السيد ليوبولد سيدار سانكور رئيس جمهورية السنيكال في القضايا التي تشغل بال دولتيهما ومن بينها قضية تحرير الصحراء المغربية من الاستعمار الاسباني .

واداريا ، وهي اعمال تستهدف دوام سيطرتها ونفوذها لاسباب تقليدية معروفة عند الاستعمار كابقاء القواعد العسكرية واستغلال الثروات المكتشفة ؛ ثم طلب من الجمعية العامة ان تكف اسبانيا في وقت عاجل عن سياسة توطين رعاياها وتوسيع قواعدها العسكرية لتتبدد المخاوف التي تستشعرها افريقيا ، واشار بعد ذلك الى ان الحكومة المغربية التي تريد الاستقلال العاجل لهذين الاقليمين لا ترفض مبدا تقرير المصير ، الا انها تحرص على ان يحاط تطبيق هذا المبدا بالضمانات التي تكفل لسكانهما ان يعبروا عن رايهم تعبيرا صادقا مطابقا لمصالحهم الحقيقية ومصالح الامة المغربية ، ومن بين الضمانات التي اقترحها كشرط سابق لكل استشارة : سحب القوات الاسبانية من الاقليمين والاحتفاظ فقط بقوة بوليسية لحفظ الامن تقدر عددها الامم المتحدة ؛ وسحب الادارة الاسبانية ، وعودة اللاجئين ، فاذا تحققت هذه الضمانات امكن اذ ذاك اجراء استفتاء تحت السلطة المباشرة للامم المتحدة او تحت المراقبة المشتركة للسلطة المغربية والسلطة الاسبانية؛ وتسنى بذلك لكل من المغرب واسبانيا ان يتعاونا معا من اجل السلم والصداقة .

اما مندوب اسبانيا فلم يكن له بد من مسايرة التيار ، وقد القى بيانا مستدلا اكد فيه ان دولته لم تتراجع عن عزمها في الاستمرار في تصفية الاستعمار ، لا هي ضد هذه التصفية لانها هي ايضا ضحية للاستعمار نظرا الى ان جزءا من ارضها يقع تحت حكم اجنبي ، وانها تعهدت بتطبيق مبدا تقرير المصير في الصحراء كما بينت ذلك في الرسالة التي بعث بها مندوبها الدائم يوم 8 ستنبر 1966 الى لجنة تصفية الاستعمار ، ولكنه ذكر ان الذين سيمارسون حق تقرير المصير هم السكان الاصليون الذين يبلغ عددهم خمسة وعشرين الفا يضاف اليهم عدد النازحين الذين يعدون تسعة آلاف وخمسمائة نسمة ، مع أن عددهم يزيد في الحقيقة على مئتي الف ، وبعدما ذكر أن عدد القوات الاسبانية في الاقليمين لا يزيد على 10.000 جندي بين استعداده – كدليل على حسن نية دولته – للدخول في مباحثات مع السكرتير العام لاجل تاليف بعثة خاصة تقوم بزيارة الاقليمين .

ومن غير تطويل بذكر تدخلات ستة عشر وفدا تجدر الاشارة الى جدوى تدخلات وبيانات وفد جبهة تحرير الصحراء الخاضعة للحكم الاسباني ولاسيما تدخلات المحامي الاستاذ العبادلة بن الشيخ محمد الاغظف بن الشيخ ماء العينين وهو من مواليد الساقية الحمراء ، والى ضعف بل خور تدخلات العملاء الذين جاءت بهم اسبانيا مع وفدها وسمتهم اللجنة المنتخبة من شعب الصحراء وعلى راسهم السيد صيلة ولد عبيد ؛ فبقدر ما كان منطق الاولين قويا وحجتهم بالغة كان منطق الآخرين ضعيفا وتدخلاتهم مرجوحة وظهر عليهم الجهل المطبق عند الاجابة عن الاسئلة التي وجهت اليهم بالاضافة الى انهم انكروا على الشعب الذي (انتخبهم) عروبته ونضجه وقدرته على ممارسة حريته حتى يمكن القول ان اتيان اسبانيا بهم الى مقر الامم المتحدة كان فضيحة لها ؛ ولما تدخل منهم المسمى سليم بن عبد الله منوها بما نشرته اسبانيا من مدنية في الصحراء وما يؤدي اليه اعطاء الاستقلال قبل الوقت المناسب من فوضى ! ابدى مندوب بلغاريا خيبة امله تجاه تدخلاته وتدخلات جماعته (المنتخبة) قائلا : ان هذه هي المرة الاولى في تاريخ الامم المتحدة التي لا يطالب فيها المتدخلون لبلادهم بالاستقلال .

واخيرا وبعد اجراء عدة مشاورات ، ومناقشة عدد من التعديلات تدعو الى فصل قضية سيدي يفني عن قضية الصحراء واستشارة (كل طرف يعنيه الامر) قبل اجراء اي استفتاء – اقترحتها اسبانيا وموريتانيا والجزائر – طرح على التصويت بطريق التسمية خلال جلسة الجمعية العامة يوم 20 دجنبر 1966 مشروع قرار متعلق بسيدي يفني والصحراء ففاز باغلبية 105 اصوات ضد صوتين (اسبانيا + البرتكال) وامتنعت ثماني دول عن التصويت .

وهذا القرار تؤكد فيه الامم المتحدة – بناء على عدد من الاعتبارات والحيثيات – الحق الازلي لشعبي سيدي يفني والصحراء الخاضعين لاسبانيا في تقرير المصير ؛ وترجو من الدولة الحاكمة فيما يخص قطاع سيدي يفني والصحراء الخاضعين لاسبانيا في تقرير اللازمة للاسراع الى تصفية الاستعمار فيه وتقرر مع الحكومة المغربية – مع مراعاة اماني السكان الوطنيين – الاجراءات لنقل السلطة طبقا لبنود قرار الجمعية العامة عدد 1514 (الدورة 15) كما تدعو الامم المتحدة الدولة ذات السلطة الادارية – فيما

يخص الصحراء — ان تقرر فى اقرب اجل ممكن ، طبقا لاماني السكان الوطنيين ، وبالتشاور مع حكومات المغرب وموريطانيا وكل طرف آخر يعنيه الامر ، الاجراءات لاقامة استفتاء تحت اشراف الامم المتحدة لاجل تيسير الممارسة الحرة لحق تقرير المصير من قبل السكان الوطنيين ، وان تخلق — تحقيقا لهذا الهدف — جوا لاستفتاء يجري على أساس حر وديمقراطي وغير متحيز ، وذلك بالسماح، ضمن الامور الاخرى ، بعودة المنفيين الى الاقاليم ، وان تاخذ جميع الخطوات اللازمة لاجل تامين مشاركة السكان الوطنيين وحدهم ، وتمتنع عن القيام بأي عمل يمكن ان يؤخر عملية تصفية الاستعمار فى الصحراء ، وتقدم جميع التسهيلات اللازمة لبعثة الامم المتحدة ليمكن لها ان تشارك بوجه فعال فى ترتيب الاستفتاء واقامته ، كما تطلب من السكرتير العام ان يعين حالا بعثة خاصة لارسالها الى الصحراء بالتشاور مع الدولة ذات السلطة الادارية .

وقد رحبت جميع الدول المحبة للحرية والسلام بهذا القرار ، واستبشر المغرب بقرب عودة اقليميه اليه وتعشم ان تزول بعودتهما واحدة من العراقيل التى تحول دون قيام العلاقات المغربية — الاسبانية على اسس سليمة ، الشيء الذي يتوق اليه المغاربة من صميم افئدتهم نظرا لما بين قطرهم وبين القطر الاسباني من علاقات تجل عن الحصر ، ونظرا لما ينتج عن حسن تفاهمهما وقوة تضامنهما وتعاونهما من خير يعود عليهما باحسن العوائد ، وعلى السلم والاستقرار فى غرب البحر المتوسط باكبر الفوائد.

وعاد الوفد المغربي الى وطنه يحمل فى حقيبته نص القرار ، وشرعت حكومة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني تجري الاتصالات اللازمة مع حكومة مدريد لتطبيقه ، فلقيت تسويفا ومطالا ومساومات ايضا، وظهرت اثناء هذه الاتصالات نية اسبانيا المبيتة والغرض الذى استهدفته عندما طلبت بالحاح قبل التصويت على القرار ان تفصل مسالة سيدي يفني عن مسالة الصحراء والحث على ان تجعل من قضية واحدة قضيتين اثنتين ، ففيما يتعلق بقطاع سيدي يفني الذى هو لزاز (4) اسباني مدقوق فى جسم المغرب ربطت اسبانيا تسليم السيادة فيه الى المغرب بعقد اتفاقية صيد معه ، وقد تذرع المغرب خلال المفاوضات التى دارت معها بشأنه بشيء غير قليل من الحكمة والصبر والاناة اظهارا لحسن النية واجتنابا لكل مغاضبة وابتعادا عما يمس الكرامة ويجرح العاطفة ويهيج الكبرياء ، ولم يرد ان يجرحها خلال الدورة الثانية والعشرين (1967) ، ولا خلال الدورة الثالثة والعشرين (1968) للجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة حتى نجح فى الوصول الى اتفاق (5) معها امضي بفاس يوم السبت 4 يناير 1969 (16 شوال 1388 هـ) التزمت فيه بنقل السلطة فى ذلك القطاع اليه ، الشيء الذى تم يوم الاثنين 30 يونيو 1969 (14 ربيع الثاني 1389 هـ) عندما رفع العلم المغربي على مقر الحاكم الاسباني فى حفل سادته روح الصداقة وهيمن عليه جو الجدية والاحترام ، وفيما يتعلق بالصحراء اظهرت اسبانيا ممانعة وتعصبا ولم ترد بوجه ولا بحال ان تاذن للبعثة الاممية ان تجيء الى الاقليم ، كما لم تتخذ أي اجراء لخلق الاجواء السياسية اللازمة لاجراء استفتاء يقرر سكانه بواسطته مصيرهم بكامل الحرية ، وكان موجب هذه الردة هذه المرة اقتصاديا قبل كل شيء ، لان قرب الشروع فى استغلال مادة الفوسفاط — الذى تاكد ان مناجمه ببوكراع من اكبر مناجمه فى العالم — جعل الاسبانيين يحلمون بالحصول على ثروات طائلة من مبيعاته ويؤملون احداث صناعات جديدة تستوعب عددا كبيرا من ايديهم العاملة وتدفع عجلة التقدم الاقتصادي والاجتماعي بقطرهم الى الامام .

ولما كانت المخابرات جارية بين حكومة المغرب وحكومة اسبانية بشأن تنفيذ قرار الامم المتحدة كانت هذه تسير فى اتجاه معاكس وتعود ادراجها الى الاساليب الاستعمارية البائدة المتبعة فى القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين بالمستعمرات ، فقد الف الموظفون الاسبانيون بالصحراء مجلسا

(4) اللزاز فى عرف اهل المغرب : خشبة او حديدة تدق وسط شجر او حجر لفلقه ، وهي عربية فصيحة ، يقابلها عند المشارقة لفظ الاسفين والسفين ، وهو لفظ يوناني .

(5) امضى الاتفاق نيابة عن المغرب الدكتور احمد العراقي وزير الخارجية المغربية ، والسيد ادواردو سفير اسبانيا بالمغرب نيابة عنها .

استشاريا املوا عليه عقد تبعية حملوه اعضاء منه الى حكومتهم بمدريد ، ومنذ تاليف ذلك المجلس ووصول هذا الوفد الى مدريد وحكومة اسبانيا وانديتها السياسية وصحافتها الموجهة تؤكد ان شعب الصحراء قال كلمته وقرر مصيره وعبر عن ارادته في البقاء اسبانيا ، وفي نفس الوقت ضاعفت اسبانيا اهتمامها بالشؤون العربية ولاسيما بقضية فلسطين وزادت من اظهار عطفها على العرب محاولة التاثير على دواليهم كيلا تتبنى وجهة نظر المغرب فيما يخص الصحراء في الظروف الراهنة على الاقل ، كما عمدت الصحافة الاسبانية الى الفقرة التي تنص على استشارة حكومتي المغرب وموريتانيا (وكل طرف آخر يعنيه الامر) محاولة التضريب بين دول المغرب العربي وتحريش بعضها على بعض واحداث شقاق بينها وقطيعة بسبب مستقبل الصحراء كما او كانت هذه وطنا لا شعب له يقول عن مصيره كلمته ، كل ذلك ليستمر امد الاحتلال ويزداد عدد المستوطنين الاجانب وتغض الدول الصناعية الكبرى الطرف عن اسبانيا بسبب الفوسفات الذي ستستثمر من اجله المال وتشارك في الاستغلال .

اما موقف المغرب من هذه المناورات فقد كان قويا كما هو المنتظر : لفتت حكومة صاحب الجلالة انظار الدول التي ابدت اهتماما بالعروض الاسبانية فيما يخص استغلال الفوسفات وتجهيز منشآته وفي مقدمتها الولايات المتحدة وفرنسا وجمهورية المانيا الفيديرالية الى ان مناجم الفوسفات ببوكراع توجد في ارض متنازع عليها اولا وصادر بشأن مستقبلها قرار اممي ثانيا ، ولذا تعد الاجابة عن تلك العروض عملا غير ودي بالاضافة الى انها نوع من المغامرة وهي بالتالي لا تلزم الدولة المغربية في المستقبل ، وقد كان لهذا المسعى المغربي اثره في البداية ، خصوصا في الولايات المتحدة التي اعتبرت حكومتها ان الموضوع شائك واوصت شركاتها بالابتعاد عن الاستثمار في اقليم مستقبله السياسي مطعون فيه ، ولكن ضرورات الدفاع الامريكي والاحتفاظ بالقواعد الامريكية المقامة فوق الارض الاسبانية جعلت حكومة واشنطون تتخلى عن موقفها الاول ، وظفرت اسبانيا – لقاء تعاقدها العسكري مع امريكا – بما تبتغي من تعاون الشركات الامريكية معها في التنقيب عن خيرات الصحراء الظاهرة والباطنة قصد استغلالها استغلالا مشتركا ، ويتجلى هذا التعاون على الخصوص في العقدة المبرمة مع شركة (يونيون كاربيد بيتروليوم كوربوريشن) المتعلقة بالتنقيب عن البترول في منطقة بحرية من صحرائنا المحتلة تبلغ مساحتها 1.600.000 هـ وتقدر مدة العقدة بسنتين فيما يخص تنفيذ الشطر الاول منها ، كما تبلغ التكاليف 147 مليون بسيطة ، وقد زار السيد ك. ريتشي رئيس الشركة المذكورة مدريد في الاسبوع الاول من يونيو ليشارك المسؤولين الاسبانيين احتفالهم ببدا التنقيب .

وبخصوص تاليف المجلس الاستشاري بالصحراء ومجيء بعض رؤسائه الى مدريد حاملين عقد تبعيتهم وعبوديتهم عاب جلالة الملك الحسن الثاني خلال ثلاث مقابلات صحفية متتابعة في هذه السنة (6) على اسبانيا سلوك هذه المحجة واتباع هذا الطريق، وسخر جلالته من هذه العملية وشبهها بالمهازل التي لجا اليها المرشال جوان والجنرال كيوم في اواخر سنوات الحماية الفرنسية بالمغرب ، وذكر جلالته انه مستعد لان يستقبل عنده نفس اولئك الرؤساء الذين قيل انهم حملوا بيعة اهل الصحراء لمدريد ، ويعرض نفس العرائض مذيلة بنفس توقيعاتهم ، لان جلالته متاكد من انه اذا استدعاهم ياتون واذا دعاهم الى كتابة عرائض يكتبون ، فالحل ليس في اللجوء الى هذه الحجج التي تدرك اسبانيا مثل المغرب ضعفها ، ولكن الحل الحقيقي الوحيد هو اجراء استشارة شعبية تحت اشراف الامم المتحدة تساعد اهل الصحراء على التحرر من الحكم الاجنبي الدخيل .

ومن جهة اخرى قرر جلالة الملك الحسن الثاني الذي اتسمت سياسته منذ تولى الملك بالصراحة والوضوح والمحاورة والاقناع ان يقوم بزيارة ذات طابع شخصي الى اسبانيا يغتنم خلالها الفرصة لزيارة صديقه الجنراليسمو فرانكو ويتحادث معه حول مستقبل الصحراء في اطار المودة الراسخة

---

(6) كانت المقابلة الاولى بباريس مع جريدة لوموند يوم الجمعة 6 يبراير 1970 (29 ذي القعدة 1389) وجرت الثانية بالرباط يوم الخميس 25 يونيو 1970 (20 ربيع الثاني 1390) مع مندوب مجلة نوفيل أوبسيرفاتور البارسية ، وجرت الثالثة بالرباط يوم الخميس 30 يوليوز 1970 (26 جمادى الاولى 1390 هـ) .

التي تربطهما ويبدد كل السحب والمخاوف التي قد تساور اسبانيا في مجال من المجالات بسبب تطبيق قرار الامم المتحدة وانسحابها عن قواعدها في الساحل المغربي المواجه لارخبيل كناريا وبالفعل زار جلالته اسبانيا واجتمع (7) برئيس دولتها يوم الثلاثاء 1 يوليوز 1969 (15 ربيع الثاني 1389 هـ) وتغدى معه وتحادث واياه في جميع المشاكل التي تهم البلدين وفي مقدمتها مشكلة الصحراء المغربية السليبة ، وكذا في المشاكل التي تشغل بال العالم كقضية فلسطين وقضية الامن في البحر المتوسط ، ورغم ما ابداه جلالته من استعداد مملكته للتعاون مع الدولة الاسبانية تعاونا صادقا في جميع الميادين من غير استثناء وما اظهر من رغبة في توثيق عرى الصداقة بين شعبه وشعبها فان الردود كانت سلبية ، لان التخلي عن الصحراء في نظر الاسبانيين يعد انتحارا لهم ! ثم ان شعب الصحراء اختار مستقبله فعلا حسب ادعائهم وحمل بيعته وعقد تبعيته الدائمة لاسبانيا ، وقد استمر هذا الموقف السلبي الى ما بعد مقابلة جلالة الملك الحسن الثاني للسيد لوبيث براڤو وزير الخارجية الاسبانية بالرباط يوم الثلاثاء 5 مايو 1970 (28 صفر 1390 هـ) (8).

اما السعي لافساد ذات البين بين المغرب وموريتانيا والجزائر افسادا لن تستفيد منه الا الدولة المحتلة فقد وأده جلالة الملك الحسن الثاني في المهد بسياسة التعاون الصادق التي ينهجها ويؤكد عليها في التعامل مع الجمهورية الجزائرية وبسياسة التقارب والتفاهم التي لم يفتا يسلكها مع الجمهورية الاسلامية الموريتانية الشيء الذي افضى الى اجتماع تلمسان بينه وبين صاحب الفخامة الرئيس ابو مدين الهواري يوم الاثنين 27 مايو 1970 (21 ربيع الاول 1390 هـ) ثم اجتماع الدار البيضاء بين جلالته وبين صاحب الفخامة الرئيس السيد المختار بن داده يوم الاثنين 8 يونيو 1970 (3 ربيع الثاني 1390 هـ) وقد قرر رؤساء الدول الثلاث في كلا الاجتماعين تنسيق العمل لتحرير الصحراء المحتلة من طرف الاسبان وتصفية الاستعمار الاجنبي منها بناء على قرار الامم المتحدة المتعلق بها المتضمن مبدأ تقرير المصير لسكانها .

وآخر ما جد في الامر وأغربه أن الصحافة الاسبانية عادت في الشهور الاخيرة الى شنشنتها في تأويل قرار الامم المتحدة وتفسيره حسب هوى حكومتها وطمعها في بقاء الاحتلال ودوام الاستعمار باقليمنا السليب ، فمرة تزعم ان ليس هناك الا طرفان يعنيهما امر الصحراء : سكان الصحراء واسبانيا فقط ، ومرة اخرى تشير الى ان تقرير المصير يمكن ان يؤدي الى تأكيد سكان الصحراء لرغبتهم في بقائها اسبانيا وبقائهم اسبانيين متناسية ان قرار الامم المتحدة ينص على انهاء الاستعمار بالنسبة لشعب الصحراء وسائر الشعوب لا على ابقائه مقنعا بقناع الانضمام والاندماج .

وبهذا الصدد صرح جلالة الملك ايضا لمراسل مجلة « الحرية » اللبنانية الذي سأله عن هذا التأويل الاسباني لتقرير المصير بأنه يعتبر ان لا مكان لاسبانيا ولا لاية دولة اجنبية في افريقيا، لان الوجود الاجنبي بمثابة الاعضاء التي تفسل في الاجسام ثم ترفض عاجلا او آجلا كما دلت على ذلك عمليات افسال القلوب التي فشلت جميعها (9) .

(7) حضر مع جلالة الملك في هذا الاجتماع السيد ادريس السلاوي المدير العام للديوان الملكي ، والدكتور أحمد العراقي وزير الخارجية ، والسيد عبد الله الشرقي سفير المغرب باسبانيا ، والسيد ادريس بنونة رئيس التشريفات الملكية والسيد عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة .
وحضر مع الجنرال فرانكو السيد كاستيلا وزير خارجية اسبانيا والسيد ادواردو ايبانييث سفير اسبانيا بالمغرب .

(8) حضر مع جلالة الملك في هذه المقابلة السيد ادريس السلاوي المدير العام للديوان الملكي ، والدكتور احمد العراقي الوزير الاول ، والسيد عبد الهادي بوطالب وزير الخارجية ، والدكتور عبد اللطيف الفيلالي سفير المغرب باسبانيا ، والسيد ادريس بنونة رئيس التشريفات الملكية والاوسمة ، والسيد عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة .
وحضره السيد ادواردو ايبانييث سفير اسبانيا بالرباط مع وزير الخارجية الاسباني .

(9) ندوة جلالة الملك الصحفية بالرباط يوم الخميس 30 يونيو 1970 (26 جمادى الاولى 1390 هـ) .

وتجدر الاشارة الى ان الجواب عن المزاعم التي يروجها الاستعمار بشان رضا اهل الصحراء بالبقاء تحت حكمه لم يكن ياتي دائما من الحكومة المغربية التى يعنيها الامر قبل غيرها فى هذه القضية ولا من الدول المناصرة لقضية الحرية فقط ، وانما كان الجواب ياتي ايضا من اهل الصحراء انفسهم الذين كانت نخبتهم المقيمة خارجها تغتنم كل مناسبة تسنح للاعراب عن امانيهم الحقة ودحض اكاذيب المحتلين كما كان جمهورهم المقيم داخلها يؤكد بالاعمال تشبثه بالقومية المغربية ؛ وقد استطاع الصحراويون ان يسمعوا العالم صوتهم ويشهدوه على ما يلاقونه من نصب وعذاب تحت الحكم الاستعماري من خلال المظاهرات العنيفة التى جرت بمدينة العيون يوم 17 يونيو 1970 تلك المظاهرات التى خلفت عشرات القتلى والجرحى ومئات المعتقلين والتى آسفت شعب المغرب وحفزت حكومته الى استنكار عمليات القمع والاضطهاد التى قام بها جيش الاحتلال وجعلتها تقوم بمساعي لدى الحكومة الاسبانية ومنظمة الامم المتحدة .

وهكذا وضعت اسبانيا وجها لوجه امام مسؤولياتها ، لا بالنسبة فقط للمغرب الذى يسعى فى محو عار ورفع ضيم واحقاق حق عن طريق المفاوضات وبالوسائل السلمية ، ولكن بالنسبة للمجموعة الدولية التى صادقت على قرار الامم المتحدة ايضا ، فاما ان تذعن للحق بتطبيق مبدا تقرير المصير وفى ذلك حفظ كرامتها ورفعة قدرها وتوثيق شتى الروابط والصلات التى تربطها بالمملكة المغربية منذ اقدم عصور التاريخ والتى يحرص جلالة الملك الحسن الثاني على ان تكون دائما طيبة وسعيدة ومثمرة ، واما ان تستمسك بالباطل وفى ذلك ما فيه من استمرار جو التوتر والحذر بينها وبين جميع دول القارة الافريقية وجميع الشعوب المحبة للحرية والسلام فى كافة انحاء العالم الشيء الذى يأسف له كل عاقل .

ولقد كان قرب اجتماع الدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة وما اشيع فى الصحف عن عزم اسبانيا على تاسيس دولة فى الصحراء التى تحتلها او اجراء استفتاء فيها على الشاكلة التى تريدها من غير اعداد الاجواء السليمة لاجرائه كما هو منصوص عليه فى قرار الامم المتحدة داعيا الى عقد اجتماع جهوي بين دول المنطقة تنفيذا للقرارات المتخذة من قبل بشان عقد اجتماعات دورية واجراء المشاورات باستمرار على مختلف المستويات ، وذلك لدرس هذا المشكل والنظر فى كل القضايا والامور التى تهم المملكة المغربية والجمهورية الموريتانية والجمهورية الجزائرية ويتعين عليها ان توحد السياسة وتنسق العمل حيالها على ضوء مصالحها الخاصة ومصالح جمهوريتي تونس والسينكال اللتين هما الشريكتان المخلصتان والحليفتان الوفيتان لها ، فتقرر ان يعقد لهذا الغرض يوم 14 شتنبر 1970 بمدينة نواذيبو عاصمة موريتانيا الاقتصادية واكبر مراسيها اجتماع يضم جلالة الملك الحسن الثاني وصاحب الفخامة الرئيس المختار بن دادة وصاحب الفخامة الرئيس السيد ابو مدين الهواري ؛ وشهدت عواصم الاقطار المغربية الثلاثة خلال الاسابيع التى تقدمت تاريخ الاجتماع حركة ديبلوماسية واتصالات مستمرة لتحضير جدول الاعمال وتحديد المواضيع التى ستجري حولها المذاكرات والاستئناس بآراء الرؤساء الذين جرت العادة باستشارتهم مثل فخامة الرئيس السيد الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية ، وفخامة الرئيس السيد ليوبولد سيدار سانكور رئيس جمهورية السينكال الذى سنحت له – لحسن الحظ – فرصة ليعرج على المغرب يوم الجمعة 11 شتنبر ويجتمع مع جلالة الملك الحسن الثاني اجتماعا مطولا ويتحادث معه فى عدد من المواضيع الجهوية والعامة قبل ثلاثة ايام فقط من تاريخ اجتماع نواذيبو

وقد سافر جلالته من اكدير الى نواذيبو صباح يوم الاثنين 14 شتنبر ، ومر فى طريقه فوق الصحراء السليبة التي كانت بمن فيها وما فيها تتوق الى لقياه وتتطلع الى رؤية محياه ؛ ولما وصل الى الارض الموريتانية ، الى شكيط الحبيبة تلقاه فخامة رئيسها السيد المختار بحفاوة كبيرة دلت على كمال عقله وطيبوبة نفسه وحسن اخلاقه كما تلقاه شعبها كأحسن ما يتلقى الاعزاء واحتفوا به كأعظم ما يحتفى بالاحباء ورفعوا ايديهم واصواتهم عند مرور موكبه يحيون ويهتفون بمليك المغرب وسليل الرسول . وقضى جلالته يومه فى ضيافة صديقه الرئيس المختار يتذاكر معه ومع صديقه الرئيس السيد الهواري ويتدارس واياهما الطرق التى تؤدي الى تحقيق مطامح شعوبهم فى الوحدة والتعاون وزحزحة كابوس الاستعمار الجاثم على صدر الصحراء

المغربية بالوسائل السلمية دون تبييت نية للمس بكرامة دولة من الدول او التفكير فى التدخل فى شأن من شؤونها الداخلية .

وقد شاءت عناية ملكي المحبوب صاحب الجلالة الحسن الثاني ان يصحبني معه فى هذه الرحلة ويجعلني عضوا فى الوفد الذى يرافقه الى اجتماع نواديبو ، فأتاح لي مرة اخرى ان احضر اتصالا من اتصالاته الدولية واشهد مسعى من المساعي التى يقوم بها من غير انقطاع بقصد تحقيق الخير لبلده وتوطيد دعائم التضامن والتعاون بينه وبين اقطار المغرب العربي الكبير ودول افريقيا الغربية التى كانت الصحراء منطلقا يمر منها اليها وتمر منها اليه دون عرقلة اجانب ولا مراقبة دخلاء ، كما اتاح لي ادام الله له العز والسؤدد ان اتصل فوق ارض شنكيط بشعب شنكيط واستمع اليه يشيد بعظمة جلالته ويؤكد قوة الاواصر التي تصله بمملكته ويعبر عن الاجلال و لتقديس لاسرته الشريفة ، وانظر الى افراده يقبلون صورته المنقوشة على سكة بلده او المطبوعة على اوراق نقده ، ويتمسحون بثيابه ويتسابقون الى القعود فوق الزربية التي كان يجلس عليها .

وقد سجلت جميع ما سمعته او شاهدته خلال هذه الرحلة فى ذاكرتي ومذكرتي ، ثم استخرجت منهما اثر الرجوع الى مكان الخدمة ما يجب ايداعه فى (اليوميات الملكية) التى هي السجل الرسمي الذى تقيد فيه اعمال جلالته كر الغداة ومر العشي ، واذ ذاك ظهر لي ان امكن الجمهور من الاستمتاع ببعض ما وعته الذاكرة او قيده القلم عن يوم 14 شتنبر 1970 من ايام جلالة الملك الحسن الثاني ، فعزمت على ان انقلهم معي فى رحلة مكتوبة يشاهدون خلالها ويسمعون عن طريق القراءة بعض الذى شاهدناه نحن الذين كتب لنا ان نرافق جلالته وسمعناه عن طريق العيان والآذان .

وقد اضفت الى وصف ما شوهد او سمع اثناء هذه الرحلة عددا من المعلومات الجغرافية والتاريخية وطريته بشتى الفوائد الادبية المناسبة والحقت به بعض الوثائق السياسية التى لها ارتباط بموضوع الرحلة اعتقادا بفائدتها وتسهيلا على من يريد فى المستقبل الرجوع اليها والاستشهاد بنصوصها .

واني اصدر فى هذا العمل عن الرغبة فى خدمة وطني والتنويه بجهود وجهاد ملكي ، وتخليد ما يقوم به من اعمال آناء الليل واطراف النهار فى سبيل رفع شأن الامة المغربية وتحقيق التقدم والرفاهية لها وحل جميع المشاكل التى قد تقوم بينها وبين بعض الدول ، لان من الخجل ان لا تحل المشاكل بعد قيامها كما صرح بذلك جلالته يوم الاربعاء 19 غشت 1970 (17 جمادى الثانية 1390 هـ) للسفير الاسباني السيد ريكاردو خمنيس وهو يتسلم منه اوراق اعتماده ، اذ بحل المشاكل فى نطاق الاحترام وحسن التفهم وبالوسائل السلمية يزداد التقارب ويقوى التعاون بين الدول فى كل المجالات على ما فيه خيرها المشترك ، وذلك ما ينشده جلالة الحسن الثاني لعلاقات بلده مع سائر البلدان ولاسيما من كانت منه قريبة كالقطر الاسباني الصديق .

الرباط ـ عبد الوهاب بن منصور

وقافلة الأمة تسير

للاستاذ التهامي الوزاني

ذكروا ان الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ لاحظ من فتى فى مجالسه دائم الصمت ، فاراد ان يختبر دخيلة امره ، فالتفت اليه ذات يوم وقال له : « يا فتى ، لقد ذهب القوم على افراس وتركونا على حمر دبرة » .. فرد عليه الفتى بقوله : « ما اسرع لحوقنا بهم ان كنا على الطريق ..! » . هذه عظة صوفية تساق تحريضا على مواصلة العمل ، وهي مما يدخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام : « احب الاعمال الى الله ادومها وان قل » ، او كما قال صلى الله عليه وسلم . وكثيرا ما كان الاوربيون عندما يتحدثون عن النهضة والتقدم يقولون : انها خطوات وئيدة ولكنها راسخة متجهة نحو القصد والغرض .

لكن غضارة الشباب، والطموح الى العلى، وتأجج الحماس الوطني كل اولئك يحمل الناشئين على الرغبة فى زيادة السرعة زيادة لا تحدها حدود، ذاهلين عن القوانين الصارمة ، التى علمنا الله اياها فى خلق السماوات والارض فى ستة يام ، وتقدير اقواتها فى اربعة ايام ، والزمان عامل من عوامل البناء، وعنصر اساسي فى التطور والانتقال ، ولو طلبنا من مقاول ماهر يملك سائر ادوات التسخير ، ان يبني لنا دارا كبيرة فى اسبوع واحد ، وعرضنا عليه مقابل ذلك عشرة اضعاف ثمن البناية ، لاعتذر بان القدرة لا تتعلق بالمحال . وواجبنا جميعا ان نقف برهة وجيزة بعد كل فترة زمانية ، لننظر ما خلفناه وراء ظهورنا من مراحل قطعناها ، ثم ننظر امامنا لنعرف اننا فى منتصف الطريق . قطعنا منها حصة وامامنا آماد لا نهاية لها ، ليكون سيرنا مفهم ما فيه انه سير ابدي لا راحة معه ، ولذلك فانه لن يكون سيرا لا يبقى ظهرا ، لانه لن يقطع مسافات ارضية، ذلك لان الطاقات لها حد محدود ، والمهم هو مواصلة السعي . والسير فى طريق التقدم انما له حدان لا وسط بينهما : فاما سير الى الامام ، واما تقهقر الى الوراء . وليس هنالك وقوف ، لا تقدم فيه ولا تاخر .

وعند تفكيرنا فى السير علينا ان نمتد بقانون المد والجزر ، وبعد العمليتين نقيس الفرق بين المد والجزر ، فما كان الفرق ، فانه ان كان موجبا فهو ربح . وان كان سالبا فهو نقصان وخسارة . لكن الشبان يحتجون بان الملام يتجه على ان فى وسعنا ان نسرع اكثر دون جهد ثم نقصر الى حد يكاد يقرب من الاهمال .

هذه فى عمومها قوانين السير ، فى ظاهرها ، والعبرة انما هي بالفكرة التى نحملها فى ادمغتنا ، ونقدرها فى افكارنا : ومن الآفات التى تصيب السالكين من الصوفية، الاطمئنان الى مقام من مقامات السير. فهذه هي النكسة التى يصعب علاجها . وفى مجتمعنا يحصل نفس الشيء فى بعض الحالات، فبينما الامة فى جمهورها تتكبد الشظف والتقشف وبذل كل الجهود للوصول الى غاية يسعد فيها جميع

افراد الامة ، اذا بالمبكرين الذين وقفوا على بواكر معركة التجنيد التي كرست لها الامة المغربية سائر طاقاتها المالية ، والبشرية ، والفكرية ، والروحية ، فمالوا ق ى الركون الى ظاهرة الترف ، ظاهرة هي فجر كاذب وليست بفجر صادق ، لانها في حدود ضيقة ، في حين ان الرفاهية الصحيحة الصادقة هي التي يرتع فيها الشعب كله ، في مستوى مريح من الحياة الشريفة ، ووضعية العالم السعيد ، اما رجال لمسوا بوادر النتائج الاولى للمجهود الجماعي ، فجروا ناره الى قربهم ، وقالوا اموالنا نفعل فيها ما نشاء ، متناسين قصة قارون الذى امتجن مال الامة وقال اوتيته على علم من عندي . وكان الفرق شاسعا بين قارون وبين افراد امته حتى قالوا « يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم ، وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ، ولا يلقاها الا الصابرون ، فخسفنا به وبداره الارض ».

ان المغرب في حاجة الى توعية ومفتقر الى انتهاج اساليب الذين عرفوا كيف يتملصون من نشوة الحصول على الثمرات الاولى لجهود الجماهير . ولقد كان من الاسباب التي ساعدت على تكامل نشاة « الولايات المتحدة الامريكية » ان النظريات الفلسفية في الاجتماع وفي الاقتصاد كانت رائجة شائعة ، بحيث عرف الراسماليون الكبار كيف ينقذون الموقف دون ان يجتروا شيئا الا انهم احسنوا التصرف في توظيف اموالهم ، فاستعملوها في المنشآت الكبار واحياء المزارع الشاسعة ، واقامة المعامل المفيدة ، فأوجدوا العمل للامة، واحسنوا الى الايدي العاملة، ولم يأنف الراسمالي الكبير ان يشترك في العمل مع العامل البسيط والفلاح الصغير ، دون ان يعتصموا بالقصور المشيدة والصروح الممردة ، والمراكب الفارهة ، بل نزلوا الى معترك الحياة لم يغادروه ، ولم يجعلوا لنفسهم ابراجا عاجية تجعل من ابناء جلدتهم من يقول « يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم » ، وبنوا من اموالهم المدارس والملاجيء ، ودرس ابناؤهم جنبا الى جنب مع ابناء الصانعين والمباشرين للاشغال الشاقة .

ان المغرب يجتاز معركته الحاسمة في سبيل الخلاص من التخلف والتبعية الثقافية والاقتصادية، قصد خروجه من العبودية التي فرضها على نفسهم اللا مبالون ، وانكب فيها على وجوههم الذين استعجلوا طيباتهم ، وحسبوا انهم سوف يتمتعون بالرفاهية وحدهم وسط شعب يتصبب عرقا وينزف دما للحصول على اقل من كفاف العيش ، ونسوا ان الاستمتاع البشري انما يصح وسط امة كلها تعيش في مستوى من مستويات الرفاهية ، ليبقى للناجحين الكبار اعلى المستويات ، في حين يشغل افراد الناس المستويات الثانوية الاخرى . اما حرمان كامل من جهة ، ورفاه الى حد التخم من جهة ثانية فظاهرة انقرض جيلها ، وانما لها فلول في وسط هذا العالم الشرقي الذى كان انحطاطه ثمرة لقارونية تضع الخيرات كلها في يد حفنة من الناس ، بينما تبقى الجماهير في بؤس ما عليه من مزيد . ولعل من حسن نظر المترفين الجدد ، والذين فتحت لهم بركات الارض ببركة الاستقلال وتكافؤ الفرص ، لعل من الافضل لهم ان يوظفوا اموالهم في مؤسسات تعمل فيها الايدي العاملة ، ثم لا يستنكفون ان يركبوا الجرار للحرث ، ولا ان يقضوا بين زبر حديد المعامل الايام والليالي ، حتى يراهم العامل الصغير يكدحون كما يكدح ، ويتألمون كما يتألم ، ويشهدون مبلغ عناء العمل بنفسهم ، ليشفقوا على العاملين ، ويعملوا على التوسعة عليهم في احتياجاتهم الخاصة والعامة . وبهذا نبني امة موحدة متماسكة ، على اي اسس اردناه دون ما حاجة تدفع البؤساء الى الارتماء في الاحضان الهدامة للدين والدنيا ، ودون ما حاجة الى خلق طبقات متباغضة من امة واحدة . ولن يضيرنا النظام الديمقراطي او الراسمالي في شيء ، فان الله الذي فضل بعضنا على بعض في الرزق ، طلب منا ان نقتل روح التباغض عن طريق البذل في سبيل الخير ، والنزول الى مشاركة العامل في العمل، وسواء كان المال في الابناك والمصارف ، ام كان تحت تصرف الراسماليين الكبار ، ما دامت الاموال تصرف وتستعمل في مصالح الامة ، ويستفيد منها العاملون من ابنائها . وان الاسلام الذى احترم اموال الناس، طلب من اصحاب الاموال أن ينفقوها في وجوه الخير. وان مما يفسد الحريات ويذهب ببهجتها ان تستغل الاستغلال الشنيع . وما احسن حالنا حينما نتمسك بنظامنا الاسلامي في استمرار التمتع بالملكيات الخاصة ، ثم نجعل ذلك في سبيل ما ينفع الامة ، دون أن نعطي منها الا ما توجبه الفرائض الدينية والاجتماعية .

لعل القارىء يفكر فى علاقة هذه المقدمة بالموضوع التى تساق اليه هذه الكلمة ، وقد يسهل عليه الربط بين الامرين لو كان سبق له ان فكر فى طريقة تنظيف الافكار من الطفيليات النفسية حينما علم قاعدة التخلية قبل التحلية ، وحينما يوقن بان الحقوق فى مستوى واحد مع الواجبات، سيما وقد اخذ المغرب فى يقظة شاملة ، وتحفز لحياة مجيدة ومستقبل باسم ، ظهرت بوادرها فى هذه النهضة الجدية الحازمة ، نهضة لا يحفظها ويديمها الا سلوك صحيح فى سائر الميادين ، ولن يحل لاحد ان يرى ثغرة سهلة التدارك تعبث بهذا البناء الشامخ الذى يبنيه المغرب بنفسه ولنفسه ، تحت قيادة حكيمة لجلالة امير المؤمنين الحسن الثاني ، سيما ونحن نشهد اننا واقفون امام صخرة عاتية يجب ان ننحيها من طريق خلاصنا الوحيد . هذه الصخرة هي الموانع التى تصرفنا عن وحدة كاملة فى الاتجاه والعمل والتفكير . فالمغاربة احوج ما كانوا قط الى ان يضعوا نصب اعينهم عهدهم الزاهر ، وعصرهم الذهبي الآتي فى وقت قريب ، بفضل الله الذى فتح بصائر الراعي والرعية سلوك افضل مسلك سلكته امة سابقة فوفقت بها حيث هي اليوم من العظمة والمجد ، مع فارق كبير ، فى عمل الامس وعمل اليوم والغد : فبالامس كانت العواصم هي الآخذة بزمام القيادة ، والامة من ورائها تشكل فى اطراف البلاد وبواديها صدى الاصوات التى تدوى فى العواصم ، اما اليوم فاحرى الغد ــ فان البلاد كلها فى مستوى واحد ، تشكل طبقة واحدة من الشعور ، وربما كانت الاطراف احسن تلقيا من القلب الذى كان ينبض وحده فيتبعه البدن : فاي حق من الحقوق ، لا بد ان يتمتع به القاصي كما يتمتع به القريب . وقد اجاد امير المؤمنين نصره الله حين عبر عن ذلك فى قول من اقواله الرائعة : لم يبق هاهنا مغرب نافع ومغرب همل ، وانما هو مغرب واحد كله نافع. فالبلاد كلها متجندة لفائدة نفسها ، فيجب ان تبني فلسفتها على فكرة الواحد للجماعة والجماعة للواحد. ولن اكون مبالغا حينما اسجل على نفسي انني فى هذه الساعة التى اخط فيها هذه الاحرف واثق كل الوثوق من ان عملي هذا تتحمل معي امتي كلها كل ما له وما عليه . وانا خلية واحدة من مجموع اربعة عشر مليون خلية. فهو عدد قليل قد يصل عدد خلايا عضو واحد فى البدن اضعاف هذا العدد ، ومع ذلك فان لكل خلية اثرها ومفعولها ، ولمجموع نشاطات هذه الوحدات متجمعة تتكون الحياة العامة والنشاط البدني المركزي .

وانما اتقنت النحل شهدها ، وجمعت اخواتها ، اهازيجها واناشيدها ، واستنشقت عبير الازاهير، وشربت الرحيق السلسبيل ، لانها آمنة فى نظامها الاجتماعي من الانهيار والفوضى فللخلية يعسوبها القائم بمهمته الاساسية فى الخلق والابداع . وجميع العاملات يدبرن ما يقدمه لها يعسوبها ، من الاجيال المقبلة ، ليحضنه وتشفق عليه حتى تصبح امة النحل آمنة من الاحداث والطوارىء . وما يجنيه خباة النحل من العسل انما هو فضل زائد على الضروري ، قدمته هذه الامة الكادحة المرحة للخلق هدية فاضلة عن مجهودها ، لتقيم للناس الحجة على ان الامة الواحدة اذا جمعت امرها على البناء والانتاج ، فانها ستنتج اكثر مما تتوقف عليه فتقدمه لنفع المتخلفين المترددين .

من الحرام ومن اخبث الموبقات التاريخية ان نترك مراكزنا فى ورشات اعمالنا ، لنقوم بدور المهرجين المتسكعين ، الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا . وشر من ذلك ان يكون فى وسعنا انقاذ انسان من البطالة ثم لا نقدم له العون اللازم ليؤدي واجبه الاجتماعي فى امة رضي عنها التاريخ وحطمت السعادة بساحتها ، واول بشائر السعادة الاستقلال والحرية ، وانما هما بشيرا خير فقط ، اما الخير فهو يكافؤ الفرص الذى جنيناه من طرد الاجنبي ، ولن يحول بيننا وبين السعادة الا شيطان ينبعث من اعماق صدرنا فيقودنا الى الهاوية ، ويحملنا على الرجوع القهقرى ، فنعود الى شقائنا الذى اقترفناه بسوء ظن بعضنا فى البعض .

ان رياح السياسة الدولية تجري رخاء فى صالحنا ، وقد ادركت الامم التامة النضوج ان سعادتها لن تتم الا باسعاد الشعوب المتاخرة . وبدلا من ان يكون الاقتصاد قاعدة القواعد فى الاجتماع البشري ــ حسبما تراه الماركسية ــ فان التكوين الثقافي هو الذى سيكون له القول الفصل فى رأي جامعة الامم حسبما عبرت عنه منظمة «اليونسكو». وطالما اشتركت النظريات الفلسفية فى الركن الذى يسمى قاعدة القواعد ، فيجعل هو العماد ويؤزر بالمقومات الاجتماعية البشرية الاخرى . وكانت لنظرية النفعية صولة مؤقتة ، اوقدت الفتن ، واثارت الاحقاد ، واصبح الفرد يفهم ان يعمل

لسعادته بالطريقة الابيقورية ، وكل من وقف في وجهه كان عليه ان يحطمه ، ودخل القوم في جدل « ديالكتن » وارتكم بعضه على بعض ، وكانت النتائج حربين عالميتين خلفتا الاحقاد والخراب والعقد النفسية .

ونرى الراي العالمي الآن يحسب للمدرسة حسابها ، ويضع قضية التعليم في المكانة التى تخلف لنا المسيرين لشؤوننا في جليلها وحقيرها ، ويحل التعليم السلوكي الفكري والعملي محل الدماغ من الجسد والعقل من النفس . وسمعنا كلمة «اليونسكو» في ميدان العمل تلقى بين كبار الساسة، وكانت هذه الصيحة وامثالها انما تشغل بطون الدفاتر ويحملها في افكارهم رجال كانوا يحسبون قبل خمسين سنة انصاف مجانين (فلاسفة) فتقرر هذه المنظمة ذات الشان فيما تقرره : رفع مستوى التعليم ، وديمقراطيته ، وان يكون العلم سلسلة واحدة في حياة المتعلم ، بحيث تضمن له الدول دوام العمل لا يقطعه اي قانون اداري ، ولا يفصمه عجز ولا تقاعد ، فالتعلم مهنة دائمة بدوام صاحبها وعلى كاهل الامة والدولة الاحتفاظ للمتعلم بحاجاته ما دام على قيد الحياة . ولا تكتفي اليونسكو بعبارة ديمقراطية التعليم، التى تتضمن سكان المدن والقرى، بل تنص رفعا لكل شرح منحرف محتمل — على وجوب العمل لتنمية البادية ، بحيث تصبح القرية والمدينة من حيث المرافق والتجهيز والحقوق والواجبات والتصنيع في مرتبة واحدة مع البادية .

ومعنى هذا ان الدول عليها ان تعمل من الآن الى ما لا نهاية له على ادراج الامة كلها في سلك التعليم بكل شعبه العلمية ، والفنية ، والتقنية ، والصناعية ، والفلسفية ، فتصبح الامة كلها تشغل طبقة واحدة هي طبقة المواطن الصالح الكفء المتعلم . وواضح ما تتطلبه المدينة الفاضلة من مجهود بشري ومالي لايجاد قوانين تنسق بين مختلف المشاعر ، وتباين الاهواء . وان رجل الدولة سيصبح قيمة الحكيم المنسق بين هذه الجهود كلها في عالم صاف كالمرآة الصقيلة ، لا يتساهل في مثقال ذرة . وهذه سوف تكون المعركة التى تقضي على الانسان الوحشي الذى كان ولا يزال يالغ دماء الضعفاء ، مستعينا ببعضهم على ابادة البعض ، ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ، يفرحون بذلك ، لانه يجعل لامير المومنين من الصولة والمكانة مثل ما كان للخلفاء الراشدين ، الذين جعلوا مصلحة الامة مصلحتهم ، وراحتها راحتهم ، ورفاهيتها رفاهيتهم .

هذه احلام متوقعة ، وهي تحتاج لمعبر لها يقرب من المستوى اليوسفي ، الذى كذب بعلمه وحسن تعبيره المتسرعين بحكمهم حين قالوا اضغاث احلام وما نحن بعالمين ، وكان قولهم حجة عليهم لا لهم ، فلو انهم اكتفوا بقولهم : ما نحن بتاويل الاحلام بعالمين ، لكانوا علماء مجيبين بلا ادري وهي نصف العلم — لانها تدل على التربية العلمية التى لا تستنكف الاعتراف بالجهل حين لا يكون لهم بما سئلوا عنه علم — لكنهم سبقوا الاحداث ، فقالوا اضغاث احلام، وهذا حكم ،لكنهم ادركوا انه قول لا يستند على مستند ، وانما هو كلام ألقي على عواهنه . فلما جاء يوسف الذى علمه الله تاويل الاحاديث ، انقذ الموقف ، وكان بطل احداث الشرق الادنى ، وكم احيا الله به من نفس كانت هالكة لولا ثقته بان هذه الرؤيا انذار مما وراء الطبيعة لابناء الطبيعة ، وفي الوسع التخفيف من حدة ازمة المسغبة اذا اتبعت الاساليب الحكيمة بعلم وحلم وحسن تدبير . فان الكون كله حقائق ليس به من احلام ، وكيف يقال انها احلام وهي تاتي كفلق الصبح .

ان المسلمين الذين لهم نفوس تستشف ما وراء استار اليوم مما يتجلى في الغد يرجون غدا أفضل. واذا كان العصر الاول لظهور الاسلام يمتاز بشدة الايمان ، فان الغد سوف يعتمد العقل ، وسوف ينظر العقل الى الحق المحض ، ولن ينهزم القرآن امام العقل : لان القرآن نور والعقل نور ، فهو نور على نور . ومهما كانت الاحداث والظروف غير مواتية ، والشرق العربي يعاني محنة التقطيع والبتر من اطرافه، فان الرابح لن يكون هو الصهيونية باحيالها واختلاسها وعدوانها ، وسوء رأيها في الشعوب غير اليهودية . والرابح انما هو العالم الاسلامي الوديع ، الذى يحسن الظن بجميع الناس . فان هذا التفتح الذى تفتحت به العقول سيجعلها تختار الحق والخير والجمال ، بمعاييرها الصحيحة الثقيلة الوزن . واذا كنا موقنين باقبال عصر العلم والمعرفة ، فيلزم أن نكون موقنين ايضا بان العقل سوف يجد من الظروف المواتية ما ينظر به الى الحقائق المجردة عن البهرجة والتضليل . واننا واثقون اننا امة تحب الخير وتومن بمبدا المحبة، وترغب في حياة هادئة عاملة صالحة .

هذه هي الاطر التى تتراءى لنا فيها سيرة امير المؤمنين مولانا الحسن الثاني نصره الله بالمغرب بمناسبة اقتراب يوم ذكرى جلوسه على اريكة اسلافه والذي حباه الله همة قعساء ، يصح ان نردد فيها كلمة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله : فقد ذكر مؤرخوه انه قبل الخلافة اشترى حلة بمائتي دينار فاستخشنها ، فلما

جاء الخلافة او كانت له قدرا
كما اتى ربه موسى على قدره

عرضت عليه حلة بعشرة دراهم فاستغلاها . فقيل له فى ذلك فقال : كنت طموحا قبل الخلافة ، فلما جاءتني لم تملأ اتساع مطامحي ، فعلمت ان الدنيا كلها ليست بشيء عند صاحب الهمة العالية ، وانما تنال رضاها فى رضى الله وما اعده لعباده الصالحين .

ومن لدن تقلد مولانا الحسن الثاني شان رعيته المغربية وهو يعمل على رفع مستواها لا يرتاع لما يراه من تدهور فى مرافق الحياة ، ولا يستهول رقة الدين عند الانحرافيين ، بل ان دراسته العميقة للامة التى يدير سكان سفينتها ، متجها بها جهة بر السلامة فى تجارة رابحة وسوق رائجة ، جعلته هذه الدراسة متبصرا بعلل نفوسها ، عارفا بحاجاتها ، فتقدم — حين تقدم — الى شؤون الملك وله مخطط يريد ان يطبقه بكل امانة واخلاص ، واثقا بان الله معه وان النصر سيكون حليفه ، كما كان الله معه وهو تحت احضان والده المرحوم بكرم الله مولانا محمد الخامس رضي الله عنه انه لم يلبس مسوح الرهبان ، ولم يغير شيئا من عاداته الحسنة ، بل هو امير المومنين مثله يوم كان ولي العهد ، ومثله كان فتيا وقبله كان صبيا . يعيش عيشة طبيعية لا صناعة فيها ولا تحذلق ، وتوجب عليه مهمته كملك عظيم الشان ان لا يبخس المهمة التمثيلية لامته حقها ، ولقد عالج كبريات المسائل وحل كثيرا من المشاكل ، ومن العقد ما يتوقف حلها على قطعها ، كعقدة الاسكندرية ، التى قصمها الاسكندر بسيفه عندما راى ان القطع هو السبيل الوحيد لفسخها .

ومن العسير جدا ان نطالب التاريخ بان يتراجع القهقرى ، ولكتفي منه بان يمكننا مما بقي فى وسعه ان يناولنا اياه . وعندما راينا مخطط العاهل يشتمل على بناء السدود بما تتطلبه من جوانب وامتداد ومرافق، بيد انا شاهدنا المعجزة تلو المعجزة تتحقق . وخامرنا الريب فيما عسى ان يقدمه المغرب الحر المستقل للاقاليم الجافة والصخرية وها نحن نشهد جوانب من اقاليم ورزازات وقصر السوق ، واكادير تتطاول ، وعما قريب ستتاكب الاقاليم الشمالية القديمة الانتاج .

وجاءت مسئلة الحدود ، وكانت كافية لقطع الارحام ، وحسبنا قضية توحيد المغرب العربي الكبير امنية بعيدة التحقق ، فها نحن نرى بوادر النجاح ، ونشهد التقارب يزداد كل يوم استحكاما بين اجزاء امبراطورية يوسف ابن تاشفين وعبد المومن ابن علي وعبد الحق المريني ، وهي فى تقدم الى ان تصبح وحدة معنوية ومادية بحيث لا تبقى الوحدة الادارية الا شكلا صوريا لا يقدم ولا يؤخر . وجاءت مسئلة «موريطانيا» وكانت عقدة العقد !.. وكيف يتصور المغربي مواطن المرابطين تنسلخ عن المغرب الاقصى ؟ لكن العاهل المغربي استطاع ان ينفلت من آصار الماضي ، وكان واقعيا وعمليا ، وقارن بين القطيعة التامة ، وبين استبدال لقب الاخ بلقب الصديق ، فآثر اخف الضررين ، وصافحنا مواطنينا بشعار جيراننا ، وظلت الحقائق هي الحقائق ، وان وقع تعديل فى الالفاظ ، وللضرورة احكام .

ان عناصر الانحلال والضعف بدات نشاطها فى عهد ازدهار امبراطورية مراكش ، واخذت تتصلب وتقوى حتى جاء انهيار الاستعمار وطمى السيل على الاخضر واليابس . ولما قيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ، ظهر البر بعد الفيضان فى شبه ارخبيل تفصل المياه الطامية بين اجزائه ، ثم لا يزال السيل فى تراجع ولا تزال مجموعات الجزر الصغرى تتحول الى جزر واسعة النطاق ،ورغم ظما اقطار الشمال الافريقي الى عذب وحدة كاملة شاملة ، فان التروي فى الاقدام على كبريات المسائل يجعل تحققها منتجا غير عقيم . ولقد شاهدنا وحدة قامت فى جهات من افريقيا والعالم العربي ، وكان قيامها لم تسبق بتمهيد وسبر العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والقضائية . فاذا تلك الوحدات المحبوبة ترتطم بصخرات منتظرة ومنتظرة . والامة العربية جسم واحد وشعور واحد ، ويجب ان نعتبر جميعا

وتفادى الاغلاط . اذ قبل الوحدة السياسية يجب ربط سائر المصالح بصور مؤتمرات ومعاهدات ولقاءات ، وبوحدة الاصلاح فان صنع على اساس ان يدرج في قائمة بناء الوحدة الكاملة . ولن يضيرنا في شيء ان نلتجيء الى نظام اللا مركزية بصورة مكبرة واسعة ، ولعل نفسنا نعيش في نظام ولايات متحدة ، تربط بين اجزائها كل شيء ما عدا شيئا واحدا وهي نظام الحكم . وهذا افضل الف مرة من ان نتوحد في الحكم دون ان نتوحد فيما عداه .

ومن هذا العرض الوجيز يتضح أن المغرب يجتاز اوقاتا صعبة وظروفا عصيبة ، كسفينة في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض . اذا اخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور . لكن الله جعل لنا ـ فضلا منه وكرما ـ نورا يسعى بين ايدينا وبايماننا هو الثقة بالله في انه مؤازرنا في معركة المصير السعيد ، واقبال معظم الامة على ما ينفعها في عاجلها وآجلها .

ورغم اختلاف نزعات الناس ، والحاح نزغات شياطين الجن والانس ، فان الشعب المغربي أبره على قوته النفسية بمحافظته حتى في احرج اوقات ضيق الاستعمار على رباط وحدتنا الاساسية وهو هذا العرش المجيد ، الذى قادنا الى انتصارات ايام الرخاء ، واخذ بضبعنا ايام الشدة . وكان الناس يحسبون ان المرحوم سلطان المغرب مولاي عبد الحفيظ قد أساء صنعا بتوقيعه على معاهدة الحماية ، حتى اذا مرت السنون سراعا اتضح ان هذه الوثيقة كانت نقطة انطلاق ، ودرجة الى الانعتاق . ورغم ما تكبده المجاهدون المغاربة الابرار في سبيل استرجاع حريتهم واستقلالهم ، فان محنتهم كانت ايسر من محنة القطر الجزائري الشقيق ، الذى بدا معركته ثورة عارمة لا تعتمد الا على الحق الطبيعي لكل مجتمع بشري في ان يقرر لنفسه المصير الذى يختاره ويرضاه . في حين وجد المغاربة نقطة انطلاق ، فاذا بالجالس على العرش يلهمه التوفيق ان يقود بنفسه معركة الانعتاق ، فكافح مولانا محمد الخامس رضي الله عنه كفاحا بواه مكانة المناضل الاول والقائد الاعظم ، فما قبضه الله اليه حتى رأى الثمرات الاولى لجهاده وجهاد شعبه ، وكانت هذه الثمرة هي الحرية والاستقلال . والتاريخ يشهد ان هذه النتيجة الحتمية كبدت البلاد أهوالا يشيب لها الرضعاء .

وصرح عدة مرات برايه مرددا عبارة الحديث النبوي .. رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر . ويمكن القول ايضا بانه رجوع من الجهاد الذى له نهاية الى جهاد ليست له نهاية ، وهو جهاد الترقي في سلم الحضارة ، والعمل على رفع مستوى البشرية الى غاية ايجاد الانسان الكامل .

وفارق قائدنا الاكبر مولانا محمد الخامس رضي الله عنه هذا العالم والمغرب منهمك في حملة الترميم واصلاح ما افسده الاستعمار ، وفي هذا الميدان اختاره الله سبحانه لجواره ، فقام بالعبء الثقيل ولي عهده وورث سره امير المومنين مولانا الحسن الثاني . ومن أول يوم ، بل ومن لدن نعومة اظفاره وهو يكافح ويعمل لرفع مستوى امته . فلما

اتتـه الخلافـة منقـادة تجرجـر حولـه أذيالهـا
فلـم تـك تصلـح الا لـه ولم يـك يصلـح الا لها

اذ ذاك ايقظ ليله ، وجفا راحته ، وقاد امته في نضالها ضد التخلف . وفي كل مناسبة من ذكرياته العظيمة يقف المغرب يحاسب نفسه على ما قدمته من مجهود بقيادة عاهله الثاني مولانا الحسن الثاني . ووصف جلالته بالثاني يصح لمعنيين ، او هو من باب التورية ، كما ذكر علم البيان : التورية اطلاق لفظ له معنيان قريب وبعيد ، كل منهما يناسب السياق : لكن ابعدهما أعمق من اقربهما . فهو الثاني من ملوك العلويين في سلك من اسمه حسن . وهو ثاني ملوك الاستقلال : اولهما : مولانا محمد الخامس ، وثانيهما مولانا الحسن الثاني .

ولو قلنا ان المغرب انتج في عهد الحسن الثاني الى الذكرى الحادية عشرة لجلوسه على العرش ـ يعني عشرة اعوام ـ اذا قلنا انه قد أنجز في هذه الفترة اكثر مما انتجه المغرب السابق في مائة سنة لما كنا مبالغين : واذا كانت عوامل التقدم متعددة الجوانب، فان للتخطيط والتدبر المرتبة الاولى في هذه المسيرة الزمنية المباركة . على ان المغرب كلما خاض لجج التقدمية والنمو ازداد قوة ونشاطا لمواصلة عمله الانشائي الجبار . وقد لمست البلاد قول الشاعر :

واعظم ما يكون الشـوق يومـا
اذا دنت الديـار مـن الديـار

وكلما ادرك المغاربة ثمرة مجهوداتهم ازدادوا شوقا الى الاستكثار ، وقوي رجاؤهم في ان يسايروا القافلة التي بدأت سيرها من لدن عدة قرون. وان مما شجعهم على المضي من خطتهم الحازمة النشيطة انهم اتصلوا بالعالم ، وطويت لهم الدنيا يتبوأون منها ما يشاؤون ، وفتحت لهم اوربا ابواب الشغل والعمل ، فاستفاد ابناء المغرب فائدتين: عاجلة وآجلة : فاما العاجلة فاجور العمل المرتفعة في مستوى العامل الاوربي .. واما الآجلة فحصولهم على مهارات ، واطلاعهم على الاساليب التقنية في الغرب ، ولاسيما في المانيا الاتحادية الغربية . وهكذا يسير المغرب قدما في سبيل الحضارة ، ويرقى مراقي هامة في ميدان الترقي . وكل خطوة الى الامام تضاعف حسنتها الى عشرة امثالها : فالعمل في الخارج حسنة واحدة لعاملها ، لكن الجزاء يكون عشر امثالها : اجر صالح ، وتعلم لغة حية ، ومشاهدة المجتمعات الراقية كيف يكون سلوكها ، والتفرج على بلاد اخرى من بلاد الله ، وتخفيف شدة الغرور ، ومشاهدة مختلف النظم البشرية بصفة مطبقة ، وكيف يحيي كل امة طبقا لتقاليدها وتربيتها ، ومعرفة ان الاوطان لا ترقى ابناءها ، وانما ابناء الوطن هم الذين ترقون به الى حيث منزلتهم العلمية ، ومعرفة قيمة الوطن الذي تعرفك احجاره وبلاده واناسيه ، وفتح باب الذهن لتقبل جميع الحضارات وافراغها في بوتقة اوضاع المجتمع المغربي الكريم . هذه وهذه خصال تنال من نقطة واحدة وهي العمل في الخارج . واعظم من ذلك العمل في الداخل باخلاص ونزاهة ، ولحسن اثر المجهود المغربي في بناء وطنه .

هذا هو سجل « امير المومنين الحسن الثاني » نصره لله مكتوب بسجلات السدود ، وسطور السواقي المتعرجة بين المزارع والحقول . وبمقدار ما يرتفع مستوى المعيشة المادية في ميادين الزراعة والتجارة والصناعة والتعمير ، يرتفع المستوى الفكري في هذه المدارس والمعاهد والثانويات المشتبكة في كل سهل وجبل من المغرب العزيز . ولم يبق البدوي ذلك الفلاح البسيط المحافظ على الاساليب العتيقة في عمارة محارثه وتربية مواشيه ، بل كثر فيه رجال آخذون في نقل الفلاحة من دائرة الحراثة الى نطاق الصناعة التي تتدخل في النبات والحيوان فتقوى الانتاج ، وتسهل العمل ، وتعالج الآفات والاضرار، وتغالب – عن طريق السقي – صعوبات القحط وقلة الامطار .

ان المغربي يشعر بانه غيره بالامس ، ولم يبق بينه وبين ماضيه الا الاواصر الكريمة الروحية ، اما مصاعب الحياة ومشاكل الاعمال اليومية فقد نقصت الى درجة يغبطها عليها السابقون . واذا كان امير المومنين مولاي الحسن بن محمد بن يوسف ثاني ملوك الاستقلال ، فانه اول ملوك الدستور ، واول محدث للبرلمان بالمغرب . وهو مجدد « اكادير » ورائد « سيدي يفني » ومعيد عهد السكر المغربي ، ومعيد بناء مزار مولاي ادريس ، ومرمم قصور فاس ومراكش .

في عديد من المآثر والتشييد ، وهو اول من جعل من المغرب بلدا نافعا كله ، وابطل خرافة التفرقة بين مغرب نافع وغير نافع . وجلالة مولانا الحسن الثاني ، اول ملك مغربي اوجد في المغرب محطة فضائية لاطلاق الاقمار الصناعية ، وثاني ملك اوجد السكر المصفى بصورة واسعة النطاق . وبصورة عامة فانه الملك الاول الذي اوجد كثيرا من الصناعات العصرية المعقدة في بلاد المغرب . وكل ما ينتجه المغرب من مجهودات وثروات ابنائه في هذه الفترة الهائلة من تاريخ المغرب وتاريخ العالم . وكما يمثل الدولة رئيسها في الواجبات فانه يمثلها كذلك في الحقوق . وكما يمثل الجنود المجهولين جندي واحد مجهول ، يمثل المعروفين رئيسهم الاول . وقديما قال الصوفية : اذا اراد الله ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك .

ان المغرب ظل راكدا اكثر من اربعمائة سنة ، كان خلالها يسير سيرا رتيبا متشابها ، لا تختلف فيه فترة عن اخرى الا بتغير اسماء الملوك والولاة والحكام . لكننا معشر المخضرمين – وقد عشنا اخريات عهد الاستقلال السافل الى حضيض الحماية، ثم عشنا ايام الحماية وكنا نظن انها غير منتهية لثقلها وشدة وطأتها على قوم ورثوا الحرية عن آباء كرام ، فاحيانا الله حتى انقشعت ظلمات السيطرة الاجنبية، وتحرك العرش المغربي الراكد – قلنا معشر المخضرمين :ان الزمان تبدل ، وتبدلت الارض غير الارض والناس غير الناس ، وتغيرت المقاييس واصبح المغرب مغربا جديدا بكل ما فيه حتى ساكنوه

الذين يشكل الشبان الذين لا يتجاوزون الخامسة والعشرين من عمرهم اكثر من نصف سكانه ، فيما يظن الحاسبون ، وسوف نخرج من الظن الى اليقين — بعون الله — بعد ان كتم الاحصائيات المدققة رسميا وعلميا. وحتى اذا لم توضع جداول للمقارنات بين الطرق الاجتماعية بين طرفي القرن الرابع عشر الهجري عن طريق التسجيل ، فانها في اذهاننا حية ماثلة . وإذا كنا في باب المعادلات والمقارنات فانها لن ترضي احدا الى غاية رضاه ، ولن تسخطه الى اقصى سخطه ؛ لان العادة ان هذا الكون في اغلب ادواره، وسلوكه في القسم الاعظم من تصرفاته ، ياخذ مثل ما يعطي ، ويعطي مثل ما ياخذ « ولن تجد لسنة الله تبديلا » . لكننا اذا كنا طيبي النفس عددنا المحاسن واغفلنا المساوىء ، نقفاها ولا نتساهاها ، ولكل مقام مقال . واذا كنا مغاربة اقحاحا ، فان المثل الذى خلفه لنا التاريخ ارثا عن اسلافنا يقول « الفرح سبق الترح » وقال القائل :

خذ من زمانك ما جاد الزمان به
ومن خبا بعض ما يهوى فقد سعدا

لقد خرجنا من نكبة الاستعمار كالخراج من اطلال ارض خسف بها ، كل شيء فيها مهشم محطم : فما كان لا يزال من تظلمنا ناقصا فمن مخلفات الاستعمار ، التي سوف يتغلب المغرب — ان شاء الله — على محوها حتى لا يبقى منها اثر ولا عين . لكننا — ونحن في طور الترميم والبناء ، لا نزال نعمل لرفع الوزر الذى انقض ظهورنا . وقد يكون التعفن ينحدر مما قبل السيطرة الاجنبية على بلادنا ، فهو لذلك وزر التاريخ لا وزر الاستعمار . ولذلك فان واجب المؤرخ والاديب المغربيين ان يتتبعا الخبائث بتصوير بلاياها ، وتشويه مظهرها ، سواء كان المصاب بها آتيا من الاستعمار او مما قبل الاستعمار . وحتى عهد الاستقلال — على ما له من حسنات — اتى بمنكرات كبرى يلزم الاجهار عليها قبل ان تعرق وتورق . وبالجملة فان المغاربة فى هذه الفترة المباركة من البناء والتشييد عليهم ان يحاسبوا انفسهم حساب الصوفي ، ويدققوا معها تدقيق العالم النفساني ، الذى يضرب الى الاعماق ليكتشف العقد قصد علاجها ، وهل السرطان الا عقدة جسدية تفتك بالبدن وشر من هذا الداء الوبيل سرطان الافكار والسلوك المنحرف. وكما اوجد المغرب لنفسه كثيرا من مستشفيات الابدان ، وان جهده فى هذا القطاع مجهود جبار ، ورغم ذلك فانه لا يكفي لاحتياجات البلاد الا فى نسبة يجب ان ترتفع كثيرا لتبلغ المستوى المرجو . اما امراض الفكر فان اطباءها اعز من بيض الانوق ، ان لم يكونوا اعز من عنقاء مغرب ..؟ وكيف يصح لنا النهوض ، وانما ننهض بالبدن ولا ننهض بالروح الذى يحرك هذا الجسم ..! وكم تدهن المسلولة وجهها بالاصباغ والمساحيق ، وتتغافل عن جنبتها وبين اضلعها رئتان مسلولتان ، تسوقانها الى البلاء او تجرانها الى القبر .

ان فى دراسة الميزانية العامة للدولة لعبرة للمعتبرين: وقد اعتنى العلم الحديث التوازن ، وسجل اغلب متطلبات الامة ، وفتح باب التعديل بالزيادة والنقصان وتغيير الشكل — وبسائر وجوه جمع التكسير — حتى تكون الميزانية مستوعبة مرنة ، يظهر من خلالها جدية تصرف الدولة واهتمامها بتتبع حاجات مجتمعها . وان الوقت الذى يصرف فى تحضير الميزانية لوقت طويل ، تعمل فيه سائر اجهزة الدولة ، لان الامر يتعلق بتدبير معاشها سنة او اكثر . وان الاعتناء الذى يلقاه ويجده اعداد الميزانية ليستحق التقدير والاحترام . لكنه على كل حال يتناول الحياة المادية وحدها ، فى حين ان الانسان جسد ونفس ، وعقل وروح . ولن تصلح امة الا اذا صلح ظاهرها وباطنها . وفى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ،الا وهي القلب (العاطفة) ولكي تكون حضارتنا حضارة متكاملة ، فانها لن تكون كذلك الا اذا اعددت ميزانية للسلوك بنفس الجدية والجهود التى تبذل فى تحضير الميزانية المادية . ويكاد حظ الفن يكون معدوما من اغلب ميزانيات الدنيا ، واذا وقع به اهتمام فمن درجة متاخرة .

فاذا قدرنا الاستعداد لتحضير الميزانية ، واذا فرضنا صيغها بصبغة المرونة وفتح الباب امام المتطلبات الجدية ، فان علينا اولا ان نضع اسما اعم ، وليكن مثلا .. تخطيط متطلبات الامة فى سنتها المقبلة .. ثم نتناول الموضوع بحسب تنوع السلوك، ومتطلبات الامة من انواعه : سواء كان سلوكا اقتصاديا، او تهذيبيا ، او توعية شاملة ، او آدابا اجتماعية ، او لهوا بريئا، او غير ذلك مما نشهد ضياعه والتفريط فيه مع انه من مقومات كل امة . ثم توزع التوجيهات

الى انسانية والى اسلامية ، حتى يعلم الانحرافيون ان انحرافهم عن الدين لا يخلصهم من المتابعات الانسانية ،فان شاء ان يكون مسلما فامامه الآداب الاسلامية بصبغتها الموتية لها . وان اعمى الله بصيرته وجفا دين آبائه واجداده ، فانه مطالب بالسلوك الانساني العام ، وكثيرا ما يكون صارما فى درجة الدين او تقرب منها . واننا لنشيد ونبني ، وفى نفس الوقت نرى الانهيار الخلقي يتفاحش كل يوم اكثر من سابقه . ولن نكون فعلنا شيئا اذا بنينا البناء وتركناه للمخربين . واذا تفشت هذه الاباحية الهدامة ، على الصورة « الهيبية » التى تسخر من العمل والشاغلين، وتحقد على العمران والتدبير ، فان هذا البناء الذي يبنيه المغرب لمستقبله التاريخي سوف يتخرب بمقدار ما تتسع الافكار الهدامة . وانحصين هذه المنشآت التى يبنيها المغرب من جوعه وعرقه ، ليضمن مستقبله السعيد ، يلزم بناء سلوكيين حريصين على الامجاد ، يقدرون قيمة الانسان بما ينتجه وبما يحافظ عليه ، حتى انه ليحافظ على كل اثر عتيق قديم . وان المحافظة على الآثار القديمة لتربي فى النفس الحرص على سلامة هذه الثروات البشرية ، التي خلفتها الايدي الغابرة . واذا كانت الدولة جادة فى التعمير والانشاء ، فلن تخاف من الزلازل والفيضانات مثل ما عنيها ان تتوقعه من هؤلاء الانهزاميين العجزة ، الذين لم يستطيعوا مجاراة الايدي العاملة ، فانتقموا منها بالاستخفاف منها ، ثم هم سينتقمون منها بتخريبها واهمالها، حتى تتقهقر الانسانية الى عهدها الحجري، وعصرها الطرائي .

يتعلم التلاميذ جمع المجموعات الاثرية من كل شيء لتنمو فى نفوسهم غريزة حب التعمير ومآثر الحضارة البشرية . وان جلالة مولانا الحسن الثاني ليعطى الناس درسا واعيا ، فى تشييده لمدفن والده والاسرة المالكة من ذريته ، فقد قدم للمغرب قطعة فنية من انتاج الايدي المغربية ، تكفي مراجعتها لادراك ما وصل اليه الفن فى المغرب فى السنوات الاولى من ايام الاستقلال ، ولتظهر الموازنة بينه وبين الماضي ، حتى تعلم الاجيال الآتية أن ملوك الاستقلال حافظوا على المجد التاريخي وزادوه رفعة وكمالا وجمالا . وان الاموال التى تنفق فى سبيل الفن ليست من الترف والزهو في شيء ، بل هي مدخرات ابدية ، عمل فى بدايتها عمال ماديون ، وكلما طال امد العمل كثر عدد النابغين ، فهي معاهد صناعية عليا لتخريج المهرة فى فرع من فروع الانتاج الانساني الخالد . ثم هي من الاماكن الاثيرة الاثرية التى يقصدها السائحون ، فتدر ارباحا طائلة . بل ان المبانى الفخمة لتغل اكثر مما تغله المباني الشاهقة ، ذلك لانها متاع للانفس وليست قضاء حاجات ضرورية . ومن الغلط ان يحسب الانسان الاسراف فى التقشف مما يسهل الحياة العامة فى مجموعها ، بل ان الترف فى بعض وجوهه يفتح عناصر الذكاء فى الانسان ، بمقدار ما يحملها على الخمول حياة التخلف والتقشف . والاعتدال بين الطرفين دائما وابدا هو الفضيلة : فليس الترف الزائد بحسن ، وليس التقشف الدائم الشديد بنافع : والخير انما هو فى حياة وسطى خالية من ميوعة الرفاهية ، وبريئة من وضعية بليدة كاسلة ، تقنع بلقط الفتات ، والحياة صراع ومنافسة ، والهمة العالية لا تركن الى التافه حبا فى البقاء ، بل تطلب المجد وتشتهي مجابهة الاخطار . اما الانحرافيون فشر ما هم احباط الخطط المحكمة ، ونقض مبرم الصالح ، وانهم ينجحون بعض النجاح بوسائلهم التى لا تتورع عن الدس والوقيعة والغيبة والنميمة . ولابد ان توجد فيهم عناصر قابلة للتهذيب والاصلاح بوجه من الوجوه ، ولو كانوا صادقين فى الحادهم لقاموا بواجباتهم الانسانية ، وهي لا تختلف الا شكليا عن الوازعات الدينية . وشاءت الاقدار وعاشرنا النصارى ، فى اقبح وضعياتهم وهي انهم كانوا يمثلون الاستعمار الغاشم . ولكن حينما يكون الامر لا يتعلق بالسياسة — التى ابجديتها مقاومة الاستعمار وحب الحرية — عند ذلك نجد فيهم الانسان المهذب الذي يعطف على اليتيم والمسكين . ويكره الظلم فى غير ما يرجع الى الاستعمار ، ويحبذ المشروعات الخيرية ، ومن افضل ما كانت تدفعهم اليه انسانيتهم ان جارهم كان يامن بوائقه . وان اطفالهم يحترمون كبار السن ، ويؤدون واجباتهم المدرسية والاجتماعية احسن ما يكون الاداء، حتى اختلط على العامة الامر، فصاروا يتحدثون بأن هؤلاء النصارى قائمون بواجب الاخلاق الذى حض عليه الاسلام . وغاب عنهم ان هناك قوانين انسانية كانت المفتاح الاساسي لقيام الاسلام: فقد عرف مشركو العرب صحة الاسلام لانه يحث على مكارم الاخلاق ، وان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لابد منتصر ، لانه يحدب على الضعيف واليتيم ، ويعين على نوائب الزمان ، ويصدق الحديث ، ولا يخلف الميعاد ، ولا يخون امانته .

فمن هذه الاخلاق الانسانية تسرب حب الاسلام الى الاغلبية الساحقة من المسلمين الاولين . وعسى ان نعود الشاربون بشكائمهم الى الاخذ بفضائل الانسانية ، ومنها ياجون باب الاسلام من جديد ، فليس هو الا اطار صادق يربط نثير الفضائل، ويجعل من الاخلاق العالية سمطا محكم النظم والتنسيق .

هذه مشاكل المغرب وغيرها كثير ، وهذه الغزوات والسرايا التى ستشنها النفوس المغربية الفاضلة بقيادة العاهل العظيم مولانا الحسن الثاني سدد الله خطاه ووفقه مستقبلا كما وفقه فى جلائل مشروعاته الصالحة ، وبارك فى ولي عهده مولاي محمد وباقي اعضاء الاسرة المالكة

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

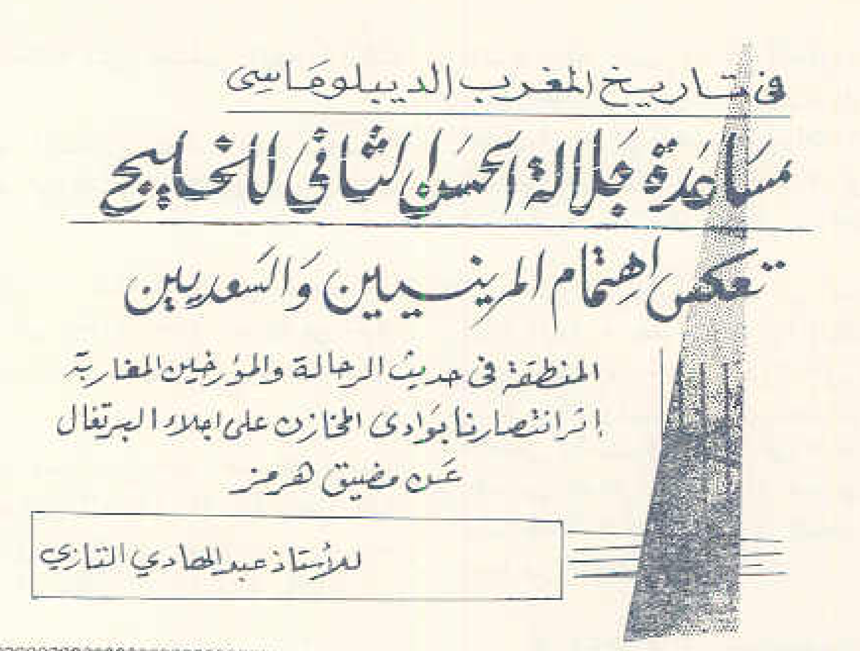
فاللهم منك نستمطر سحائب الرضوان ، ومن كرمك نستوهب الرشد فى افكارنا وسلوكنا ، ومن بحر كرمك نغترف الهداية والسداد ، حتى نصبح جديرين بقولك فى محكم كتابك « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » اللهم ايدنا بروح من عندك ، وانزل علينا ملائكة تاييدك حتى يتغلب العالم الاسلامي والعربي على هذه المحن التى يجتازها من تكالب الصهيونية عدوتك وعدوة خلقك . ومن تشتت الكلمة فانما الامر بيديك ، وقد عجزنا عن توجيه نفسنا فوجهنا فالف بين قلوبنا بمحض كرمك وجودك ، وقد اخبرت نبيك الصادق بقولك الحق « لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم » فكما الفت اللهم بين قلوب اسلافنا فالف بين قلوبنا ، واهدنا الصراط المستقيم . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

تطوان — التهامي الوزاني

* * *



الاب الحدب والوالد الحنون يتفقد ابناء رعيته
ويسألهم عن حاجاتهم ، حفظه الله ورعاه



تناقلت وكالات الانباء العالمية في العشر الاواخر من شهر ابريل 1968 اخبار لقاءات تمت بين جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية من جهة ، وجلالة الشاهنشاه محمد رضا بهلوي امبراطور ايران ، وجلالة الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية من جهة اخرى ، ولم تلبث اجهزة الاعلام الدولية ان تناقلت اصداء اجتماعات سارة تتحقق ـ نتيجة لمساعي ملكنا العظيم ـ بين العاهلين : السعودي والايراني . كانت فاتحة عهد جديد في تاريخ العلاقات بين الدول المطلة على حوض الخليج .

فالى تلك البادرة الكريمة من جلالته والى «الرسالة السامية» التي اعرب فيها عن وجهة نظر حكيمة سليمة ، ارفع بمناسبة العيد العاشر لجلوسه ، هذه الورقات عن علاقتنا بالخليج عبر التاريخ متمنيا استمرار ازدهار المملكة واستقرارها في رعاية جلالته .

عبد الهادي التازي
سفير المغرب ببغداد

عندما كان المؤرخ المغربي ابن خلدون يتحدث عن ملوك جزيرة العرب ذكر انها كانت تتألف من خمس مناطق : الحجاز والشحر واليمن وحضرموت وعمان (1) .

وتقع عمان هذه (بضم العين وتخفيف الميم) شرقي شبه الجزيرة العربية اليوم ، وقد لعبت دورا هاما منذ فجر الاسلام فقد استقر بها انصار عبد الله بن اباض الذي نجا اليها بعد ايقاع الامام علي بالخوارج في النهروان ، وقاموا بثورات متوالية على الخلفاء الامويين والعباسيين بينما كانوا بدورهم يتعرضون لموجات مقاومة من لدن الجماعات الاخرى : جماعات اهل السنة الذين ظلوا ينعمون في المنطقة بوجود مستمر على مر العصور ..

وقد اشتهرت عمان بانها من الجهات العربية التي كانت تمتلك أقوى أسطول بحري فرض سيطرته قرونا عديدة على سواحل زنجبار وسائر افريقيا الشرقية ومعظم موانىء الهند وفارس

(1) ابن خلدون : المجلد الثاني طبعة بولاق ص 18 ـ 47 ـ 76 . الدمشقي : نخبة الدهر ص 218

واطراف البلاد الشمالية التى تحتضن اليوم امارات الخليج .

وكان اسطولها التجاري يجوب البحار حاملا تحف الصين والهند الى الاسواق الكبرى فى مختلف جهات العالم .

وقد كان الملوك هنا منذ بدء التاريخ يختصون بلقب « الجلندى » على نحو ما يقال كسرى فى ملوك فارس وقيصر فى ملوك الروم ، والمقوقس فى اصحاب مصر .

وبهذا الوصف نعت النبي عليه الصلوات حاكمي عمان : جيفر وعبد ابني الجلندى (2) وقد بقي هذا الوصف معمولا به الى ان ظهرت قبيلة آل بو سعيد التى عوضته بلقب السلطان وهو السائد اليوم فى سلطنة عمان . .

وقد حكمت عمان سلسلة مهمة من الاباضية كانوا يؤثرون لقب الامام بلغوا نحوا من ثلاثين اماما . . ثم خضعت للقرامطة لكنها لم تلبث ان حكمت من طرف آل نبهان ـ وهم اهل سنة ـ فلقبوا بالملوك وقد استمروا فى الحكم زهاء مائتي وثلاثين سنة (579 ـ 809) . وقد آل حكم الاقليم الى اليعاربة بعد ان قضت الثورات الداخلية والخلافات الطائفية على حكم « النباهنة » فى وقت كان النفوذ البرتغالي يسيطر على معظم سواحل عمان .

لكن الفرقة لم تلبث ان اصابت البلاد اواخر دولة اليعاربة بعد أن حرروا البلاد عن البرتغاليين وهنا كانت بداية ظهور دولة آل بوسعيد (3) فى مسقط : وقد كان لتطهير الساحل من الاجنبي واستتباب الامن فى البلاد اثر على تنقلات عدد من القبائل التى بدأت هجرتها الى السواحل واستجد النشاط القديم فى التجارة والملاحة والغوص بحثا عن اللؤلؤ .

ثم برزت قوتان سياسيتان جديدتان على الساحل استقلتا عن آل بوسعيد الى اليوم ، الاولى بحرية ويتزعمها القواسم وحلفاؤهم وكان مقرها راس الخيمة ، والثانية برية تتألف من بني ياس (4) . وحقدتهم آل نهيان اولاد بني فلاح (5) .

---

(2) كان ذلك عندما بعث لهما سفيره سيدنا عمرو بن العاص ، وهذه غير السفارة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى المنطقة الى المنذر بن ساوى العبدي حاكم البحرين المولى عليها من قبل الفرس ، وقد كان على راسها سيدنا العلاء ابن الحضرمي وقد كان اول ما ورد المدينة خراج البحرين (سبعون الف درهم) وابن الحضرمي يحمل اسمه اليوم احد شوارع عاصمة البحرين . ابن الفراء : كتاب رسل الملوك وما يصلح للرسالة والسفارة ، تحقيق صلاح الدين المنجد ص 3 ـ 4 .

(3) راجع حول هذه الدولة كتاب السيرة الجلية المسماة سعد السعود آل بوسعيدية وحدود مملكته الشاسعة . مخطوط فى مكتبة كيمبريدج رقم2893 ـ وكذلك كتاب الفتح المبين فى سيرة السادة لحميد بن محمد ابن زريق بن بخيت آل بوسعديين المؤلف عام 1274 وهو ايضا بكمبريدج رقم 2892 .

(4) يظهر ان أول اشارة حول بني ياس هي ما توجد فى مخطوطة (كشف الغمة الجامع لاخبار الامة) وهي موجودة بالمكتبة الظاهرية الاهلية بدمشق تحت رقم 3462 ـ 346 ، والتى اوقفني الاستاذ محمد مرسي مشكورا على تصوير لها بمكتب الوثائق والمستندات بابى ظبى ، وفيها حديث مفصل عن مختلف الفرق الاسلامية الثلاث والسبعين ، ويظهر انهم ينتسبون الى اياس الذى كان مضرب المثل فى الكياسة والذكاء وقد حفظنا من الاشعار التى كان يرددها شيخنا الرئيس المدني ابن الحسني عند تفسير الآية الشريفة:« وفى الارض قطع متجاورات » الآية . .

« سبحان من قد قسم العقولا كقسمة السباخ والحقولا »

فبعضهم فى عقله اياس وبعضهم من عقله ايـاس !. .

(5) يشتمل بنو اياس على خمسة عشر فرعا فى ابرزها آل بوفلاح الذين ينحدر منهم آل نهيان وآل بوفلاسة ومنهم آل المكتوم حكام دبى وآل سودان نسبة الى جد اسمه سويد الذى قد نجد النسبة اليه ايضا بالياء السويدي ومنهم سويديو العراق ، وليس القصد بحال الى السودان المجاور لمصر . . الخ . .

وقد عاصر حركة هجرة القبائل فى عمان للساحل تحركات اخرى للقبائل من قلب نجد للخليج وهنا بدا آل الصباح تاريخهم فى الكويت كما بدأ آل خليفة تاريخهم فى البحرين (6) .

رابطة الروح واللغة ...

لم يكن بعد منطقة الخليج عن المحيط بمبرر لاحجام المغرب عن الاهتمام بهذه الناحية ، بل انه على العكس من ذلك كان يتوق الى التوفر على معلومات اكثر عن تلك الجهات النائية التى تربطه بها رابطة الروح اولا ورابطة اللغة ثانيا ..

الروح ، لان الطرفين - ولو انهما متباعدان مسافة - لكنهما يعتنقان دينا واحدا هو دين الاسلام الحنيف ، وفى اكثر الجهات وفى اغلب الظروف كان الطرفان يتحدان ايضا فى المذهب الاسلامي كذلك (7) ، بالرغم من ان المذاهب التى تقوم على اساس الامامة والخلافة كانت اقوى الى الظهور من غيرها ..

المذهب المالكي الذى استقر عليه الامر فى المغرب الاقصى منذ فجر الاسلام بهذه الديار هو المذهب الذى وجد فى هذه المنطقة ملاذا يحتمي فيها من المنافسين له ممن كانوا يريدون فرض مذاهب اخرى لهم بالجزيرة ، وهكذا فكما تحصن مذهب مالك بديار المغرب منذ البداية وجد مكانا له فى شعاب الجزيرة ووهادها واطرافها كيف وهو المذهب الذى نشأ فى احضان مدينة نبي الاسلام عليه الصلوات ؟...

وفى مقابلة هذا نجد ان المذهب السائد الى الآن فى جل الامارات التى تشرف على الخليج هو مذهب الموالك الذين يتكاثرون بالنسبة للشوافع والحنابلة والحنفية وسائر المذاهب الاسلامية الاخرى .

وقد كان لقبيلة آل المبارك (8) فضل بسط المذهب المذكور فى الاحساء اوائل القرن العاشر كما كان لبني اياس اثر قوي على تعميم المذهب المذكور فى ابو ظبي ودبي وواحات البريمي ، شأن آل خليفة الذين عززوا المذهب كذلك فى البحرين اواخر القرن الثاني عشر ...

ويتجلى للمرء من خلال القراءات الاولى لتاريخ القواسم الذين يشرفون على الامور اليوم فى بعض الامارات الشمالية ان اعتناقهم لمذهب الامام ابن حنبل انما كان نتيجة للدعوة اللاحقة التى قام بها مع ظهور مملكة آل سعود الامام السلفي محمد بن عبد الوهاب .

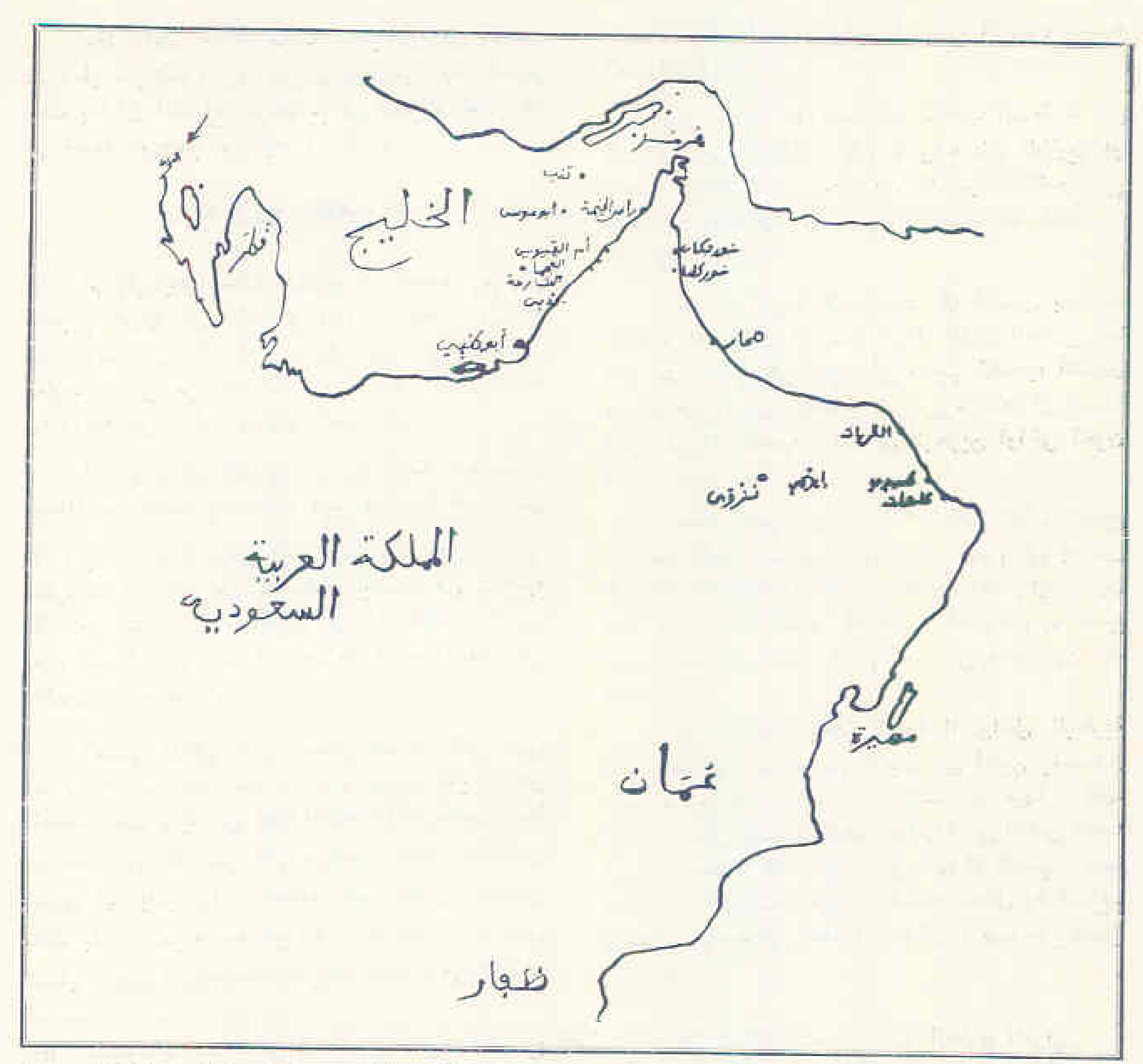
ومع ذلك فانه بحكم طبيعة السواحل البحرية فانها كما تكون مزيجا من الاجناس الذين يعملون فيها ، ومزيجا من القوميات المتساكنة فيها ؛ فانها اي السواحل تضم جماعات محدودة من الناس تشبه ان تكون معتنقة لمذاهب لم يبق منها الا الاسم ، فيها ما فرضته السياسة وفيها ما ادخله الجدل والاقتناع. وفيها ما يرجع الى الفقه ذاته ولكن فيها ما يتعلق بالاعتقاد .

---

(6) محمود بهجت سنان : الكويت زهرة الخليج العربي ص 21 - 22 البحرين درة الخليج العربي ص 21 - الشيباني : امارة قطر العربية بين الماضي والحاضر ص 29 - نهضة قطر للاستاذ كمال ناجي ص 7 . عبد الهادي التازي : عدت من الكويت 36 حلقة . العلم 26 يناير 1959 - 9 يونيه . قدري قلعجي : الخليج العربي ، دار الكتاب العربي ص 25 - 61 - 366 - 421 الثورة البترولية فى الخليج العربي 1964 - بيروت 1959 . جان جاك بيربي : الخليج العربي ، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز بيروت ، عبد القادر زلوم : عمان والامارات السبع ص 89 ، الكويت باقلام نخبة من كتاب الغرب ، عبد الله الخاتم : من هنا بدات الكويت .

(7) مما يلفت نظر المؤرخين ان الاباضية نفسها لم تنتشر فى غير مكانين - عمان وبعض بلاد المغرب ليبيا وتونس والجزائر لكنها لم تتسرب للمغرب الاقصى بحكم ان المذهب السائد فيه هو المالكية على الدوام .

(8) تعتبر هذه الاسرة من الاسر المثقفة العالمة ذا الشأن وفيهم الآن القضاة والادباء والسفراء كذلك ، ونذكر منهم الشيخ عبد الله قاضي بمحكمة التمييز بالبحرين واخاه الشيخ احمد بن عبد العزيز قاضي القضاة فى ابو ظبي ، ولهم فى الظهران فروع زكية تشتغل بالعلم والتاليف ...



بيد ان المذهب المالكي يظل « السمة المقبولة » فى مختلف المجالس وقد كان بامارة دبي الى ما قبل وقت قليل قاضي مغربي هو الشيخ محمد بن عبد السلام الريفي الذى ترك خزانة كبرى تعتمد على مصادر الفقه المالكي ، بما فى ذلك رسالة الشيخ ابي زيد القيرواني (9) .

اما الآصرة الثانية فهي اللغة الواحدة التى يرجع لها اكبر الفضل فى تمتين الصلات الروحية

(9) يتردد اسم هذا الشيخ على كل لسان فى (ديره) من امارة دبي على انه انزه قاضي عرفته البلاد وقد سمعت عنه من طيب الحديث وجميل الامثولة ما استوجب طاعة الترحم عليه . وقد قال لي الاستاذ الاخ ابن السليم الذى تزوج بحفيدة الشيخ المذكور ان هذا كان يحكي انه تتلمذ على استاذ مغربي بالحجاز اسمه الشيخ شعيب وربما كان هو الذى انتدبه الى هذه الديار بطلب من بعض حجاج المشيخة . هذا وقد تكرم بطلب التعرف على استاذ الشيخ راشد حاكم دبي الذى قال : انه يعتز بانه كان تلميذا لشيخ من شنقيط كانت له مدرسة بالزبير فى البصرة ومنها كان الفقهاء المالكية ينتشرون فى مشيخات الخليج ...

التي تحدثنا عنها ، ومن الطريف ان تجد ان بني سليم وبني هلال الذين تحيزوا الى عمان والبحرين (10) وصاروا جندا للقرامطة هم انفسهم الذين صاروا الى المغرب عن **هذا الطريق** بعد ان انتقلت دولة العبيدين المغاربة الى مصر وغلبوا القرامطة على الشام وردوهم الى البحرين . (11)

المنطقة فى حديث الرحالة المغاربة

عرف المغاربة من قديم برغبتهم فى الرحلات الطويلة وقد كان مرد ذلك الى عدة اغراض ابرزها شيئان اثنان : اولهما هيام المغاربة بالمشرق وبالعتبات المقدسة بصفة خاصة وقد ظلوا يعتقدون ان هذه الامكنة كانت منطلق سعادتهم ، وما انفكوا يتصورون ان الشمس يبتديء ظهورها من المشرق قبل ان تصل اليهم ولهذا فانه لم تخل سنة واحدة دون ان تشد الرحال من اقصى بلاد المغرب الى الحرمين الشريفين والبلاد المجاورة .

وثانيهما الباعث السياسي فان المغرب يعتبر الدولة الاسلامية الوحيدة فى العالم التى يبتديء تاريخها الدولي منذ بداية القرن الثاني الهجري ولهذا تجد فى تاريخ الامم ذكرا لا يبلى للسفراء والمبعوثين الذى كان المغرب يبعث بهم الى الخلفاء والسلاطين فى آسيا وافريقيا وديار اوربا .

وقد تضافرت المصادر التاريخية على ان الرحالة المغربي ابن بطوطة لم يكن مجرد رحالة يرضي هوايته فى التجوال والاستطلاع ولكنه كان سفيرا متنقلا لدولة بني مرين المغربية يجمع المعلومات الجغرافية ويقف على الظروف المعاشية والحياة الاجتماعية فى البلاد التى يزورها .

ويظل ابن بطوطة الشخصية المغربية العملاقة التى فرضت وجودها على كل الذين كتبوا **فى تاريخ** البلاد والشعوب ، فجميعهم يبحث عما **قاله ابن** بطوطة حول ما يشتغلون به ، يعتمدونه **قبل غيره** من المصادر والمراجع على انه حجة ناطقة .

وكذا كان الامر بالنسبة لمن **حاولوا ان يؤرخوا** لامارات الخليج وساحل عمان .

فقد زار ابن بطوطة صيف سنة (725 هـ) (13) اراضي عمان فى ايام بني نبهان **الذين ملكوا البلاد** على ما قلنا من حدود منتصف القرن السادس **الى** القرن العاشر الهجري ، وقد **كانوا على جانب من** الابهة والبذخ والثراء ، وقد **عرف عصرهم عددا من** فحول الشعراء من امثال ابي بكر **الستالي الذى يقول** فيهم :

وانتم بني نبهان اما نجاركم
فـزاك واما فعلكم **فجميل**

اضاءت لكم فى كل شرق ومغرب
مصابيح ما لهن افـول .. **(14)**

لقد وصل ابن بطوطة الى عمان **عن طريق** البحر حيث ركب اليها من ظفار (15) **الى جزيرة** مصيرة ثم الى قرية صور حيث يصف **مدينة قلهات** وصفا اوليا وقد رآها فى سفح الجبل ..

ويذكر ابن بطوطة انه استأجر **احد البحرين** ليدله على طريق قلهات فصحبه دليل **اسمه خضر** الهندي. واخيرا وصل الى **مدينة قلهات (16) التى** اعطى وصفا دقيقا لمسجدها المزلج ، ذاكرا **انه كان من** تشييد الصالحة الحرة بيبي مريم (17) ، **وهنا فى**

(10) كان القصد بعمان الى داخل البلاد وبالبحرين بحر فارس وساحل عمان على ما يفهم من النصوص القديمة .
(11) الاستقصا 2 ص 146 .
(13) رحلة ابن بطوطة الطبعة الفرنسية المجلد 2 ص227
(14) عبد الله السالمي : تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان (ت 1328) قام بتصحيحه والتعليق عليه ابو اسحاق ابراهيم اطفيش الجزائري الميزابي القاهرة 1961 ، المجلد 1 ص 337 — 352 .
(15) ظفار مدينة اهلها يتحدثون باللغة الحميرية ، وفيها ورد المثل العربي الطريف « **من دخل ظفار** حمر » اي تكلم باللغة الحميرية .
(16) تقع مدينة قلهات على ساحل عمان شرقي مدينة تروى جنوب مدينة مسقط. **خريطة الادريسي.**
(17) يذكر ابن بطوطة ان بيبي بلغة العمانيين تعني الحرة ، وقد عقب عليه السالمي بأن **الكلمة ليست** عمانية ولكنها نقلت اليهم من الزنج ..

قلهات ـ يقول ابن بطوطة ـ اكلت سمكا لم آكل مثله فى اقليم من الاقاليم وكنت افضله على جميع اللحوم فلا آكل سواه ! وهم يشوونه على ورق الشجر ويجعلونه على الارز وياكلونه .

وهكذا اعطى ابن بطوطة فى كلمات قصيرة فكرة عن السمك الرفيع الذى تنعم به المنطقة والذى قال انه كان يؤثره على سائر انواع اللحوم ثم يعطينا معلومات عن السمك المشوي على الشجر (الطرفاء) الذي بقيت آثاره الى اليوم فى البصرة وبغداد بصفة خاصة والذى يعتبر عن المؤرخين من الاكلات البابلية القديمة ..

ولم يغفل ابن بطوطة الملاحظة بأن الناس فى لهجتهم يضيفون بعض الالفاظ التى تظهر لاول وهلة انها من حشو الكلام بيد أن القصد يكون هو الحث على الفعل فهم يصلون الكلمة (فعلا المضارع مثلا) بكلمة لا النافية فيقولون : تاكل ؟ لا . تمشي ؟ لا . تفعل ؟ لا . (18)

وبعد هذا الحديث الممتع من الرحالة المغربي عن معيشة المنطقة ولهجة العامة خصص فصلا من رحلته للمذهبين الاسلاميين اللذين كانا سائدين على ذلك العهد فى المنطقة وهو مذهب الاباضية ، ومذهب اهل السنة ...

ويفهم من ابن بطوطة ان هناك قسطا كبيرا من الحرية المذهبية فانه بالرغم من ان السلطان قطب الدين تهمتن (19) ملك هرموز الذى يحكم البلاد ـ كان سنيا ـ فان اكثرية ناحية الجبل الاخضر كانوا اباضية .. ويلاحظ ابن بطوطة انه لسبب او آخر فان هؤلاء مع ذلك كانوا لا يستطيعون المجاهرة باظهار مذهبهم (20) .

ويذكر ابن بطوطة انه على مقربة من قلهات توجد قرية طيوي (21) التى ينعتها باجمل الاوصاف لما تحتوي عليه من انهار جارية واشجار ناظرة وبساتين كثيرة ...

ووصل ابن بطوطة الى مدينة نزوى (22) قاعدة بلاد عمان ووصف اهلها بالتمرس على الشجاعة والنجدة ولم يخف حقيقة اثرت لديه ، ذلك ما يوجد من منافسات واحتكاكات فى بعض الاحيان بين الاطراف المساكنة في البلاد .

ويكاد ابن بطوطة ان يعزو اسباب تلك المواجهات الى الاختلافات الموجودة بين المواطنين فى المذهب الاسلامي المتبع وهكذا فقد يحدث ان يتناقش الناس بعضهم بعضا ويحدث كذلك ان يتحول النقاش الى صراع وصدام .

ومع ذلك فان ابن بطوطة يؤكد ان حرية المذهب على العموم مضمونة فى البلاد فالاباضية يباشرون طقوسهم على نحو ما يطلب منهم بالرغم من أن الحاكمين كانوا اهل سنة .

ويأتي ابن بطوطة هنا بمعلومات فى هذا الصدد يستأثر بها عن كل مصادر السادة الاباضية بما فيها المخطوطات النادرة .

لقد قال عن سكان (نزوى) ان فيهم قوما يصلون ظهرا اربع ركعات (23) وانهم اذا فرغوا استمعوا الى وعظ من الامام .

---

(18) لم يستطع المؤرخ السالمي ان ينكر تعود الناس على هذا الاسلوب حتى اليوم باستثناء انه اضاف انهم يضيفون على كلمة لا هاء السكت فيقولون (لاه) .

(19) تهمتن بتقديم الهاء على الميم ، كلمة فارسية معناها : القوى ..

(20) يؤكد صاحب تحفة الاعيان ان الاباضية فى عمان لم يمر بهم وقت لم يقدروا فيه على اظهار مذهبهم وان الملوك الذى اتفق لهم أن حكموا البلاد من غير الاباضية كانوا يدارونهم ، وهي حقيقة تؤخذ ايضا من ابن بطوطة الذى لا ينفي حرية المذهب ولكنه لا يثبت ايضا التحدي لاصحاب المذهب المقابل .

(21) سماها ابن بطوطة طيبي بالباء عوض الواو ويظهر انه خطأ فى النطق من دليل ابن بطوطة .

(22) تقع نزوى جنوب الجبل الاخضر وقد ظلت عاصمة لعمان حتى نقلها الامام احمد بن سعيد آلبو سعيدي الى مسقط . عدنان مراد : الجزء 1 ص 9

(23) يذكر السالمي ان اهل نزوى انما كانوا يصلون الجمعة ظهرا لانهم لم يكونوا يتوفرون على امام آنئذ، ومن شروط صحة الجمعة عند الاباضية وجود المصر والامام ، وبما ان الجمعة قائمة بمدينة صحار التى هي قصبة عمان فانها لا تتكرر فى المصر الواحد .

وقد لاحظ ابن بطوطة ان الحاضرين كانوا يرضون عن ابي بكر وعمر فى حين يسكتون فيه عن عثمان وعلي ، وهم اذا ارادوا ذكر الامام علي رضي الله عنه قالوا : ذكر عن الرجل كذا وكذا . .

ويرضون عن الشقي اللعين ابن ملجم ويقولون عنه : العبد الصالح قامع الفتنة (24) . .

وقد اثنى ابن بطوطة على سلطان عمان على ذلك العهد الذي قال عنه انه عربي من قبيلة الازد بن الغوث وانه ينادى بأبي محمد ابن نبهان وتحدث عن مجلس السلطان فذكر ان من العادة ان يجلس خارج باب داره فى مجلس هنالك لا حاجب له ولا وزير وانه لا يمنع احدا من الدخول اليه من غريب او غيره ويكرم الضيف على عادة العرب وله اخلاق حسنة . .

وقد تعرض ابن بطوطة لنادرة صدرت عن فتاة شاردة قال : انها وردت على الحاكم المذكور تستاذنه فى الاستجابة للشيطان فنصحها وكرر النصيحة ولكنه امام الحاحها رفع عنها المواخذة وشملها بجواره اي بحمايته (25) .

لا اعتقد ان هناك مبررا لنقد شاهد عيان من قبل قوم لم يعيشوا معه ظروفه، وان نادرة واحدة من تاريخ حافل لبلاد مثل عمان لا يمكن ان تعطي فكرة شاملة عن سائر الظروف ، لذلك فان الصواب فى نظرنا ان نحفظ للتاريخ باحداثه .. ولو انه كان ابن بطوطة غرض مذهبي فى ما نشر لكان اول من يضرب عن هذا الحديث صفحا بحكم انه يشارك بني نبهان فى سنية المذهب ولا يليق ان ينقل عنهم التساهل فى الاستجابة لارضاء الشهوات الرخيصة لكنه وهو يعني بتسجيل ما يرى وما يسمع لم يتردد فى نقل الحادثة على نحو ما فعله ايضا عندما قال : ان الحاكم لا يرى مانعا فى تقديم لحم الحمار الانسي لضيوفه لانه يعتقد بتحليله ..!

على ان بعض المتقدين للرحالة المغربي من الاباضية وجدوا فى شهاداته عنصرا مهما للاستدلال على تفسخ الحكم فى بعض ايام بني نبهان، فقد كان ابن بطوطة بالنسبة لهم بمثابة الممدوح المذموم فى آن واحد !!

وفى هذا الصدد يأخذون على ابن بطوطة معلوماته المتعلقة ، بان كل من ملك عمان يكنى بابي محمد على نهج ما يقال كسرى لملك الفرس .. وهم اذ يؤكدون ان اللقب المعروف لسلاطين عمان هو « الجلندي » يضيفون الى ذلك بأنهم لم يسمعوا كلمة « ابو محمد » لقبا لحكام البلاد فى غير رحلة ابن بطوطة ، فلماذا لا نقول : ان ابن بطوطة سجل ايضا حادثة غفلت المصادر الاخرى عن تسجيلها ..؟

ويقدم لنا ابن بطوطة لائحة للمدن عمان .. مثل مدينة ازكى الداخلية ، ومدينة القريات وصحار وخور كلبا وخور فكان ، وكلها يقول ابن بطوطة ذات انهار واشجار ونخيل ، واكثرها تابعة لعمالة هرمز على ذلك العهد .

الامارات الحالية

وقد عرج الرحالة المغربي ابن بطوطة على مناطق اصبحت منذ زمن غير قليل تابعة لبعض امارات الخليج .

وهكذا فقد مر بجميع الامارات الشمالية : زار جزئين من امارتي دبي وعجمان وهما شمال سلطنة عمان الحالية ، كما انه مر بالقسم الجنوبي من امارة

---

(24) يفسر صاحب كتاب تحفة الاعيان صنيع الاباضية بما يتفق ومذهبهم ، لكنه يستغرب نقل ابن بطوطة عن العمانيين كنيتهم للامام علي بالرجل، ورضاهم عن ابن الملجم ونعتهم له بقامع الفتنة قائلا: انه لم يسمع ذلك من غير ابن بطوطة ، ويظهر ان من الانصاف ان لا يحكم الشيخ السالمي بما يعيشه، وهو فى اوائل القرن الرابع عشر ، على ما كان فى اول القرن الثامن .

(25) يذكر ابن بطوطة ان الفتاة كانت تتوسل الى الحاكم بقولها « انا فى جوارك ! انا فى جوارك » تعني اتوسل اليك وهو تعبير معهود فى الحديث الدارج المغربي ، لكنهم ينطقون به محرفا هكذا « انا مزاوك » بتبديل الجيم زايا وحذف الراء ...

راس الخيمة (26) ومر بامارة الفجيرة وبالجانب الشرقي من امارة الشارقة الذي يقع على ساحل عمان (27)

وقد عبر ابن بطوطة مضيق هرمز متحدثا عن المدينة التي تحمل اسم هرمز الجديدة التي يقول عنها انها مرسى الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند الى العراقية وفارس وخراسان ، ويظهر ان ابن بطوطة اعجب جدا بسمك هذه الناحية ، ولذلك فانه – كما كان الامر بقلهات – اطرى ايضا سمك مضيق هرمز قائلا ان الخاصة هنا من الناس اعتادوا ان يجمعوا في اكلهم بين السمك الذي يصطادونه من المضيق وبين التمر الذي يجلبونه من البصرة . ويطرفنا السفير المغربي بما يؤكد ما نقل عنه من انه كان يعرف لغتين اخريين بالاضافة الى اللغة العربية: كان يتقن التركية والفارسية.. يطرفنا بترديد القولة التي كانت مأثورة عندهم آنذاك حول الجمع بين السمك والتمر « خرما وما هي لوت باد شاهي »
Khorma wa Mahi Lout Padshahi

يعني التمر والسمك طعام الملوك (28) وهو يخالف ما يردد الشيوخ اليوم من ان «السمك عيش المسكين » ! (29)

المغرب يساعد على التخلص من البرتغال

وهناك ناحية هامة من تاريخ المنطقة ظلت مجهولة الى الآن ، ونعني بها تلاقي المحيط مع الخليج في الاجهاز على السيطرة الاجنبية التي تتمثل في سيطرة البرتغال على القلاع الحساسة المشرقة على الخليج والساحل .

ويتعلق الامر بالفترة المظلمة التي مر بها ساحل عمان ومضيق هرمز وساحل الخليج ، فقد تمكنت البرتغال من بسط نفوذها في الخليج منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي (1507 وفي سنة (1522) عين مسؤولون برتغاليون لتحصيل الضرائب الجمركية من هرمز والبحرين وصحار ومسقط .

وقد كانت البرتغال عمدت الى محاولة انزال الضربة القاضية بالمملكة المغربية التي مافتئت تقدم العون لاخوانها في المشرق بالرغم من بعد الدار .. (30)

وهكذا استولت هذه الدولة عام 818 (1415 – 1416) على مدينة سبتة المغربية بعد محاصرة ست سنوات ، في قصة اشبه ما تكون باسطورة

---

(26) راس الخيمة هي المعروفة سابقا باسم جلفار Julfar وهو الاسم الذي ورد في خريطة الادريسي ، او بالصير ، ومنها عبرت جيوش عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى ابن كسرى في فارس واليها ينتسب الملاح العربي المشهور ابن ماجد . تحفة الاعيان المجلد 2 ص 11 ؛ ابن ماجد : مجموع في علم البحرين ، نشره وترجمه جابرييل فيراند .

(27) نعرف ان امارات الخليج تمتد آخذة من البحرين شرقي الظهران الى امارة قطر الى امارة ابو ظبي ثم الامارات الباقية : الشارقة والعجمان وام القيوين وراس الخيمة والفجيرة ، واذا كانت الاقدار قد جعلت للامارات : البحرين وقطر وابو ظبي وام القيوين حدودا متجمعة في جهة واحدة فان الامر بالنسبة للامارات الباقية يختلف ، حيث ان بعضها يوجد طرف منه غربا والطرف الآخر شرقا مفصولا عنه بامارة اخرى ...

(28) نشكر العون الذي اسداه الينا شاعر افغانستان معالي الزميل خليل الله خليلي سفير افغانستان في بغداد ...

(29) يشعر الزائر بمتعة نادرة وهو يتجول في اسواق السمك في منطقة الخليج فانه يقف على عدد كبير من الانواع فيها الفاخر والمتوسط والعادي .. فهنا من اجود الانواع همور وجنعد وهو كذلك من افخرها ، وصافي ، والهلالي ، والزريكي والكشن وكين ، وعماد وجداد وسكل وباباه وحمر (بتشديد الميم) وبرطام والسمان والكوفر وضلع وشعم وعكلة وفسكر وخن وفرش الخ .. ويلاحظ ان اسعارها فعلا زهيدة جدا (همور من خمسة كيلوات بدينار واحد)

(30) لا ننسى سفارة صلاح الدين الايوبي للعاهل المغربي المنصور الموحدي ورجوع السفارة بما طلبته في مائة وثمانين اسطولا منعت النصارى من سواحل الشام . الاستقصا 2 ص 162 – 163 – 164

« قصير » مع « الزباء » ملكة تدمر والشام والجزيرة (31) .

وليس صحيحا ان الباعث لانسياب البرتغال في اطراف آسيا كان فقط بدافع الاتجار في البهارات التي تظل العنصر الوحيد الذي يلذذ الحياة ويعطيها طعما ، ولكن هنالك باعثا وراء ذلك الغزو .. ولا نعتقده الا الحرب الصليبية التي شهرت ضد مختلف الجهات التي كان فيها للاسلام كيان (32)

وقد ورد في دلالات المؤرخين الاجانب ان رجال البلاط في اشبونة كانوا ينظرون الى حربهم في المغرب على انه رحلة من الرحلات السياحية وانهم هيأوا الصلبان المزخرفة لتعليقها على مساجد فاس ومراكش (33)

وقد كان في الامكان ان تتعثر مسيرة الغزاة الفاتحين نحو المشرق لولا انهم لم يجدوا من ارشادات الملاح العربي احمد ابن ماجد ما اختصر الطريق للرحالة البرتغالي فاسكو دي جاما Vasco de Gama

لقد الف ابن ماجد ارجوزة في مطلع عام (906) كانت اروع ما كتبه العرب في معرفة البحار وقد نعت ابن ماجد بليث البحر وضرب المثل به فقيل « نواخذا ولا كابن ماجد » ! (34) اي بحار ولا كابن ماجد .

لقد تمكن البرتغال هنا وهناك ، ولم يغفل المغرب قط عن ارتقاب الفرصة للايقاع بالغزاة ، وفي هذا الوقت كان على علم تام بما يجري على اطراف عمان وبالتالي على شاطيء الخليج ، كان يعرف ذلك عن طريق سفرائه العديدين الذين كانوا يترددون على اخوانه العثمانيين الذين تضرروا جدا من الضربات التي كان البرتغال يلحقها بهم سواء في مسقط عام (1553) او في البحرين عام 1559 ..

وقد كان في صدر سفرائنا الذين كانوا ينقلون اخبار المنطقة لعلم العاهل المغربي السفير **التامجروتي** (35) وقد حكى عن القمع الذى كان يمارسه البرتغال سواء مع القوى المحلية للمنطقة او مع الاتراك انفسهم (36) .

وفي هذا الوقت بالذات كان البرتغاليون يطمحون الى ان يستحوذوا على الساحل المغربي كله حتى يثبتوا اقدامهم على بلادنا ، وكان هذا الطموح منهم بعد ان بلغ الى مسامعهم ان الاستعدادات جارية للاجهاز عليهم ، وبعد ان اعتمدوا ـ مفترين ـ على معلومات ومساعدات من بعض العملاء ممن لم تخل منهم ارض ولا زمان !

وشاء الله ان ينزل الضربة القاصمة بالتسرب البرتغالي الى الابد فدفع بهؤلاء الى الدخول في معركة مع المغرب داخل التراب المغربي ، ولم يكن المغرب ليتمنى فرصة غير هذه لكي يخلص البلاد من تعنت الاستعمار .

وقد اصم القدر آذان ملك البرتغال سباستيان فلم يسمع بحال الى النصائح التي قدمت اليه من قبل وزرائه بان لا يغامر في اقتحام عقر المغرب وقد صحب ملك البرتغال مائة وعشرين الف مقاتل ، وكان ما يجرونه من المدافع يناهز المائتين انهم كانوا يقصدون الى حصد المسلمين بالاراضي المغربية .

---

(31) تراجع القصة في جمهرة الامثال للعسكري المجلد الاول ص 224 ؛ ويعتقد بعض الناس ان قصة الزباء مرت بجلفار (راس الخيمة) والذي يؤكده التاريخ انها واقعة على شاطيء الفرات بين هيت والانبار
(32) اهداف البرتغال في الهند .. في عشرين عاما .. ص 26 .
(33) محمد الغربي : معركة وادي المخازن ـ مجلة اللقاء ، وزارة الخارجية عدد يوليو 1970 .
(34) ثلاثة ازهار في معرفة البحار لاحمد بن ماجد ربان رحلة فاسكودجاما طبع بمطبعة المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي موسكو 1957 لينينغراد .
Instructions nautiques et routières arabes et portugaises du XVIᵉ siècle, par Gabrel Ferrand. T. III, p. 185.
محاضرة القاها الاستاذ احمد عبد الهادي هاشم حول ليث البحر احمد ابن ماجد (محاضرات الموسم الثقافي بالكويت 1959 المجلد 5 ـ ص 91 ـ 114 .
(35) عبد الهادي التازي ـ تاريخ المغرب الدبلوماسي مطبعة المحمدية ص 20
(36) دليل الخليج ، تاليف ج. ج لوريمر ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر طبع على نفقة الشيخ احمد بن علي آل ثاني حاكم قطر ..

وقد قام العلماء بواجبهم فى الهاب المشاعر وتقوية المعنويات وعززوا نداء السلطان الى الجهاد فامروا العامة بحمل السلاح لتحقيق احدى الحسنيين فاما انتصار واما استشهاد ! وحرروا بهذا الصدد رسالة تاريخية فى الرد على العملاء ظلت الى اليوم خير درس يلقن للذين يسمحون لانفسهم بالتواطؤ مع الاجنبي لتحقيق مطامحهم الشخصية ...

كان آخر يوم من شهر جمادى الاولى من عام (986) هـ (4 غشت 1578 م) ، وعبر طاغية البرتغال جسر الوادي المعروف بوادي المخازن ليسحق الجيش المغربي .. وامر العاهل المغربي السلطان ابو مروان بهدم الجسر ، وكان اللقاء .. وركب المغاربة اكتاف العدو يقتلون ويأسرون فولى البرتغال الادبار ، وحاولت حاشية الملك البرتغالي ان تنقذه من الهلاك فنصحته بان يعود من حيث اتى لكنهم لم يجدوا جسرا كان هنا بالامس ! والقى بنفسه فى الماء مفضلا الانتحار لكن احد المغاربة اهوى عليه بخنجره فجمع بين القتلتين (37) ..

لقد عرفت هذه الواقعة العظيمة عند بعض المؤرخين بانها « اشبه شيء بغزوة بدر » (38) ولقد غمط التاريخ الاوربي ــ عن عمد ــ هذه الواقعة وعمل على كتم انفاسها وستر ابعادها عن انظار الناس بل ان فى المؤرخين الاجانب من لم يخجل ان يحاول التقليل من اهميتها ويدعى ان ما تحقق من نصر للمغاربة انما كان الفضل فيه للصدفة وليس الى تخطيط وتصميم ...

— * —

لقد جلس العاهل المغربي على اثر هذا الانتصار العظيم ليستقبل سنة 986 هـ ملك البرتغال الجديد يلتمس فيها العذر لسلفه ويرجو ان يفتدي الاسرى من المرتزقة الذين كانوا يتطوعون من الاسبانيين والالمانيين والطليانيين ..

كما جلس فى نفس التاريخ لتقبل التهاني والاماني من صاحب القسطنطينية العظمى مراد بن سليم العثماني ، وسائر ممالك افريقيا بما فيها الشمالية والجنوبية .

ومن دول اوربا وردت سفارة من فرنسا وانجلترا واسبانيا لنفس المهمة وكانت سفارة اسبانيا تتالف من ستين عضوا بالاضافة الى رئيس البعثة يلبسون حللا مطعمة بالجواهر والذهب ويحملون هديته التقليدية وضمنها ياقوتة بقدر كف اليد قد علقت بها جوزة قيمتها ثلاثة آلاف دينار مع زمردة بقدر التفاحة ترتبط بزمردة اخرى مع عقد النظم فيه اثنتا عشرة ياقوتة تتخللها ست وثلاثون جوهرة : مائة وعشرون اوقية من الجواهر ...

— * —

مهما يكن نحن امام جيش كان الى الامس يثير الرعب عبر البحار فماذا كانت النتائج فى تلك القلاع والحصون التى شيدها على ساحل عمان وساحل الخليج ؟

لقد وصلت للعمانيين دون شك اخبار الهزيمة المنكرة التى الحقتها الجيوش المغربية بالراس المدبر للحركات التى كانت تهدف الى تصفيتهم والتى بلغت الغاية فى العتو يوما صلمت فيه آذان ساكني مدينة (خورفكان) وجدعت انوفهم (39) .

(37) الناري ع . وقعة وادي المخازن ، مجلة رسالة المغرب 28 ــ 3 ــ 1949 . 28 مارس 1949 ــ جريدة العلم 4 ــ 8 ــ 37 .

(38) توجد فى ظاهر مدينة فاس قبة سبعة رجال يذكر انها لاعيان شهداء جرحوا فى واقعة وادي المخازن من العلماء ورجال الفضل ، وقد اثرت عن المغاربة اساطير نادرة حول الصدق فى الجهاد والتفاني فى سبيل الله ، نذكر منهم الفقيه البهلولي الذى كان يرى ان الصلاة لا تجوز وراء الامام الذى لا يجاهد لان من شرط الامامة المذكورة وابرز صفات المذكورة حمل السلاح ، وقد اعاد صلاة الجنازة على زوجته عندما عاد من معركةمن المعارك ، وعلم ان الامام الذى صلى عليها لم يغز قط فى حياته !

الناصري : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى طبعة دار الكتاب ــ الدار البيضاء (1955) المجلد الخامس 81 ــ 141 ــ السلوة 3 ــ 302.

(39) قدري ــ قلعة جي : الخليج العربي ص 670 .

ولقد كان الحكم في ذلك الاقليم في اواخر دولة النباهنة الذين واجهوا ببسالة الوجود البرتغالي وكانت معه جولات وجولات . ومن المشرف حقا ان الجهود كانت تضافرت كلها من اجل طرد الاجنبي عن البلاد ، ولم يبق هناك اي شعور بالمذهبية ولا اي شعور بالطائفية امام الدخلاء ...

لكن الاختلاف على طريقة التخلص منه احدث تصدعا في الصفوف نتيجة لتآمر اجنبي . لقد وصلتهم اخبار الموقعة المغربية عن طريق **بريدنا الدائم مع الشرق ...** وبلغهم النتاج الادبي الذي تفتقت عنه قرائح الشعراء الذين كانت قصائدهم بمثابة صحف سيارة تجوب اطراف الدنيا : لقد جلس العاهل المغربي المنصور السعدي ذات يوم بعد انتصار وقعة وادي المخازن في حفلة من الحفلات التي اعتاد المغرب اقامتها بمناسبة عيد المولد النبوي ، جلس يستمع الى شعراء المملكة .. وقد كان من القصائد الغراء التي انشدت بمحضر احد سفرائنا سنة 997 هـ الى بلاد الترك سالف الذكر العلامة المشارك ابي الحسن علي بن محمد التامجروتي ، نونية الكاتب ابي فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي التي يقول فيها من جملة ما يقول ملمحا الى وقعة وادي المخازن وذاكرا سباستيان ملك البرتغال بل ومفصحا بالعبارة الدالة على ان المعالي تهنىء بهذا السلطان ارض العراق ، وان طلائع انتصاراته على البرتغال بلغت سواحل عمان :

من اللاء جرعن العدا غصص الردى
وعفرن في وجه الثرى وجه (بستان) (40)

فكم هنات ارض العراق بك العلا
ووافت بك البشرى لاطراف عمان (41)

ونحن على اليقين كل اليقين انه لم يكن هناك دخل للقافية في اختيار كلمة عمان ، وبعبارة اكثر وضوحا فان القافية لم تفرض هذا اللفظ بقدر ما فرض هو نفسه على الشعر نتيجة للاحداث الجارية في عمان واطرافه والتي كانت شبيهة بما كان بالمغرب لولا ان سلطان البرتغال لم ينهزم في وقعة وادي المخازن ، وهكذا فان ذكر عمان له من الاهمية في الذكر ما لا يقل عن الاهمية التي كانت لذكر بغداد ويونان ونجران وساسان .

كان الحكم قد انتقل من يد النباهنة (42) الى يد « اليعاربة » الذين نادوا بشعار الاستماتة في طرد الاجنبي عن البلاد .

---

(40) المراد سبستيان ملك البرتغال وهو اختصار لاجل الوزن .

(41) الناصري : الاستقصا 5 ص 152 .

(42) تروي المصادر الاباضية ان ايام بني نبهان عرفت بالجبروت والظلم وان ذلك كان هو السبب في انهيار صرح حكمهم في البلاد وهم يذكرون ان سبب خرابهم كان محاولة احد قادتهم اغتصاب فتاة كانت تستحم بحوض في غفلة من الناس (تحفة الاعيان) (المجلد الاول ص 379) وقد ثار الناس وولوا عليهم محمدا بن اسماعيل الشخص الذي هب لنجدة الفتاة ، وقام الحكام الجدد بتوزيع سائر اموال بني نبهان المغتصبة على اصحابها الحقيقيين .. وقد وقفت في مخطوطة كشف الغمة الجامع لاخبار الامة للمؤرخ سرحان العماني على ان المسلمين اجتمعوا فنظروا في الدماء التي سفكها آل نبهان والاموال التي اغتصبوها بغير حق فوجدوها اكثر من قيمة اموالهم الحقيقية ، وكان القاضي يومئذ هو ابا عبد الله محمد بن سليمان بن احمد بن مفرج والامام هو عمر بن خطاب فاقام القاضي محمدا بن مفرج وكيلا لملوك آل نبهان فقضى القاضي بان جميع مال آل نبهان كائنا ما كان قضاء «ثابت» للمظلومين وقبل القاضي الثاني هذا الحكم فصارت هذه الاموال لاصحابها وصار كل مال لا يعرف اهله الى الفقراء والى الامام العدل يصرفه في اعزاز المسلمين ، وكان هذا الحكم عشية يوم الاربعاء لسبع ليالي خلون من شهر جمادى الاخرى من 887 .. وقد وقفت على صورة من منظومة بكمبردج بعنوان الشعاع الشائع باللمعان في ذكر اسماء ايمة عمان وما لهم في العهد من الشان واولهم الجلندا ابن مسعود وآخرهم سلطان بن مرشد اليعربي ، من جملة ابيات القصيدة خطابا لمن اوقع ببني نبهان من اليعاربة :

فانت امام عدل تدري مما   بنو نبهان حازوا اغتصابا
فقسمه في الحفظ عدلا   على الفقراء قربا واغترابا

لقد اعلنها امام عمان المجاهد البطل ناصر بن مرشد اليعربي حربا على الوجود البرتغالي في المنطقة (43) .. وقد علمنا ما دها البرتغال على ارض المغرب فلا غرو ان ينهزم ، ولا غرو ان ياخذ بآخر قلاعه الى غير رجعة من حصن جلفار .

وكما كان الامر بالامس فقد تناسى الناس كل المناقسات المذهبية وتكتلوا صفا واحدا ضد الوجود الاجنبي ولم يبق هناك اي شعور بالنعرات الطائفية كذلك ، وهكذا لبى المالكية نداء الاباضية للجهاد كما وقفت الى جانبهم مختلف المذاهب الاخرى .. فكانت نهاية الحرب الصليبية في هذا الجزء من العالم الاسلامي .

— ✻ —

وبعد فان هناك فترات في تاريخنا البعيد والقريب ما تزال في حاجة الى البحث والتنقيب ، وان في صدر تلك الفترات هو ما يوجد في تلك الظروف العصيبة التي استهدفت فيها بلاد المشرق والمغرب للغزو الاجنبي ، وانه اذا كان من مصلحة الذين غزونا وهاجمونا في عقر دارنا ان يطمسوا معالم قوتنا وان يكتموا جوانب تضامننا مشرقا ومغربا فانه لا يحق بحال لمؤرخينا ان يغفلوا عن اي آصرة من الاواصر التي جعلت منا مناضلين على ارض متباعدة ولهدف واحد وجعلت منا منتصرين هنا وهناك لان هدفنا كان واحدا ..

وللتعبير من مؤرخينا عن اهتمامهم بذلك ينبغي ان يبرزوا في مناهج التاريخ لهذه الامارات معركة وادي المخازن التي تمت على مقربة من المحيط والتي كان لها اكبر الاثر على انقاذ الخليج .

بغداد : عبد الهادي التازي

---

(43) وقفت في امارة (دبي) على مخطوطة نفيسة لابن زريق النخلي الاباضي الف عام 1261 في ملك الاخ الواعية الاستاذ ابن السليم (مدير الجمارك) خاصة بهذ الامام بعنوان : سراج المسترشد الهادي الى مناقب سيرة امام المسلمين المجد ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان اليعربي العماني الاباضي المتوفى سنة 1059 بنزوى . وهي فريدة في بابها ..



مقدمة

ترجع عادة التغالي في تشوير البيت الى شبه جزيرة الاندلس ، ويصعد تاريخها الى النصف الثاني من المائة الرابعة للهجرة ، حيث تكاثرت السبايا من الاسبانيات بعد غزوات المنصور بن ابي عامر للمعاقل المسيحية ، وهذا ما افضى الى انخفاض في اثمان الاسيرات ، وصار رخص اثمانهن يجذب الشبان للتزويج بهن ، وقد كان هذا حافزا للآباء الى التغالي فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي وحتى الدبار ليرغبوا في تزويجهن (1) ، ثم استمرت هذه الحالة — من بعد — بالاندلس ، ومنها دخلت الى المغرب .

والغالب ان هذه الظاهرة كانت قد ازدهرت بالمغرب ايام الموحدين ، وبالضبط على عهد يعقوب المنصور ، حيث جاء في ترجمته (2) اثناء كلام :

« .. ثم امر بقطع لباس الغالي من الحرير ، والاجتزاء منه بالرسم الرقيق الصغير ، ومنع النساء من الطرز الحفيل ، وامر بالاكتفاء منه بالساذج القليل ، وامر باخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب ، فبيعت منه ذخائر لا تحصى ، بأثمان لم توف ولم تستقص».

وهكذا يمكن ان نتبين من هذا النص فترة استفحال هذه العادة بالمغرب ، دون ان يعرف — بالتدقيق — مبادىء ظهورها ، وقد تعود الى عصر حكم العامريين بالمغرب ايام مغراوة .

وبعد هذا ننتقل الى عصر الوثائق الاربعة التي تقدمها هذه الدراسة ، ونسجل انها جاءت عقب الغزو الاسباني لتطوان . عام 1276 هـ / 1860 م ، حيث واجهت الحكومة المغربية ازمة مالية خانقة (3) ، ومن جهة اخرى كان من اثر هذه النكسة انفتاح البلاد امام الاجانب ، فتقدمت تجارة المغرب مع اوربا ومع فرنسا بالخصوص ، مما جعل الثروة تتدفق على طبقات من التجار المغاربة ، فاتخذوا — حسب الناصري (4) — المراكب الفارهة ، والكسي الرفيعة، والذخائر النفيسة ، لاسيما بمدينة فاس والرباط.

(1) « المعجب ، في تلخيص اخبار المغرب » ، « مطبعة السعادة » بمصر — ص 24 .
(2) البيان المغرب لابن عذاري : القسم الموحدي ، ط. تطوان — ج 3 ص 145 .
(3) عن مظاهر هذه الازمة يرجع الى : جرمان عياش : « جوانب من الازمة المالية بالمغرب بعد الغزو الاسباني سنة 1860 » ، المطبعة المغربية روايال ، 1959 — الرباط .
(4) «الاستقصا» ط. دار الكتاب ، الدار البيضاء — ج 7 ص 124 .

وقد بدا أثر هذا الترف واضحا في تصاعد عادات الافراح في بعض المدن المغربية ، حتى خرجت عن الحد المتعارف في الشورة واللباس وملحقاتهما ، مما جعل البون شاسعا بين طبقات الفقراء وطبقات الاغنياء ، زيادة على ان هذه ظاهرة شذ فيها المغرب عن الشرق والغرب ، وهذا ما يشهد به ابو اسحاق التادلي (5) ويقول خلال كلام :

« ... نعم : الداهية العظمى لاهل المغرب ـ خصوصا اهل فاس والرباط ـ كثرة الملابس والفرش التي لا توجد لاهل المشرق ولا النصارى ، وامرهم في ازدياد الى ان يتدارك الله الفقراء بالطافه الخفية ».

ولا ننسى ـ بعد هذا ـ ان عاهل المغرب في هذه الفترة هو السلطان العلوي محمد الرابع ، ومن المعروف عنه انه كان يسعى لادخال اصلاحات تقدمية على الحالة بالمغرب (6) ، وانضاف لهذا الاعتبار واقع الازمة المالية التي يعانيها الجهاز الحكومي ، فكان هذا وذاك هو الذي حفز نفس السلطان للقيام بمبادرة صارمة ضد بدع الافراح في الفرش واللباس وتوابعهما ، وهذا ما تحتفظ به الوثائق التي سنعرضها ، وهي تختص بمدينة فاس ، حيث كان حاكمها آنذاك هو الحاج ادريس بن الحاج عبد الرحمن السراج الاندلسي .

وقد اصدر له السلطان العلوي امرا من ثلاث نقط :

ا ـ ان يجعل حدا للعادات التي تفاحشت بمدينة فاس ، وظهرت في التغالي في الفراش واللباس بمناسبة الافراح .

ب ـ ان يحد للماشطات « النكافات » حدا في علو فراش الولائم وفي لباس العرائس .

ج ـ ان يحد للمغنيات من النساء حدا في لباسهن وشغلهن .

وبادر حاكم فاس الى تنفيذ التعليمات الملكية ، وسجل نشاطه ـ في هذا الصدد ـ في اربعة نصوص :

النص الاول : بمثابة مدخل للوثائق بعده ، حيث يخص الامر الملكي حسب النقط الثلاثة الآنفة الذكر .

الثاني : وثيقة عدلية تتضمن الاشهاد باتفاق ممثلي الراي العام آنذاك على تحديد الفراش واللباس بمناسبة الافراح . وتحديد ايام حفلات الاعراس ، مع تحديد عدد الماشطات في الولائم ، وتحمل هذه الوثيقة تاريخ 10 جمادى الثانية ، عام 1278 هـ / 1861 م ، وبعده امضاءات عن ستة عدول يليها اثبات القاضي .

الثالث : وثيقة عدلية تشهد على الماشطات والمغنيات بالتزامهن تحديد ظروف اشغالهن ولباسهن ، بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام 1278 هـ / 1861 م ، وبعده امضاءان عدليان يليهما اثبات القاضي .

الرابع : ظهير صادر عن نفس السلطان بالمصادقة على ما وقع عليه الاتفاق في الوثيقتين العدليتين بالنص الثاني والثالث ، ويحمل تاريخ 18 جمادى الثانية عام 1278 هـ / 1861 م .

ومن حسن الحظ ان هذا السلطان امر بتسجيل النصوص الاربعة في احدى حوالات القرويين وهي الحوالة السليمانية (7) ، وبهذا امكننا ان نطلع على نسخ هذه الوثائق ، حيث حافظت على هذه المبادرة الاجتماعية، وانفردت بالكشف عنها دون ان يتحدث عنها اي مصدر آخر معروف .

— * —

وقبل تقديم هذه الوثائق نقف قليلا لنرى ان افكارها ـ كلا او بعضا ـ تكرر بعثها من جديد في مناسبات تالية ، وفي مدينة فاس اكثر ، حيث كانت هذه المبتدعات تحمل قليلا لتعود للظهور في شكل اعنف من السابق ، وهنا يقع تجديد الالتزامات ، وحصر الممنوعات من المبتدعات القديمة والحديثة في الشورة والافراح .

---

(5) « اغاني السقا ومغاني الموسيقى » مخطوطة خاصة ـ عند اوائل الباب السابع .

(6) مظاهر يقظة المغرب الحديث في الميدان التعليمي ، مجلة البحث العلمي ، العدد التاسع ، السنة الثالثة ـ ص 95 .

(7) ص 315 ـ 316 ، حسب الشريط المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط رقم 114



وجدت هذه الصورة محفوظة عند بنت باشدور الانجليز بطنجة الميسطر (جان هي) اخذت عند مقابلته الرسمية مع الجلالة السلطانية المحمدية والقنصل المذكور هو الواقف امام الجلالة مع اعضاء سفارته وعن اليمين زوج السفير المذكور وبنته. وقد امتد مقام هذا السفير بالمغرب من الدولة العبد الرحمانية الى اواسط الدولة الحسنية

وهكذا تأتي المناسبة الاولى عام 1323 هـ / 1905 م أواخر أيام السلطان المولى عبد العزيز؛ حيث وقع الاشهاد على 12 مغنية بفاس (8) ، بتحديد سلوكهن ولباسهن ، حسب وثيقة عدلية مؤرخة فى 3 ربيع الثاني من نفس العام (9) .

وفى عام 1336 هـ / 1917 م تبنى اعضاء المجلس البلدي بفاس ومعهم جمهور اعيان المدينة حركة جديدة ضد بدع الافراح ، وجددوا الاشهاد على الماشطات والمغنيات ، كما اوقعوا الاشهاد على الحجامين وغيرهم مما يحدد سلوك كل فريق فى هذا الصدد ، وضمنوا ذلك فى وثيقة عدلية مؤرخة فى 11 محرم عام 1336 هـ / 1917 م ، وبهذه المناسبة صدر ظهير عن السلطان المولى يوسف ، يجدد به مقتضيات ظهير السلطان محمد الرابع المتكرر الذكر ، ويصادق على ما وقع عليه اتفاق مدينة فاس ، بتاريخ متم ربيع النبوي عام 1336 هـ (10) / 1918 م .

وفى عام 1345 هـ / 1926 م اثيرت القضية من جديد بنفس المدينة ، وبالاضافة الى بدع الافراح طرحت بدع المآتم والكهان والعرافين وغيرها ، ووضعت فى هذا الصدد عدة محاضر كتبت مقرراتها بلهجة قوية ، والتزم بها مختلف الطبقات الذين تصنفهم الوثائق فى العلماء والاشراف والاعيان والتجار والمتمرسين فى الاسواق والصناع ، فى اعداد ضخمة تتجاوز سبعمائة من سكان فاس العتيق والجديد ، وقد دونت وثائق هذه المبادرة فى مجموعة مخطوطة يعرف منها ــ الآن ــ نسختان : احداهما خاصة ، والثانية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك 3031 .

واخيرا ، كان صدور ظهير جلالة المغفور له محمد الخامس لتحديد ما يلزم الاقتصار عليه فى الثورة والافراح بالنسبة لمجموع المغرب ، ويحمل تاريخ 16 رجب عام 1361 هـ / 1942 م .

ــ * ــ

وبعد هذا يصل بنا المطاف الى تقديم الوثائق الاربعة المعنية بالامر ، وهي ــ بعد الجانب الموضوعي منها ــ ترسم بعض الصور الاجتماعية بالنسبة لمدينة فاس فى هذا العصر ، فتذكر ملامح من الترف الفاسي فى فراش البيوت ولباس العرائس والمدعوات للافراح ، كما تفسر عادات الماشطات فى الولائم ، وتقدم لوائح للرجال تمثل ــ على العموم ــ النخبة الاقتصادية فى نفس المدينة والعصر ، ثم تقدم ــ مرة اخرى ــ لوائح النساء تحتفظ باسماء عريفات المطربات .

والوثائق ــ كما علمنا ــ منتسخة فى حوالة القرويين السليمانية ، وهي مكتوبة باساوب يغلب عليه الوضوح والسجع ، وخطها مغربي مليح مجوهر ، يتخلله قليل من التصحيف والحذف من بعض تعبيراته ، وقد عملت على الاشارة لذلك جهد الامكان .

والآن ها هو نص الوثائق الاربعة كما وردت فى مصدرها المتكرر الذكر .

الحمد لله ، لما ورد امر مولانا المنصور بالله ايد الله مقامه ، ونصر اعلامه ، ويسر مرامه ، على عامله الرئيس الاسعد ، الذى سعدت بولايته هذه الحضرة ، واستضاءت بسعادة طلعته اضاءة القمر فى غسق الداج ، الطالب سيدي الحاج ادريس السراج ، بان ينهي ويزجر اهل هذه الحضرة عما ارتكبوا من البدع والمنكرات ، واستنوا من العوائد والتفاخر والمباهات ، وجعلوه عرفا معروفا ،

(8) جاء فى هامش الوثيقة تقديم اسمائهن هكذا :
جماعة الشيخات :
1 ــ الحاجة زينب . 2 ــ الحاجة عائشة الحجوية . 3 ــ محجوبة . 4 ــ زينب المكناسية . 5 ــ فاطمة علال . 6 ــ خديجة السبتية . 7 ــ مباركة بنت غلال . 8 ــ الباتول . 9 ــ فاطمة البكارية . 10 ــ زهراء المكناسية . 11 ــ بريكة المراكشية . 12 ــ حبيبة المكناسية .

(9) ورد نص هذه الوثيقة فى الحوالة السليمانية الآنفة الذكر ، حسب الشريط المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط رقم 114 ــ ص 314 .

(10) نص الظهير اليوسفي عند ابن زيدان فى الدرر الفاخرة ــ ص 130 ــ 133 .

وصنيعا مالوفا ، في التطاول فى الفرش فى الاعراس والولائم ، والبسط الفاخرة ، والستور الباهرة ، وتظاهر القوي على الضعيف ، وتفاخر الغني على الشريف ، فى الملابس للعرائس ، واتخاذ الحلي والحلل والتكاثر من ذلك ، مما لا يقره شرع ولا طبع ، وان جرت به العادة فالمقر من العوائد ما وافق الشرع ، ولم يؤد الى منكر ولا هتك حرمة مسلم ضعيف ، فى تكلفه ما لا يطيق تشبيها بالقوي عليه وبالشريف .

وان يحد للماشطات حدا فى علو الفراش للاعراس والولائم ، واللباس للعرائس بحيث يقع التساوي فى ذلك بين القوي والضعيف ، والمشروف والشريف ، حتى لا يتطاول غني على فقير ، ولا كبير قدر على حقير .

وكذلك يحد للمسمعات والطبالات من النساء هذا فى لباسهن وشغلهن وغير ذلك .

ففعل الرئيس المذكور ــ ارشده الله واعانه ــ ما أمر به ، وشهد على المشطات واعيان هذه الحضرة من الشرفاء والتجار وغيرهم ، بالتزامهم الوقوف عندما حد لهم الذي سيذكر ويفسر بالرسم اسفله، حتى يسهل تعاطي الامر المحدود على الضعيف كما يسهل على القوي ، ومن زاد على ذلك او تعداه فتلزمه العقوبة ولا يلم الا نفسه .

وحيث امتثل الرئيس المذكور الامر المولوي المذكور ، وحد لكل طائفة ولكل واحد من غني او فقير الحد المذكور ، اعلم مولانا المنصور بالله فاستحسن ــ ايده الله ــ رايه وما فعل ، وامره ان يكتب الاشهاد بذلك بحوالة القرويين ، ليبقى ذلك حجة على من يزيد نقضه والعمل بخلافه الى ابد الآبدين .

— * —

نص الرسم الاول المتضمن لاشهاد ما ذكر وخطاب من يجب سدده الله وحفظه عليه : الحمد لله الذى اقام بالخلافة دينه القويم ، وهدى بأنجمها الزواهر الى صراطه المستقيم ، وحسم بحسام الشريعة المحمدية العوائد الحادثة والبدع الردية ، نحمده على ما اليه هدانا ، ونشكره على ما ارشدنا اليه من هدانا ، ونشهد انه الله الذي يسر المومنين لليسرى ، وشرح صدورهم لما به صلاح هذه الدار والاخرى ، ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أوضح لامته ما تتحلى به وتعمله الجوارح وتكنه الصدور ، وانزل الله عليه قوله تعالى «الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الامور» وقال فيما رواه الحاكم عن ابن هريرة رضي الله عنه ــ تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي ، ولن يفترقا حتى يرا علي الحوض ، وقال عليه السلام بعد ما بين لنا السنة من الفرض ــ حسبما رواه الامام احمد عن غضيف بن الحارث ــ ما احدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة ، صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه الذين مهدوا قواعد الدين واوضحوا سبل الجنة .

وبعد فمن المقرر المعلوم ، لدى الخاصة والعموم ، ان هؤلاء الماشطات اللواتي صرن بهذه الحضرة فى رفعة وهن ساقطات ، اذ لا غنى عنهن لمن كانت له وليمة او ما فى حكمها ، لقيامهن بقواعدها وعلمها ، لكنهن قد تجاوزن الحد المحدود ، وما ورثه من العرف الآباء عن الجدود ، من اتباع السلف ، وما كانوا عليه من لزوم السنة او مقاربتها فيما سلف ، وزين للنساء وجوه المباهات . وتزين بما لا يحمد ولا يرضى فى جميع الحالات ، حتى خرجن الى حد الاعتساف ، وما به يقع الاختلاف ، وتغالين فى النفائس المحدثات ، وتغالين فى البدع المستشنعات، فاتعبن بها الضعيف، والمشروف فى منافسة الشريف، والناس كلهم يرون ذلك بالعيان ، لا يغيرون ولا ينكرون القادر والعاجز فيه سيان ، الى ما لا حد له من فوق المناكر ، وما ينزل عنه اقلام الالسنة والمحابر ، ويشهد بذلك كل من يضع اثر تاريخه شكله ، وكل حضري يقر بذلك ويعرف صورته وشكله ، والكل عاجز عن ذلك لعدم تمكينه وخشية العتاب ، حتى يبلغ الشوق منتهاه ولكل اجل كتاب .

ولما انهي لعلم مولانا امير المومنين ، وخليفة رب العالمين ، المجاهد فى سبيل الله ، ادام الله نصره وعلاه ، امر ما عليه من ذكر ، وما أبتدعنه مما جهل وانكر ، وان امرهن ما زال فى الزيادة ، وقصارى همتهن فيما زاد على العادة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه الطبراني عن الحكم بن عمير : الامر المفظع، والحمل المضلع، والشر الذى لا ينقطع،

اظهار البدع ، حتى بلغه ايده الله ان بعضهـا (11) جعل في ستر بيت بعض الاعراس ، حليـا زيادة على ما يراه الناس ، وان تلك الافعال كلها من المحدثات ، التي يخشى على متتبعهن الهلاك والشتات ، امر ايده الله عامله الاسعد ، الطالب الوجيه الارشد ، الزكي الضابط الحازم ، القائم على ساق الجد بالامر اللازم، ابا الفضل سيدي ادريس السراج ، سلك الله به احسن طريق واقوم منهاج ، بحسم تلك المـادة الشنيعة ، والبدعة الدنية الوضيعة ، بما يظهر له من الراي السديد ، والنظر السالم والباع القوي المديد .

فاحضر ـ اعانه الله ـ من شرفـاء المدينـة واعيانها وتجارها ، من ذكر بالطرة بمنته من اولها الى آخرها (12) ، وفاوضهـم فيما ذكر وسطـر كله ، فحمدوا الله على الهامه مولانا لذلك ، وفرحوا له ومن اجله ، وقالوا هذا الذي كنا نطلبه ونتمناه ، ولو اعملنا فيه جهدنا ـ بدون امر مولانا ـ ما نلناه ، والآن : اما وجود الماشطات فلابد منه وقد كن فيما فات ، ولكن يجعل لذلك حـد لا يجاوزه من غنـي وفقير احد ، وقانون ينتهي عنده المفرد والعدد .

ثم وقع اتفاقهم على ان يكون فـراش وليمـة العرس والعقيقة والختان علوه من الارض لمنتهـاه ـ بالذراع السوسي ـ (13) ذراعان اثنان ، وبذلك نطعة (14) ولماطـات ثلاث ، وفي كل جهـة منـه مخدتان مثنيتان ، وفوقهما واحدة بمحرمة واخرى تشبير (15) بما لهم من اللفات (16) ، واسفل الصدر

(11) كذا في الموضعيـن .

(12) ورد في هامش الوثيقة تقديم اسمائهم في لائحة مطولة كما يلي :
1 ـ الشريف سيدي محمد بن ناصر الادريسي. 2 ـ الشريـف سيـدي احمـد العمـرانـي . 3 ـ الشريف سيدي جعفر العمراني . 4 ـ الشريف الناظر سيدي محمد بوعنان . 5 ـ المقدم الحاج امحمد الرامي . 6 ـ الناظر الحـاج عبد القادر بناني . 7 ـ الناظر الحاج المعطي صفيرة. 8 ـ المسن الطالب سيدي امحمد الطرنباطي . 9 ـ الفقيه السيد علال ابن جلون . 10 ـ الطالب سيدي محمد المشاط . 11 ـ الطالب سيدي محمد الشامي . 12 ـ المسن الحاج احمد المزوري. 13 ـ المسن سيدي محمد التدلسي . 14 ـ الطالب سيدي محمـد الجـزولي . 15 ـ السيـد الحبيب ابن جلون . 16 ـ الحاج التهامـي جسوس . 17 ـ الامين الحـاج محمـد بن المدنـي بنيس . 18 ـ الامين السيد عبد النبي ابن جلون . 19 ـ التاجر الحاج عبد الله مكوار . 20 ـ التاجر الحاج احمد بن الطيب برادة . 21 ـ التاجر الحاج عبد الكريم بنانـي . 22 ـ التاجـر الحاج عبد السلام جسوس . 23 ـ التاجـر الحاج ادريس بن محمد بنيس . 24 ـ التاجر الحاج محمد بن الطيب التازي . 25 ـ التاجر الحاج امحمد بن عبد الوهاب بنيس . 26 ـ التاجر الحاج عبد السلام العاجي . 27 ـ التاجر الشريف مولاي علي السليماني . 28 ـ التاجر الامين الحاج المكي ابن يحيى . ـ 29 ـ الامين الحاج محمد بن التهامي التازي . 30 ـ الامين الحاج التهامي بناني . 31 ـ التاجر الحاج الحارثي بن العيسـاوي برادة . 32 ـ الحاج العربي بن محمد بنيس . 33 ـ التاجر الحاج محمد بن عبد الكريم آمرون . 34 ـ الامين سيدي محمد مرين الرباطـي . 35 ـ الحاج عبد القادر السـراج . 36 ـ المسن الحاج محمد الجرندي .

(13) تقدر بـ 55 س. م حسب الفريد بيـل فـي الجريدة الاسيوية عدد مارس ـ ابريل سنة 1917 م. وهي التي كانت متداولة بالمغرب في قيـاس المنسوجات الحريرية والقطنيـة قبـل استخـدام القياس المتري
والغالب ان وصف هذه القالة بالسوسية جاء من ظهورها ايام السعديين لتعدل القالة الثمانية ايام المرينيين .

(14) النطع بسـاط من الجلد ، واستعملت النطعة هنا للبسط المتعارفة التي توضع فوق الفراش .

(15) المحرمة والتشبير نوعان من المطرزات الفـاسية القديمة .

(16) تعبير عن اغشية الوسائد .

خديتان من الحرير وما زاد (17) ، ورواقان (18) من خالص الحرير (19) لا يزاد ، وعلى باب البيت خامية من الشرب واحدة دون كلة ، وبما ذكر تسمي النسوة ذلك كله ، وهذا فراش كل قوي وضعيف ، ومشروف وشريف ، في خصوص ما ذكر من الاعراس والختان والعقائق ، التي تتشبه فيها الانواع مع اختلاف الحقائق .

وان ابراز العروس للجلوة لا يزاد فيه على سبعة ايام ، ويوم الغسيل لا يلبسنها اكثر من ثلاث حال رفقا بضعفاء الانام ، ولا يجمع للثيب بين حنش وتاج (21)،ولا يزدن علىمجموعهما للبكر استغنى وليها او التاج ، ولا يجعلن لها في ايام العرس عصابة ، ولا في عنقها اكثر من ثلاث قلائد من الجوهر ولبة ، وتلبس في غير ايام العرس ما شاء زوجها واحبه .

ولا يجعل احد كلفة تنقيل (23) ولا دفع الصداق ، ولا يرفع طيفور المنادل ، ولا عتيدة الخرق (23) ، ولا ما يدعونه الطبق والمبزرة للولادة.

ولا تاتي الماشطة للوليمة ومعها فوق خمس من المتعلمات زيادة ، ولا تكون بالولائم امراة حاضرة بجوهر والحائك ونحوه من اللباس ، وان كانت بدارها بغير العرس وما ذكر معه فلا بأس .

وبعدما وقع اتفاق من حضر على ما ذكر مع ان كون النسوة المتفرجات ، من ابدع الفواحش والمناكر البينات ، وامر العامل المذكور ، عرفا الحوم بالزجر على من خرجت لذلك كفيره من مناكر الامور، حضر لذلك عريفة الماشطات السيدة حبيبة الجرينية والحاجة هنكي جنانة والحاجة سترة جلونة وغيرهن بمن لهن من الاتباع ، وعرض عليهن ما وقع عليه ممن حضر الاجماع ، فقبلن ذلك والتزمن القيام به والوقوف عند حده كل الالتزام ، وتعاهدن وتعاقدن على ان لا يكون لهن على غيره اقدام ، ومن تعدت حدا من تلك الحدود ، فقد عرضت نفسها لانواع النكال والحدود .

فمن حضر لما ذكر كله وشهد على من ذكر ومن حضر وهم عارفون قدره وعرفهم ، قيده في عاشر جمادى الثانية عام ثمانية وسبعين ومائتين والف .

عبد الكبير بن المجذوب الفاسي (25) .

ومحمد بن الطالب ابن سودة لطف الله به .

ومحمد القاطمي بن الهادي الادريسي لطف الله به .

وعلال ابن جلون (26) لطف الله به .

والمكي ابن شقرون لطف الله به .

وعبد الوهاب بن العابد القادري (27) الحسني لطف الله به .

---

(17) كان المقصود به نوع من الوسائد الحضرية كان يعرف بالمزود ، ويقال فيه — ايضا — مزاد بالفصحى لكن دون الف بعد الميم .

(18) ازاران يعلقان على ركني البيت ليسترا ما خلفهما .

(19) موضع البياض كلمة لا تقرا .

(20) هناك الشربية للخمار المنسوج من الحرير ، وقد تكون منسوبة للشرب الوارد في النص فيكون — بدوره — من الحرير .

(21) عبارة عن عقود من الحلي مخيطة في ثوب الزردخان او ما يشابهه بعضها فوق بعض ، حيث تكون قطعة حريرية مستطيلة مرصعة بالعقود المتراكبة .

(22) نقل الفراش لدار الزوج .

(23) صندوق ملابس العروس وذخائرها ، وقد كتبت الخرق في الحوالة بالالف بعد الراء وهو سبق قلم .

(24) هو ما يعرف — ايضا — باسم المشبك .

(25) ترجمته في الاغتباط ، بتراجم اعلام الرباط لمحمد بوجندار ، خ. ع. د 1287 — ج 2 ص 137 — 138 .

(26) ترجمته في سلوة الانفاس ج 1 ص 253 — 254 .

(27) ذكره الزياني ضمن الوافين لدى السلطان العلوي المولى سليمان ، حسب «جوهرة التيجان» خ. ع. ك 112 .

وبعده – بخط من يجب – الحمد لله ، ادوا فقبلوا واعلم به : امحمد بن عبد الرحمن الحسني العلوي (28) .

– * –

ونص الثاني بقطعة اخرى : الحمد لله ، لما ورد امر مولانا الامام ، حامي بيضة الاسلام ، وناصر دين جده عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، ادام الله – سبحانه – ملكه ، واجرى في بحار السعادة فلكه ، وفتح به الاسلام والمسلمين ، وابقاه سيفا صارما للطغاة المعتدين ، على خديمه الانصح ، البار الارشد الافلح ، الخير الدين الارضى ، سيدي ادريس بن الابر الارضى ، الرئيس الوجيه الناظر المحتسب المرتضى ، سيدي الحاج عبد الرحمن السراج الاندلسي، عامل الحضرة الادريسية صانها الله بمنه ، بتفقد البدع المحدثة على يد الماشطات في الاعراس ، وكان في معناها الطبالات اللائي يحضرن من غير شك ولا التباس ، اقتضى نظره – حفظه الله – ان يبحث فيهن ، واستكشف عن احوالهن ، فاحضر المذكورات منهن بطرته (29) ، وامرهن بما يذكر ويفصل :

وذلك أن لا يتعاطى هذه الخدمة شابة صغيرة، وتكون النساء الكبيرات فقط وما يقرب منهن .

وامرهن بلباس ثياب تميزهن من الصيانات : بان تجعل كل واحدة في رجلها ربحية حمرا ، والسروال من نوع ما يلبسه الرجال ، وتتحف بالردة ، ولا يلبسن الثياب الفاخرة ، ولا يزين وجههن ، ولا تجعل في راسها ما يعرف بالخنطوز (30) .

وان تكون خدمتهن بالليل فقط ، ولا يأتون لدار الا بعد استدعاء ربها لهم ، ويقدم لهم ما يسمى – في العرف – بالعربون، وان لا يختلطن مع الرجال، ولا يخدمن بالطرقات ، وان لا يرقصن بالدار ، وان تحمل كل واحدة آلتها بيدها ، ولا تكون عندهم امرأة تحمل الجميع .

فقبلن شرطه والتزمن اتباعه ، وحذرهن – اعانه الله – من ارتكاب شيء يخالف هذا وخوفهم عقوبته .

---

(28) ترجمته في سلوة الانفاس ج 1 ص 205 – 206

(29) وردت اسماؤهن هكذا :

1 – الحضارات

– عائشة الخلفية ، ومعها : 8 .
– الحاجة عيشة بن الكبير ، ومعها : 6 .
– العزيزة برادة ، ومعها : 5 .
– الحاجة عائشة الحلوية ، ومعها : 8
– حبيبة بنت مولاي عبد الله بن حسين .
– الصريدية معها اخرى : 2

2 – الطبالات

– مينة السرغينية ، ومعها : 6 .
– طامو البلبول ، ومعها : 5 .
– عائشة الهوارية
– ورحمة التطوانية معها اخرى : 2 .

(30) لباس خاص بالراس اشتهرت به المراة الفاسية ، وبهذه المناسبة نسجل ما ذكره الرحالة الجزائري الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش في رحلته للمغرب عام 1156 هـ ، حيث يذكر ان نساء فاس يجعلن على رؤوسهن شبه عمائم كبيرة : من الحرير واكثرها اما ابيض أو ملون ، أو يتعممن بالشال الهندي او بالشقة المصرية الجيدة ، مخطوط خ . ع ك 463 – ورقة 60 ب .
ويوجد ضمن موضوعات الشيخ جعفر الكتاني رسالة تحمل اسم : « الالبان المودعة في الفوازير، في حكم الله في استعمال الخناطيز » ، وهكذا ورد اسمها ضمن لائحة مؤلفات كاتبها آخر فهرسته المنشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية – م 7 ، ص 2 .

فمن حضر لما ذكر وسمع منهن ما ذكر وعرف بهن ، قيده في اواسط جمادى الثانية ، عام ثمانية وسبعين ومائتين والف .

محمد الفاطمي الادريسي .

وعلال بن امحمد الكوفي ابن جلون لطف الله به .

وبعده : اديا فثبت واعلم به امحمد بن عبد الرحمن العلوي الحسني

— ✻ —

ونص الظهير الشريف : الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم .

والطابع الشريف — بين الحمدلة والصلاة على النبي عليه السلام — بداخله : محمد بن عبد الرحمن غفر الله له ، وبأركانه : الله . محمد . ابو بكر . عمر عثمان . علي ، وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ، وبطوقه :

ومن تكن برسول الله نصرته
ان تلقه الاسد في آجامها تجم

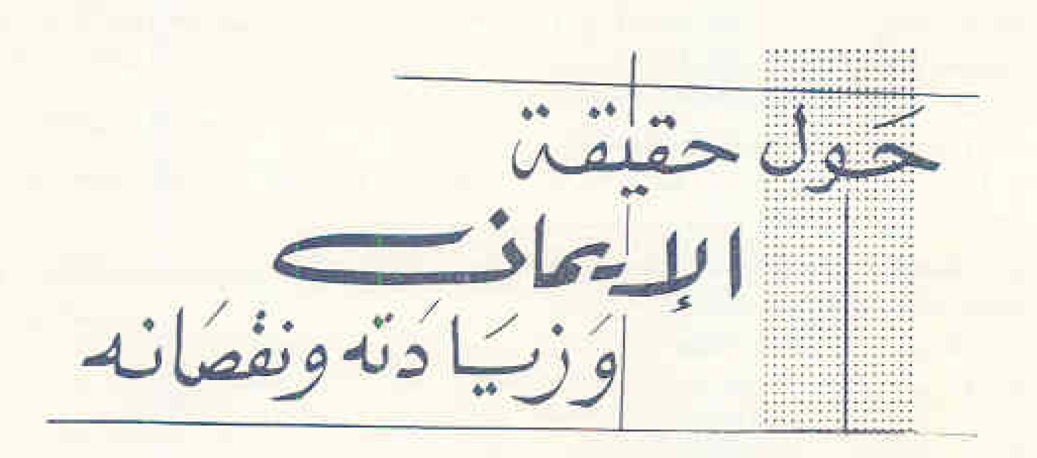
نصه : يعلم من هذا الكتاب الكريم ، والخطاب المحتم الصميم ، اننا لما طولعنا بما اتفق عليه من سمي بشرفاء فاس واعيانها وتجارها ، بالرسم الذى وقع الاشهاد بمضمنه على عريفات الماشطات بها ، من بيان الكيفية التى يكون عليها تحملهن فى فراش الوليمة والعقيقة والختان ، وفى العروس وتحليتها ، والاقتصار على سبعة ايام فى جلوتها وتوابع ذلك ، رايناه قريبا من السداد ، اذ الزيادة عليه بدعة شنيعة خارجة عن المعتاد ، (وذلك) كاف فى (ما) امرنا به من حسم مادتها ، والابعاد عن غاياتها ، ليسهل تناول ذلك على المشروف والضعيف ، كما يتناوله — بجاهه — القوي والشريف . وفى الحديث الكريم : « ما كان الرفق فى شي الا زانه ، ولا كان الخرق فى شيء الا شانه » .

وقد امضينا ذلك امضاء تاما ، كما امضينا ما شرط خديمنا الارضى الطالب ادريس السراج على الطبالات والذكارات من الشروط ، التى منها ان لا يجعلن معهن البنات الشابات التى تتشوف اليهن النفوس ، وان لا يرقصن بالدور ، وان لا يتشبهن بالصبيات ، وغير ذلك ، وقوفا مع العرف القديم ، وفرارا من كل محرم ذميم .

فنامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا ان يتعاهد البحث فى ذلك ،ولا يسامح من حاول نقض مبرمه ، بل يلزم كل فريق الوقوف عند حده ، وينتضي للمتطاول المتنطع سيف العقوبة من غمده ، ومن اعذر فقد انذر .

صدر به امرنا المعتز بالله ، فى 18 جمادى الثانية ، عام 1278 هـ .

الرباط : محمد المنوني



... حيث دار حوار بين العلماء بالمغرب عندما تعرض صاحب الجلالة في أحد دروسه القيمة في اختتام الدروس الحديثية التي تلقى بحضرته لحديث جبريل عليه السلام الذي تضمن جواب الرسول صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان ...

للأستاذ محمد الطنجي

من المعلوم ان البعثة المحمدية على صاحبها افضل الصلاة والسلام قد احدثت ثورة اجتماعية كبرى في العالم العربي اولا وفي سائر العالم القديم ثانيا سواء في المعتقدات او المعاملات او آداب السلوك العام حيث رفعت هذه الشريعة الاسلامية من قيمة الانسية وقدر الانسان ونزهته ان يعبد الاصنام والنار او يعتقد الاشراك مع الله بمن لا ينفع ولا يضر، او يتخذ الوسطاء فيما بينه وبين خالقه كما يزعم الكهنوتيون، فسما قدر الانسان في الوجود حتى وقفت البشرية مشدوهة امام ما احدثه الدين الاسلامي من الارتقاء في الافكار، والسمو في الاعتقاد، وتجديد الحضارات والثقافات والعمران، والتصرف في العلوم القديمة الموروثة عن اليونان والفرس والهند والسريان، تصرف المسلمون في تلك العلوم كما هو معروف بالانظار الثاقبة والافكار النيرة فبذلوا اولا جهودا شاقة في نقلها الى اللسان العربي، وخدموها خدمة جلى ابان ازدهار الدولة العباسية في المشرق، والدولة الاموية والموحدية في الاندلس والمغرب، وانشأوا قواعد مبتكرة لتنظيم اللسان العربي في التصريف والاعراب والاسلوب والتعريف للمصطلحات العلمية القديمة كما نظموا المعاجم اللغوية حفاظا على اللغة الاصيلة بعد اختلاط العرب بغيرهم من الامم فكانت نهضتهم تجديدا لحضارات الامم السالفة على اختلاف اشكالها والوانها

كان كل ذلك من آثار الرسالة المحمدية في الوجود التي تعتمد قبل كل شيء على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، تلك العقيدة التي تدفع المومنين بها الى العمل الصالح بوحي من ضميرهم الديني ومن تربيتهم العملية على اعتبار العمل بتلك العقيدة الاسلامية الطاهرة عاملا فعالا في سلوكهم، وتنظيم اجتماعهم على اساس من التعاون على البر والتقوى، من غير اعتبار عنصر ولا لون ولا جنس، فكانت الفتوحات الاسلامية مزدوجة فتوحات للاقطار لنشر الدعوة وتبليغ الرسالة المحمدية، وفتوحات علمية خدمت العلوم والحضارات مع ابتكارات عالية في ميدان الرياضيات والفلك والطب التجريبي وغير ذلك فضلا عن تنظيم



صاحب الجلالة في الدروس الحسنية التي تقام في شهر رمضان المعظم ...

التشريع والقانون الاسلامي الذي لا يزال يظهر له الفضل عند دراسة القانون المقارن على غيره من الانظمة سواء فيما يتعلق بتنظيم الاسرة أو التشريعات المدنية والجنائية والحربية او في ميدان البر واقامة دعائم الاحسان في المجتمع

ولذلك كله اعتبر الصحابة وكثير من ائمة الامصار الاعمال الصالحة جزء من الايمان ، وركنا من اركانه وحقيقته ، الا ان آفاق التفكير لما اتسعت في عهود النهضة الاسلامية ، واخذ المفكرون يطبقون المنطق في التعاريف والتصور للماهيات ، اعتبروا حقيقة الايمان على حدة ، والاعمال التي يقتضيها الايمان خارجة عن حقيقته ، وان كانت ثمرة له ، وهو يستلزمها باعتبار ما تنطوي عليه العقيدة التي تدفع صاحبها الى العمل ...

ولعل الباحث عن هذا التفكير يجد ما يستند اليه في هذا التصور من نفس احاديث الرسول عليه السلام ، فقد اجاب عن سؤال جبريل ، ما الايمان بقوله : « ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره » ، فلم يعتبر عمل الجوارح ، وان كان لفظ الايمان كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية افعال من الامن فهو يقتضي طمانينة وسكونا فيما من شانه ان يستريب فيه القلب فيخفق ويضطرب ، وهو يقتضي الاعتقاد الذي هو عمل القلب .

كما أجاب الرسول عن سؤال جبريل عن الاسلام بقوله شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا فاعطى الاهمية لاعمال الجوارح وكثير ما يذكر الايمان متبوعا بالعمل الصالح مثل الذين آمنوا وعملوا الصالحات والاصل ان يكون العطف للتاسيس بزيادة قضية جديدة لا للتاكيد لما تضمنه الكلام السابق .

ومن جهة اخرى قد يطلق الايمان على جميع اعمال الخير وان كانت تسمى شعبا وخصالا له سواء كانت اعتقادية او عملية كقوله عليه السلام ان للايمان لشعبا اعلاها كلمة التوحيد وادناها اماطة الاذى عن الطريق ، ومن جهة اخرى قد يثبت الايمان لمن شهد لله بالوحدانية وصدق واقر بما جاء عن الله عن طريق رسوله ثم مات قبل القيام باي عمل لعدم اتساع الوقت ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة .

وهكذا اختلفت الانظار بين السلف والخلف من ائمة الامصار حول اعتبار العمل جزء من الايمان داخل في حقيقته وماهيته او اعتباره من مقتضاه ومستلزماته فقط بعد الصدر الاول الذي اجمع اهله على ان الايمان قول وعمل واستمر على هذا اهل الحديث حتى انه روي بسند صحيح عن الامام البخاري انه قال لقيت اكثر من الف رجل من العلماء فما رايت احدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وكذلك نقل شيخ الاسلام ابن تيمية قول الحافظ ابن عبد البر في « التمهيد » اجمع اهل الفقه والحديث على ان الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال والايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان ، الا ما ذكر عن ابي حنيفة واصحابه فانهم ذهبوا الى ان الطاعات لا تسمى ايمانا قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به ، انتهى ..

وعندما نرجع الى الامام ابي حنيفة نجده يقول في كتاب الفقه الاكبر ما ياتي : الايمان هو الاقرار والتصديق وايمان اهل السماء والارض لا يزيد ولا ينقص من جهة المومن به ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق ، والمومنون مستوون في الايمان والتصديق متفاضلون في الاعمال ، والاسلام هو التسليم والانقياد لاوامر الله تعالى فمن طريق اللغة فرق بين الايمان والاسلام **ولكن لا يكون ايمان بلا اسلام ولا يوجد اسلام بلا ايمان وهما كالظهر مع البطن والدين اسم واقع على الايمان والاسلام والشرائع كلها .**

وممن يقول بقول ابي حنيفة شيخ المتكلمين من اهل السنة ابو منصور الماتوريدي الذي شرح الفقه الاكبر لابي حنيفة وهو قريب الشيخ ابي الحسن الاشعري وله اتباع يسمون الماتوريدية فقد قال ابو منصور قالت الشكاكية العمل من الايمان وعن هذا قالت بزيادة الايمان ونقصانه واحتجت بقوله تعالى « فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا » الا انا نقول معنى الايمان ها هنا التصديق ايمانا اي تصديقا اذ الايمان بجميع القرآن واجب والقرآن كان ينزل على النبي عليه السلام آية آية وسورة فسورة فكلما نزلت آية وجب التصديق بها فمن لم يصدق بآية من القرآن فقد كفر كما لو لم يصدق بجميع القرآن فهذا تاويل الآية على ما بيناه .

وكتب شارح كتاب « الفقه الاكبر » الشيخ احمد المغنيساوي الحنفي على قول ابي حنيفة والمومنون مستوون فى الايمان والتوحيد قال بحسب المومن به كما مر و«التوحيد» اي نفي الشريك فى الالوهية والربوبية والخالقية والازلية والقديمية والقيومية والصمدية فمن نفى الشرك فى بعضها دون بعض فهو مشرك لا موحد فلا يزيد التوحيد ولا ينقص من هذا الوجه اما من جهة التقليد والاستدلال فيزيد وينقص ، كما كتب على قول ابي حنيفة متفاضلون فى الاعمال ما ياتي أي فى الطاعات الظاهرة والباطنة قال وهذا يدل على ان العمل الصالح ليس جزء من الايمان لان العمل يزيد وينقص لان بعض الناس يصلي الصلوات الخمس كلها وبعضهم يصلي بعضا وصلوات من صلى بعضا صلوات صحيحة لا باطلة وصوم من صام رمضان كله صوم صحيح وصوم من صام رمضان الى نصفه صوم صحيح ايضا لا باطل وقس على هذا سائر الاعمال من الفرائض والنوافل ، والايمان ليس كذلك لان ايمان من آمن ببعض المومن به ليس بايمان صحيح بل هو باطل كصوم من صام بعض يوم واحد ثم افطر ، قال : (والاسلام هو التسليم والانقياد لاوامر الله تعالى) فى الصحاح التسليم بذل الرضى بالحكم والانقياد الخضوع والخشوع والتطامن والتواضع فمعنى الاسلام هو الرضى باحكام الله تعالى من الفرائض والمحرمات اي الرضى بحكم الله تعالى بكون بعض الاشياء فرضا ويكون بعض الاشياء حلالا ويكون بعض الاشياء حراما بلا اعتراض ولا استقباح (فمن طريق اللغة فرق بين الايمان والاسلام لان الايمان فى اللغة عبارة عن التصديق قال الله تعالى « وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين» اي بمصدق لنا ، والاسلام عبارة عن التسليم ثم قال المغنيساوي وللتصديق محل خاص هو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام فى القلب واللسان والجوارح وللاستدلال على هذه الدعوى قال رحمه الله ويدل على كون الاسلام أعم فى اللغة كون المنافقين من المسلمين بحسب اللغة وما كانوا مسلمين بحسب الشرع وما كانو مومنين بحسب اللغة والشرع قال الله تعالى: « قالت الاعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا» لوجود الاعتراف باللسان وهو اسلام فى اللغة وليس بايمان فى اللغة لعدم التصديق بالقلب.

وهذا التفصيل مذكور عند الحنفية وعلى رأسهم الامام ابو حنيفة .

ومن جهة اخرى نجد الحافظ ابن حجر ينسب لاكثر المتكلمين انكار ان الايمان يزيد وينقص فانه قال فى شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولهذا كان ايمان الصديق (يعني ابا بكر الصديق) أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعتريه الشبهة وهذا الراي المختار من طرف الامام النووي يتلاقى مع قول ابي حنيفة وايمان اهل السماء والارض لا يزيد ولا ينقص من جهة المومن به ويزيد من جهة اليقين والتصديق.

وعلى ما ذهب به السلف وتابعهم على ذلك علماء الامصار وخصوصا الامام الشافعي يضع الفخر الرازي اشكالا حول تعريف الايمان على مذهب السلف فقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله فى الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن لقيه استشكل الرازي قول الشافعي جدا قال شيخ الاسلام ابن تيمية لانه كان انعقد فى نفسه شبهة اهل البدع فى الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية وسائر المرجئة وهو ان الشيء المركب اذا زال بعض اجزائه لزم زواله كله لكن هو لم يذكر الا ظاهر شبهتهم

قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره سهل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كبدن الانسان من أصبع او يد او رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وانما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح فى كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزاني والسارق وشارب الخمر ونحوهم فهذا المجموع الذى هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه أما اصله وأما اكثره وانما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه قال ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص اكثر من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك فى وحدانية الرب عز وجل

ووحدانية صفاته عند من اثبتها منهم انتهى بواسطة نقل « المنار » المجلد التاسع .

ويلاحظ على جواب شيخ الاسلام عن اشكال الفخر الرازي اما اليد والرجل لم تدخل فى تعريف ماهية الانسان حتى يقال انه اذا فقدها لم يفقد حقيقة الهيئة التى تركب منها فان حقيقته هي الحيوانية والناطقية وهي لا زالت موجودة رغم فقدان بعض الاعضاء غير الرئيسية ان التلازم بين الاسلام والايمان الذى ذكره امام ابو حنيفة واتباعه وخصوصا الشيخ ابا منصور الماتوريدي يجمع فى الما صدق بين راي السلف والخلف حتى مع اعتبار ان العمل زائد على حقيقة الايمان فيكون الخلاف بين السلف واكثر المتكلمين خلافا فى كل حال كما يقولون ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية « شرح العقيدة » الاصفهانية : فنزاع المنازع فى ان الايمان فى اللغة هل هو اسم لمجرد التصديق دون مقتضاه او اسم للامرين يؤول الى نزاع لفظي ، اما نفي الايمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر حين قيام هؤلاء بالاعمال المذكورة فهو داخل فى باب تشديد الوعيد على من ياتي هذه الافعال ، وهو ظاهر فى نفي الايمان جملة ، ويؤوله السلف على نفي الكمال ، اما ابو حنيفة فيدخله كذلك في باب الاول فضلا فى العمل اذا كان فاعله يقوم باعمال فاضلة اخرى لان المومنين متفاضلون فى الاعمال عنده والمقصود من الايمان على راي الجميع هو ثمرته ، لا صوره واشكاله ، وثمرته تظهر فى الاعتقاد الصحيح والعمل الصريح الصادر من المومنين كما قال عليه السلام : ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ، وقلما تجد الايمان فى القرآن الا مقرونا بالعمل الذي هو برهان الايمان الحق قال الله تعالى : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

الرباط ـ محمد الطنجي

البلاط المغربي في المجالين الروحي والزمني

للدكتور عبد الله العمراني

خلال ما يقرب من اثني عشر قرنا وربع قرن كان العرش المغربي وما يزال يعمل في تناسق تام وتوافق عجيب على القيام برسالتين هامتين اعتبرهما سلاطين المغرب وخلفاؤه على مر العصور واجبا مقدسا يجب اداؤه والحفاظ عليه باستمرار . الرسالة الاولى روحية دينية ، والثانية دنيوية زمنية . ذلك ان الاسلام دين ودنيا ، وأن امير المؤمنين خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في حكم الامة كان يعتبر نفسه ويعتبره المسلمون المسئول الاول عن اداء الرسالتين معا .

فبمقتضى الرسالة الروحية كان الخليفة يؤم الناس في الصلاة ، ويقودهم في ساحة الجهاد ، ويعمل على تأمين نشر الدعوة المحمدية واللغة العربية والحضارة الاسلامية بمختلف الوسائل العلمية والتربوية . وبمقتضى الرسالة الثانية كان يسهر على تأمين حدود الدولة ، وتوفير الامن والسلام والوحدة الوطنية وحمايتها من كل من يحاول الاخلال بشيء من ذلك ، وذلك بكل وسيلة ممكنة ، ان سلما فسلم وان حربا فحرب .

وقياما بالرسالة الروحية نرى ملوكنا في مختلف العصور الاسلامية بما فيها العصر الحاضر يعملون على استيعاب ثقافة عصرهم ،وعلى اعداد انفسهم اعدادا رائعا لدرجة ان كثيرا منهم يصبحون ادباء وشعراء وفقهاء وعلماء ومؤلفين ومدرسين واطباء وفلكيين وهلم جرا ، كما يعملون من جهة اخرى على توعية شعوبهم وتثقيفها وترقيتها وتقريب المثقفين من ابنائها وتشجيع النابغين منهم وابرازهم الى الوجود خلقا جديدا .

في البلاط العلوي

البلاط العلوي مثابة العلوم والمعارف المختلفة ، والملوك العلويون نماذج حية للملوك الذين حافظوا على التوازن السليم بين السلطتين المشار اليهما آنفا . وما اظن القراء في حاجة ماسة الى التمثيل بمجهودات مولاي محمد بن عبد الله العلمية وتآليفه القيمة ، او بمجهود مولاي سليمان الثقافية ، او بمنشورات مولاي عبد الحفيظ واعماله الشعرية والنثرية ، او باحياء مولاي الحسن الثاني لمعالم التراث المغربي وتنظيمه لدروس ليالي رمضان التي تضم في محافل علمية علماء المغرب والمشرق ووجهاءهما ثم ختمه لتلك الدروس بدروسه النموذجية التي ما زالت صورتها ماثلة لعيان من شاهدوها ، او مدوية في آذان من استمعوا اليها بواسطة اجهزة الاذاعة .

ويطول بنا الكلام لو اردنا تتبع نشاط ملوك يستحق كل منهم ان يكون موضوع كتاب مستقل ، لذا نرى لزاما علينا ان نقتضب القول اقتضابا ، وأن نختصره في كلمة جامعة هي ان ملوك المغرب كانوا في مختلف عصوره الادبية ــ بما قاموا به من اعمال

واصدروه من تاليف، وتصدروه من مجالس تعليمية يرمون فى الدرجة الاولى الى توفير مادة التعلم والتعليم للطلبة والعلماء المغاربة على السواء ، كما كانوا يهدفون الى ان يعطوا من انفسهم لشعوبهم الاسوة الحسنة ، والمثال الكامل للملك الكامل .

فى البلاط المرينى

واذا رجعنا الى الوراء ، وتخطينا ـ مستسمحين ـ الاسرة السعدية المالكة وبلاط مولاي احمد المنصور الذهبي (1578 ـ 1603 م) ذلكم العالم الشاعر المؤلف ، الى الاسرة المرينية ، وجدنا انفسنا مضطرين للوقوف عندها وقفة خاصة، حيث ان البلاط المريني كان فى القرن الثامن الهجري منارا يهتدى بها ، ومدرسة عليا يطمح الى التعلم فيها والتخرج منها شخصيات لها وزنها فى تاريخ الفكر الانساني على العموم . ويكفي تلك المدرسة فخرا ان تنجب وتبرز على نطاق عالمي شخصيات امثال ابن بطوطة وابن الخطيب وابن خلدون .

ونلحظ فى البلاط المريني ملكين بلغ المغرب فى عهدهما اوج الازدهار السياسي والثقافي معا وهما :

1 ـ السلطان ابو الحسن علي بن ابي سعيد عثمان بن ابي يوسف يعقوب المريني (731 ـ 752 = 1331 ـ 1351) فقد كان عالما شاعرا يعز العلم ويعتز بالعلماء . وصفه لسان الدين ابن الخطيب فى كتابه « رقم الحلل فى نظم الدول » بأوصاف منها القيام بالتدريس اذ قال عنه :

ممهد الملك ومسدي المنن
وواحد الدهر وفخر الزمن

باني المباني النخبة الشريفة
بمقتضى همته المنيفة

وتارك المدارس الظريفة
شاهدة بانه الخليفة

وقاطع الدهر بغير لهو
فى مجلس معظم او بهو

اما لتدريس وعلم يدرس
او لبلاد من عدو تحرس

ولم يترك ابو الحسن المدارس المشيدة فى مختلف ارجاء مماكته الواسعة فحسب ، بل ترك ظاهرة علمية صارت بعده بمئات السنين مثالا يحتذى، واعني بتلك الظاهرة ذلك النوع من المدارس المتنقلة ، فقد كان رحمه الله يصطحب معه جماعات العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والمحدثين والفلاسفة فى رحلاته وحملاته العسكرية ، كما كان يلزمهم حضور مجلسه العلمي فى الحضر اثناء الاقامة .

ففي حملته على تونس (748 ـ 750) صحب معه جماعة كبيرة من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف والخاصة ، يذكر ابن خلدون نهايتهم المحزنة قائلا : « هلك كثير منهم فى الطاعون الجارف بتونس ، وغرق جماعة منهم فى اسطوله لما غرق ، وتخطت النكبة منهم آخرين ، الى ان استوفوا ما قدر من آجالهم (1) .» وكان من هؤلاء جماعة درس عليهم ابن خلدون (732 ـ 808) ـ وهو ما زال لم يبرح التراب التونسي ـ فذكرهم بمنتهى التجلة والاحترام واشار الى معارفهم الواسعة فى ترجمته الذاتية « التعريف بابن خلدون »

هذا المثال المتمثل فى اعزاز الفاتح لعنصر العلماء واصطحابهم معه فى الظعن والترحال ، احتذاه ـ عن قصد او عن غير قصد ـ نابليون بونابرت فى حملته على مصر (1798 ـ 1799) فاخذ معه علماء وادباء وفنانين . ولعل من غريب الصدف حدوث توافق عجيب بين الحملتين يتمثل فيما يلي :

ا ـ اصحاب الفاتحين للعلماء قصد تنفيذ اغراض الحملتين وابتغاء التاثير فى البلاد المفتوحة وفى الشعب .

ب ـ اتمام عملية الفتح فى اقرب وقت وعلى خير الوجوه .

ج ـ قصر زمن الحملتين .

د ـ فشل الحملتين فى النهاية وقصورهما عن ادراك ما كانتا ترميان اليه .

واذا كان هناك فرق فيتمثل فى ناحيتين :

---

(1) التعريف ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص 45 .

1 ـ ان الاسطول المريني (نحو 600 سفينة) غرق بجميع من فيه تقريبا امام ميناء تدلس Dellys باقليم تيزي اوزو بالجزائر ، بينما نجا الاسطول الفرنسي بمن فيه ورجع الى قواعده سالما .

2 ـ ان نابليون رجع الى بلاده وهو يتمتع بشعبية عظيمة اهلته ليحتل عرش الامبراطورية فيما بعد ، بينما السلطان ابو الحسن الناجي من الغرق، عاد ليواجه حرب ولده الضروس ، وليضطر في النهاية الى الاستسلام والتسليم بالامر الواقع ، والى منح ولاية العهد وتجديد البيعة لولده الثائر ابي عنان .

2 ـ السلطان المتوكل على الله ابو عنان (2) بن ابي الحسن المريني (749 ـ 759 = 1351 ـ 1358):

قد لا يعلق بالاذهان من صور هذا السلطان العبقري ومحاسنه العديدة الا تلك الصورة القاتمة في منسلخ ربيع الاول 749 ، والتي يحسبها البعض التي تتمثل في ثورته على والده بتلمسان ملكا للمغرب عقوقا لا مبرر له . غير اننا احقاقا للحق ووضعا للامور في نصابها نقول : ان ابا عنان كان مدفوعا الى الثورة على ابيه دفعا ، وذلك لعوامل اهمها :

أ ـ الاشاعات الكاذبة المرجفة بموت السلطان أبي الحسن في احدى المعارك بتونس . اوليست الفتنة اشد من القتل ؟

ب ـ منجم من بني عبد الواد يدعى ابن جرار ، كان قد تنبأ بأن ابا الحسن لن يعود من حملته ، ولذا حينما وردت الاشاعات المرجفة استيقن ابو عنان صدق النبوءة ، مع ان المنجمين كاذبون ولو صدقوا .

جـ ـ انتقاض سائر اطراف الامبراطورية ، وحتى منصور بن عبد الواحد المريني (حفيد ابي الحسن وابن اخي ابي عنان) ثار بفاس متظاهرا بانه يستعد لانقاذ السلطان ابي الحسن وفك الحصار عنه ، بينما هو في الواقع كان يسر حسوا في ارتقاء ، ويريد استخلاص السلطة لنفسه .

د ـ ولما اتضح الصبح لذي عينين ، كان الركب قد فات ، ووجد ابو عنان تصلب بني مرين من حوله، وصعوبة رجوعهم عما كانوا بصدده من تحقيق اهداف ثورتهم .

هـ ـ ثم ان ابا عنان كان يتحلى بصفات عالية من شأنها ان تؤهله ليخلف اباه في الملك طال العهد او قصر . في حين ان امه المسيحية الاصل «شمس الضحى» كانت حظية ابي الحسن واثيرة لديه ، فلا داعي للقلق على مستقبل ابنها باي حال من الاحوال . ورغم كل هذا فان ابا عنان الطيب القلب الذكي الفؤاد ، لما سنحت له الفرصة ، عرف كيف يعتذر لابيه وكيف يلتمس منه العفو والرضى ، فرضي عنه ومنحه ولاية عهده ، وبيعته .

ولد ابو عنان بفاس الجديد في 12 ربيع الاول 729 (14 يناير 1329) وعاش ثلاثين سنة وتسعة اشهر واثني عشر يوما (بالتوقيت القمري) ، وملك عشرة اعوام وتسعة اشهر (3) تقريبا كانت كلها حافلة بالاعمال الجليلة ، ولو طال به العمر لنال المغرب على يديه الشيء الوفير ، ولكن موته كان نكسة للنهضة العلمية ونكوصا للسلطة الروحية ، حيث افضت ازمة الامور الى الوزير الحسن بن عمر الفودودي ، وبذلك افتتح عهد الاستبداد الوزاري ، وبدأ معه عهد تصاعد الاطماع وانحلال الدولة وتفكك اجزائها .

ولا نطيل هنا بذكر اوصاف ابي عنان الخلقية والخلقية التي يمكن الرجوع اليها مثلا في روضة النسرين للامير ابن الاحمر ، وانما يهمنا في هذا المجال التنويه بنفسية ابي عنان وروحه العلمية التي اطراها المؤرخون والشعراء . قال ابو بكر بن جزي في قصيدة طويلة :

---

(2) معظم المؤرخين والشعراء من العصر المريني وغيره يوردون اسم ابي عنان على انه فارس ، غير ان الامر اختلط على بعضهم فحسبوه عبد العزيز . وممن وقع في هذا الالتباس العلامة احمد بن القاضي في درة الحجال ، الترجمة رقم 1.046 طبعة الرباط 1936 كما اختلط على المقري في ازهار الرياض جـ 1 ص 291 فجعل ابا فارس‌عبد العزيز ابنا لابي الحسن مع انه ابن ابن ابنه (عبد العزيز بن ابي سالم بن ابي الحسن) .

(3) لا تسعة اعوام وتسعة اشهر كما ورد في التعليق على ص 205 من الاستقصا جـ 3 ط . دار الكتاب بالبيضاء .

آثار مولانا الخليفة فارس
اكرم بها في المجد من آثار !

لا زال منصور اللواء مظفرا
ماضي العزائم سامي المقدار (4)

وقال ابن الخطيب في « رقم الحلل » واصفا بعض خصال ابي عنان (4) :

وخلص الامر لكف فارس
باني الزوايا الكثر والمدارس

واحد آحاد الملوك العظما
ومطلع النصر اذا ما اقدما

ومخجل الغيث اذا الشيث همى
وعالم الملك وملك العلما

اوجب حق الشعر والكتابة
فاملت اعلامها جنابه

واستجلب الاماثل الكبارا
والنبهاء العلية الاخيارا

يجبرهم على حضور الدولة
فهم بدور وشموس حوله

ابو عنان استاذ ابن خلدون

سبق ان اشرنا الى ان ابن خلدون لمع نجمه ، وبعد صيته ، ونال ما نال من الشفوف والرياسة في بلاط بني مرين . فقد كان ابو عنان — مثل والده — يجلب كبار العلماء الى قاعدة ملكه ، ويجبرهم على حضور مجلسه العلمي فيعطون الدروس ويتلقونها؛ وكان ممن شملهم الطلب والاجبار ابن خلدون. ونعتقد ان ابن خلدون — وهو رجل العلم والبحث وطالب المزيد منهما على الدوام — لم يكن هذا الاجبار بالنسبة اليه الا اشباعا لنهمه العلمي وطموحه السياسي ، وتحقيقا لهدف ظل يسعى له ويعمل من اجله منذ نشأته الاولى .

ولندع ابن خلدون يصف لنا بقلمه كيف اتصل بأبي عنان وكيف قربه منه . قال : « وعاد السلطان ابو عنان الى فاس (أي من تلمسان) وجمع اهل العلم التحليق بمجلسه ، وجرى ذكري عنده ، وهو ينتقي طلبة العلم للمذاكرة في ذلك المجلس ، فاخبره الذين لقيتهم بتونس عني ، ووصفوني له ، فكتب الى الحاجب يستقدمني ، فقدمت عليه سنة خمس وخمسين ، ونظمني في اهل مجلسه العلمي ، والزمني شهود الصلوات معه ، ثم استعملني في كتابته والتوقيع بين يديه على كره مني ، اذ كنت لم اعهد مثله لسلفي » . (5)

قد لا يكون في هذا امر جديد ، فابن خلدون — مثل سائر طلبة العلم او العلماء — يحضر مجالس السلطان العلمية، ويستمع الى الدروس التي تلقى ، ولكن الجديد هو ان السلطان ابا عنان كان يقوم بالتدريس في هذه المجالس ، وان ابن خلدون درس عليه بعض كتب الحديث ، وبالتدقيق درس عليه كتاب الجامع الصحيح للامام محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، وكاد يكمله عليه ، وما لم يكمله منه اجازه فيه بالطريقة المعروفة والكيفية المألوفة في الاجازة .

ولا يتبادر الى ذهن احد اني اجازف في القول او ارمي الكلام على عواهنه، او اني استنتجت ما تقدم استنتاجا ، ضرورة ان السلطان ابا عنان كان يدرس صحيح البخاري ، وان العلامة ابن خلدون كان يحضر الدروس ضمن موظفي القصر ، بل ان الامر حق وصدق ، وحقيقة واقعة لا مجرد حزر وتخمين ، والحجة على ذلك دامغة لا تقبل أي جدل او ريب ، وسأدلي بها بعد قليل .

لم يكن تصدي ابي عنان التدريس تطاولا او استهتارا بجماعات العلماء الذين كانوا يتحلقون حوله، انما كان عن جدارة واستحقاق ، فها هو ذا احد معاصريه يصفه وصف شاهد عيان ويشير الى انه كان « .. حسن الثقافة ، وكان فقيها يناظر العلماء الجلة فيصيب ويخطئهم . ومعرفته بالفقه تامة ، وكان عريفا بالمنطق واصول الدين ، وله حظ صالح من العربية والحساب، وكان حافظا للقرآن ، عارفا بتاويل منسوخه ، كثير التمثيل بآيه ، حافظا

(4) الاستقصا ج 3 ص 206 — 207 .
(5) التعريف بابن خلدون ص 60 — 61

الحديث ، عارفا برجاله ، فصيح القلم ، كاتبا مرسلا بليغا ، بارع الخط حسن التوقيع (6) » .

نحن اذن امام « عالم الملك وملك العلماء » على حد تعبير ابن الخطيب . واذا كان الامر كذلك فلا مناص من ان ينهل فيلسوفنا ابن خلدون من هذا المنهل العذب فياخذ عن السلطان ابي عنان ما كان يدرسه من علوم في مجالسه العلمية التي اجتهد ان يجمع لها اكابر العلماء من مختلف انحاء المغرب العربي والاندلس .

اما الحجة الدامغة المشار اليها من قبل فيقدمها لنا العلامة ابو جعفر أحمد بن علي البلوي في ثبته الذي توجد منه في مكتبة دير الاسكوريال نسخة وحيدة في العالم ، والذي كان موضوع رسالتي لنيل الدكتوراه من جامعة غرناطة . قال البلوي وهو يستعرض اساتيذ شيخه علامة تلمسان ابي عبد الله محمد بن مرزوق (824 — 901) في رواية كتاب الجامع الصحيح للبخاري :

« ح قال السيد الامام ابو عبد الله والد شيخنا (يقصد ابن مرزوق الحفيد 766 — 842) رضي الله عنه : وحدثني به (يعني صحيح البخاري) اجازة ايضا الكاتب الابرع قاضي القضاة ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون قال : سمعت معظمه على السلطان الكبير امير المسلمين ابي عنان فارس ابن السلطان امير المسلمين ابي الحسن قدس الله روحه بدار ملكه من فاس في مجالس متعددة واجازني سائره . حدثني (أي ابو عنان) به عن جماعة من الاشياخ الذين كتبوا له بالاجازة من الديار المصرية وغيرها » .

ويعلق البلوي على هذا الكلام بما يلي : « قلت: وقد خرج له (أي لابي عنان) السيد الخطيب (7) جد شيخنا رضي الله عنه جزءا يحتوي على اسانيده في هذا الكتاب وفي باقي الكتب الستة سماه « العقد الثمين » ، واعلى اسانيده في هذا الكتاب ما كتب له به المعمر ابو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجي سنة سبع — بتقديم السين — وثلاثين وسبعمائة من المسجد الحرام بسنده المذكور (8) » .

وهنا نتساءل : هل كتم ابن خلدون نبا تلمذته على السلطان ابي عنان عن سبق اصرار ولحاجة في نفسه منه ، فلم يذكرها لا في كتاب «العبر» ولا في «المقدمة» ولا في «التعريف» ؟ام ان المسألة محض صدفة او مجرد اختصار في ذكر مشائخه ؟ ولقد عودنا ابن خلدون ان يذكر اساتذته بتدقيق ، وخاصة اولئك الاختصاصيين في مواد تدريسهم او الذين لهم مكانتهم المرموقة في طبقات المجتمع . ولا ريب ان السلطان أبا عنان ذلك الشاب النابغة المتبحر في كثير من العلوم والمعارف ، كان ممن يحسن التنويه بالتلمذة عليهم ، ومع ذلك لا نجد من ابن خلدون الا السكوت المطبق .

لقد ذكر اساتذته بتونس في كتابه «التعريف» معقبا بقوله: «هذا ذكر من حضرنا من جملة السلطان ابي الحسن من اشياخنا واصحابنا ، وليس موضوع الكتاب الاطالة ، فلنقتصر على هذا القدر (9) » . وحينما عدد اساتذته في المغرب ممن كان يضمهم مجلس السلطان ابي عنان ، لم يذكر من بينهم السلطان نفسه ، وختم قائلا : « .. الى آخرين وآخرين من اهل المغرب والاندلس ، كلهم لقيت وذاكرت وافدت منه ، واجازني بالاجازة العامة» (10)

قد يقول قائل : ان كلمتي «آخرين وآخرين» تتضمن السلطان ولا ريب . ولكن هذا لا يحل اشكالا بل هو امعان في الاهمال ونكران الجميل . فما السبب اذن يا ترى ؟ قد يكون هنا سببان لا ثالث لهما :

أحدهما : يتمثل في العامل الزمني ، ذلك ان الرجلين ابي عنان وابن خلدون متقارب يكاد يكون

---

(6) الامير اسماعيل بن الاحمر : روضة النسرين في تاريخ بني مرين . طبعة باريس ص 23

(7) ابو عبد الله محمد بن مرزوق المعروف بالخطيب وبالجد (710 — 781) هو مؤلف « المسند الصحيح الحسن من اخبار السلطان ابي الحسن. وكان أثيرا لدى ابي عنان يسرد الكتاب في مجلسه العلمي ويتولى التدريس بدلا منه اذا غاب ، اما في بلاط ابي سالم بن ابي الحسن فكان مسيطرا ومنافسا خطيرا لابن خلدون .

(8) الثبت : مخطوط الاسكوريال وجه 22 ب

(9) التعريف ص 56

(10) التعريف ص 68 ثم ص 69 .

واحدا لولا فارق الثلاث سنوات التي يكبر بها السلطان كاتب سره العظيم . وعامل الزمان ـ كالمعاصرة ـ كلاهما حجاب .

والآخر : يتمثل فى تغير السلطان على ابن خلدون والزج به فى السجن مدة حال فيها مرض السلطان ووفاته دون تنفيذ وعده باطلاقه ، فلم يسرحه بعد ذلك الا الوزير الفودودي الذى استلم زمام السلطة . ويشرح لنا ابن خلدون سبب حبسه فيقول : « وكانت قد حصلت بيني وبين الامير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة، احكمها ما كان لسلفي في دولتهم ، وغفلت عن التحفظ فى مثل ذلك من غيرة السلطان .. حتى انمى اليه بعض الغواة ان صاحب بجاية معتمل فى الفرار ليسترجع بلده ... فانبعث السلطان لذلك وبادر بالقبض عليه . وكان فيما انمى اليه اني داخلته فى ذلك فقبض علي وامتحنني وحبسني » .

واذا كان الكاتب المقتدر امين الريحاني فى كتابه « رحلة المغرب الاقصى » غير مقتنع بوجاهة سبب محنة ابن خلدون ، فاني ارى ان هذه المحنة ـ خصوصا بعد ان برئت ساحة ابن خلدون ووعده السلطان بالتسريح ـ سبب غير وجيه للتنكر لحقيقة علمية ينبغي ذكرها رغم كل الظروف والملابسات المعاكسة .

ومهما يكن من امر ، فمخطوط العلامة البلوى كشف لنا حقيقة ناصعة ، وهي تتلمذ نابغة علماء المغرب فى عهده ، على نابغة ملوك المغرب فى عصره، وهي حقيقة نغتبط بها كثيرا ، ونسجلها هنا شاكرين فضل البلوى ، ومقدرين جهود ابن خلدون العلمية ، وعظمة السلطان ابي عنان بن ابي الحسن المريني فى المجالين الروحي والزمني معا .

تطوان ـ د. عبد الله العمراني



ماهي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني أيده الله إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحمايتها

للدكتور تقي الدين الهلالي

اولا : هذه الدعاوي كثيرة اعد منها ولا اعددها.

قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) دلت هذه الآية الكريمة على انمحبة الله للعبد وهي أشرف المطالب لا تحصل ولا تنال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يتم اتباع الرسول الا بنصر سنته ونشرها والعمل على احيائها والعمل بها وتكثير متبعيها . اخرج الحاكم في المستدرك من حديث ابي هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي وان يتفرقا حتى يردا على الحوض » ؛ وروى الامام مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا ابدا ، كتاب الله وسنتي ، وروى مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : تركت فيكم ثقلين كتاب الله وعترة اهل بيتي ، فحث على كتاب الله ثم قال : وعترتي أهل بيتي لا تتخذوهم غرضا من بعدي ، وفيه ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، هذا معنى الحديث . فالعترة التي وصى بهم النبي صلى الله عليه وسلم واخبر انهم لا يفترقون مع الكتاب حتى يلقوه على الحوض جديرون باتباع سنته بعد كتاب الله وجديرون بان يحبهم المؤمنون بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى في صفة المستحقين لرحمته : (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الى ان قال ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه اولئك هم المفلحون) ثم قال بعد ذلك ، واتبعوه لعلكم تهتدون (سورة الاعراف) 157 الى 158 ، نفهم من الآيتين ان رحمة الله وان كانت وسعت كل شيء فانها لا تنال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وان الفلاح وهو النجاة من كل مرهوب والظفر بكل مرغوب لا ينال الا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وكل مؤمن صادق بريء من النفاق يرغب في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا يعرف كيف يتبعه الا اذا كان عالما بسنته وهديه ولا يكون عالما بذلك الا اذا كانت السنة منصورة منشورة قد رفعت اعلامها ووضحت احكامها ، فهذا من البواعث والاسباب التي حملت جلالة الحسن الثاني على العناية بسنة النبي صلىالله عليهوسلم . . وقال تعالى في سورة النساء (59) : (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا) . أمر الله جميع المؤمنين في كل زمان ومكان بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بامتثال الاوامر واجتناب النواهي وكرر الفعل ليبين لعباده ان من اطاع رسوله فقد اطاعه ومن عصى رسوله فقد عصاه كما صرح بذلك فيما بعد بقوله عز من قائل : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ثم عطف اولي الامر وهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

الذين يجمعون كلمة المسلمين ويحافظون على شريعة الاسلام وينفذون احكامها ويدافعون عنها بدون اعادة الفعل وهو (اطيعوا) وفي ذلك نكتة لطيفة كشف الغطاء عنها علماء الكتاب والسنة ؛ وهو ان طاعة الله ورسوله مطلقة لان الله هو الشارع ورسوله هو المبلغ وهو معصوم من الخطا فيما بلغه ؛ اما اولوا الامر فليسوا كذلك لان طاعتهم مقيدة بان لا يامروا بمعصية وقد جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم اخبار فيما يتعلق بطاعة الامير وتقييدها رأيت ان اتحف القراء بذكرها لان اكثر الناس في هذا الزمان عنها غافلون .

الحديث الاول في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني .

الحديث الثاني عن ابي ذر رضي الله عنه قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم اوصاني ان اسمع واطيع وأن كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف (هو المقطوع الاذن والانف او اليد ونحوها) وفي رواية البخاري ولو لعبد كأن رأسه زبيبه .

الحديث الثالث وفي الصحيحين على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة .

الحديث الرابع عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من راى من اميره شيئا يكرهه فليصبر فانه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية وفي رواية خلع ربقة الاسلام من عنقه .

الخامس عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الاخر منهما .

السادس عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خير ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشر ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنونكم ، فقلنا يا رسول الله ، افلا ننابذهم بالسيف عند ذلك ، قال لا ما اقاموا فيكم الصلاة الا من ولى عليه وال فرآه ياتي شيئا من معصية الله فليكره ما ياتي من المعصية ولا ينزع يدا من طاعته ، قال شارح العقيدة الطحاوية بعد ان ساق احاديث من هذا الباب فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة اولي الامر ما لم يامروا بمعصية ثم قال واما لزوم طاعتهم وان جاروا فانه يترتب على الخروج عليهم من المفسدة اضعاف ما يحصل من جورهم ، فان الله تعالى ما سلطهم علينا الا لفساد اعمالنا ، قال تعالى : (اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم) ؛ فاذا اراد الرعية ان يتخلصوا من ظلم الامير فليتركوا الظلم ، وعن مالك بن دينار انه جاء في بعض كتب الله يقول الله تعالى : انا مالك الملك قلوب الملوك بيدي ، فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشغلوا انفسكم بسبب الملوك لكن توبوا أعطفهم عليكم .

« توضيح لما تقدم »

الاول : قوله وان كان عبدا حبشيا مجدوع الاطراف اي وان كان الامير الادنى عبدا حبشيا ولاه امام المسلمين عملا من اعماله او جعله اميرا على بلد يجب على الناس طاعته وان كانوا من اشراف العرب ولا يجوز لهم ان يستنكفوا ويندفعوا مع النخوة والحمية الجاهلية فيقولوا نحن من اشراف العرب واوسطهم فكيف يولي علينا هذا العبد ، لان طاعتهم لذلك الامير العبد هي طاعة للامام الذي ولاه وليس المقصود بذلك أن يكون الامام عبدا لان امام المسلمين يجب ان يكون حرا ولا يجوز ان يكون عبدا ، ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال : الائمة من قريش ما اقاموا الدين لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه في النار ، وفي رواية في الصحيح : الخلافة في قريش ما بقي في الناس اثنان ، فلهذا قلنا ان المراد بكون الامير عبدا الامير الادنى .

الثاني : قول النبي صلى الله عليه وسلم فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ، هذا من فضائل الاسلام الذي هو دين الله الحق وهو ملة ابراهيم ودين جميع الانبياء والرسل خالص صافي لم يصبه تبديل ولا تحريف ، وقد تكفل الله بحفظه الى قيام الساعة ، قال تعالى في سورة الحجر : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) سورة الحجر رقم 9 . وهذه معجزة خالدة باقية الى يوم القيامة لا يزيدها تطاول الزمان وتوالي العصور الا جدة وقوة ، بشرى للمؤمنين وحسرة على الكافرين فانك تجد القرآن الكريم في البلاد الشيوعية الجاحدة لا يستطيع احد ان يغير منه حرفا ولا نقطة وتجده في البلاد التي تدين بالنصرانية

محفوظا كذلك وتجده كذلك في البلاد التي تدين بالوثنية محفوظا من التغيير مع شدة عداوتهم له ولا تجد كتابا مقدسا لاي طائفة من البشر قد تكفل الله بحفظه كما تكفل بحفظ القرآن ، فتحريف الكتب المقدسة عند الامم المختلفة واضح لاهل العلم لا يخفى على باحث ، وكذلك تكفل سبحانه بحفظ السنة المحمدية ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهليين فسنة النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يكن لها ما للقرآن من الحفظ فان الله تكفل بتقييض رجال علماء امناء ينفون عنها كلما ادخله المبطلون فيها فهي في كل زمان سهلة التناول من طلبها وجدها عند الطائفة المنصورة عذبة الموارد صافية المشارب ، وهذا الملك الذي سدده الله وحبب اليه نصرها ونشرها احد انصارها في هذا الزمان وساذكر برهان ذلك فيما بعد . ونفهم من الحديث الذي نحن بصدد ايضاحه ان الاسلام ليس فيه طاعة عمياء فهما بلغ الرئيس من علو المنزلة وسمو المكانة لا يطاع اطاعه مطلقة بل متى امر بمخالفة الكتاب والسنة فلا طاعة لامره . فالكتاب والسنة هما الحاكمان على الامير والمأمور والرئيس والمرؤوس ، ولهم اليد الطولى على الجميع وهذا سر بقاء الاسلام صافيا محفوظا من التغيير الى يوم القيامة .

الثالث : قوله عليه الصلاة والسلام فاقتلوا الاخر منهما انما امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخليفة الثاني لانه شق عصا الطاعة الواجبة عليه لامام المسلمين وفتح باب فتنة على المسلمين لا يمكن الاحتراز منها الا بقتله فانه كالعضو المتسمم من الجسد ، لا تمكن سلامة الجسد من التلف المحقق الا ببتره ، ومن المعلوم ان المسلمين كما جاء في الحديث الصحيح في توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الرابع : قوله عليه الصلاة والسلام خير ائمتكم يعني الخلفاء والامراء الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم الصلاة هنا على معناها الوضعي اللغوي لا على المعنى الشرعي فان الصلاة في اللغة الدعاء ، قال الاعشى :

وصهباء طاف يهوديها
وابرزها وعليها ختم

وقابلها الريح في دنها
وصلى على دنها وارتسم

فقوله وصلى على دنها اي دعا للخمر ان لا تحمض ولا تفسد والدن هو الذي يسمى بالعامية « البرميل » تحفظ فيه الخمر ..

وقال تعالى يخاطب نبيه الكريم في سورة التوبة رقم (103) « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ، ان صلواتك سكن لهم » فمعنى صل عليهم أدع لهم ، وقوله تعالى ان صلواتك اي ان دعواتك رحمة لهم وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم امر ربه سبحانه فكان يصلي على من جاءه بالزكاة وفي حديث ابن أبي اوفى انه قال اعطاني أبي صدقة ماله فأتيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم صل على آل أبي أوفى . قال في اللسان : قال الازهري هذه الصلاة عندي الرحمة — وقوله افلا ننابذهم بالسيف عند ذلك يعنون افلا نقاتلهم ونشق عصا طاعتهم اذا تعدوا حدود الله بارتكاب الظلم والمعصية حتى لعنتهم الرعية ولعنوها فاجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمنع ما داموا يقيمون الصلاة التي هي عنوان التمسك بالاسلام لان الخروج عليهم فيه من الشر والفساد اضعاف ما في جورهم وظلمهم ، وقد قرانا تاريخ الخوارج من اوله الى آخره فما وجدنا فيه الا الشر على الخوارج انفسهم وعلى المسلمين وكلام شارح الطحاوية في ذلك واضح لا يحتاج الى شرح .

الخامس : بيان معنى قوله تعالى (اولما اصابتكم مصيبة) قال الحافظ بن كثير في تفسير هذه الآية وهي ما اصيب منهم يوم احد من قتل السبعين منهم (قد اصبتم مثليها) يعني يوم بدر فانهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلا واسروا سبعين اسيرا قلتم اني هذا اي من اين جرى علينا هذا (قل هو من عند انفسكم) قال ابن ابي حاتم بسنده الى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم احد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من اخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على راسه وسال الدم على وجهه فانزل الله (اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا، قل هو من

عند انفسكم) بأخذكم الفداء وهكذا رواه الامام احمد اهـ. فاذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خير هذه الامة علما وعملا وابرها واتقاها لله عوقبوا بسبب ميلهم الى اخذ الفدية من السبعين أسيرا الذين اسروا فى غزوة بدر وفضلوا اخذ الفدية منهم واطلاق سراحهم على قتلهم والاستراحة من شرهم عوقبوا بقتل سبعين منهم فى غزوة احد وهزيمتهم وفرارهم عن النبي صلى الله عليه وسلم واصاب النبي صلى الله عليه وسلم من شر عملهم ما تقدم ذكره من كسر سنه وتخضيب وجهه الكريم بالدم فما بال اهل هذا الزمان الذين ملئوا الارض جرائم وآثاما يستقربون ويتعجبون مما اصابهم من البلاء على يد الاستعمار المدبر والصهيونية الحاضرة فلسان الحال يقول كل ما اصابكم فهو بسبب ما كسبته ايديكم ويعفو عن كثير فتوبوا من آثامكم وانيبوا الى ربكم يعطيكم من العزة والنصر فوق ما تؤملون اما انكم تصرون على ما انتم عليه وتريدون ان ينصركم الله وقد خذلتم دينه فقد غرتكم الاماني والاحلام (ان الاماني والاحلام تضاليل) فانتم تريدون حصادا بلا زرع ولآلىء بلا غوص وفى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني رواه أحمد والترمذي وغيرهما من حديث شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم والآيات التى تحض على الاتباع ونصر السنة اكثر من ان تحصى وكذلك الاحاديث .

الثاني — تقدم حديث مسلم فى الوصية بالعترة وهم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم انهم لا يفترقون مع الكتاب والمعنى بذلك هم الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنهم وقد جمعهم بعض العلماء فى بيت واحد، فقال :

علي وعباس عقيل وجعفر
وخيرتهم آل النبي بلا نكر

وهؤلاء هم الذين تحرم عليهم الزكاة فى مذهب مالك رحمه الله ويرى الشافعي رحمه الله زيادة بني المطلب ، اما المحبة فتشمل الجميع ولا شك ان ذريتهم اذا اتبعوهم باحسان لهم أصيب وافر من هذه المنقبة : واتباعهم باحسان يقتضي نصر سنة النبي ونشرها ، ولما كان جلالة الحسن الثاني من ذرية هذه العترة فلا غرو أن يسير على نهجهم فى نصر السنة ونشرها لينال أوفر نصيب من هذه الخصوصية .

الثالث — ان آباءه الاكرمين منذ حلوا بالمغرب بنوا امرهم على طاعة الله واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته فان جده الاعلى الامام عليا الشريف كان من اهل العلم والورع والجهاد فى سبيل الله فحلت ذريته حدوده حتى اختارهم الله لجمع شتات اهل المغرب وتوحيد كلمتهم فى دولة واحدة حفظت ثغور المغرب وحدوده من عدوان المعتدين وغارات الافرنج المغتصبين وطهرت ما اصابه رجسهم من البلاد كطنجة والعرائش وغيرهما فى الزمان السابق ثم طهرت المغرب برمته من رجس الاستعمار الا قليلا منه على يد الامام المفرد العلم محمد الخامس نضر الله وجهه فى الجنة وشاركه فى ذلك وآزره الامام الحاضر ابو محمد الحسن الثاني زاده الله نصرا وقوة وتوفيقا واطال بقاءه وادام فى سماء المعالي ارتقاءه حتى يطهر ما بقي فانه مع اشتغاله بالسياسة الداخلية والخارجية المغرب وتحمل ثقل اعبائها وحل مشاكلها لم يهمل جانب السنة المحمدية الكريمة وسار على سنن اسلافه وزاد عليهم بما خصه الله به كتاسيس دار الحديث التى هي غرة فى جبين عهده الزاهر وكاحياء الكنز الثمين واخراجه من صدفته الى حيز الوجود وانتفاع الناس به الا وهو نشر كتاب التمهيد . وهنا اتوقف قليلا لابين ما شاهدته فى جميع البلاد الاسلامية وغيرها من تلهف اهل العلم على سرعة انجاز هذا العمل العظيم لان اهل العلم فى اشد الحاجة اليه لتطمئن نفوسهم ولا يطيب لهم عيش حتى يروه كاملا قد صفت مجلداته بعضها الى بعض كاللآلىء البهية والدراري المضيئة تشهد لهذا الملك الهمام بادراك ما قصر عنه الاولون من الفضل والاحسان وفى مثل هذا يقال : كم ترك الاول للاخر .

والطل قد يبدو امام الوبل
والفضل للوابل لا للطل

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ».

ومن حسن المصادفات اني لما بدات فى كتابة هذا المقال ورد علينا العالم الاديب والفطحل الاريب الذى يقل فى هذا الزمان نظيره وقد ملأ ارجاء العالم نشره وعبيره (ابو احمد محمد ابن ابي مدين) الشنقيطي الموريتاني فانشدنا قصيدته الغراء التى مدح بها جلالة الملك الحسن الثاني ايده الله حين زار موريتانيا قبل مدة وجيزة فاستنسخت هذه القصيدة وبدا لي ان ارصع هذا المقال بنبذة منتخبة

من ابياتها ثم اضع عليها حاشية توضح معاني الفاظها لان اكثر القراء لا ترتفع مداركهم الى مستواها وابعتها ايضا الى مجلة دعوة الحق لتنشر مع حاشيتها :

النبـــذة المنتخبـــة

مدينة العلم والبـاب الذى دخـلا
منه الى العلم من للعلم قد وصلا (1)

هي الرسول الذى انـواره سطعت
فعم نور سناها السهـل والجبـلا

وباب تلك ابو السبطيـن حيـدرة
مجيب كل عويص حكمـه جهـلا

هذان جدا امام الوقـت سيدنـا
خليفة العدل بالدين الـذى نـزلا

منير صبح الهدى من بعد ظلمتـه
جالى دجنة ليل الجهل وابن جـلا (2)

ان يعطك اليوم لا يمنعك فى غـده
او يبذل الفضل لم يمنن بما بـذلا

ان سيل سالت على العافين راحته
كما يسيل وان لم يلق من سالا (3)

ما زال يراب ثأيـا طالمـا عبثـت
به الوشاة فـرم الثـاى والخلـلا (4)

فاصبح الشمل شمل الكل ملتئمـا
جراء اصلاحـه والحبـل متصـلا

بنى له الـمؤدد العـادي كـل اب
ابقاه يرفع من بيت العـلا القلـلا

حث المطابع حتـى ابـرزت كتبـا
مرت عصور عليها وهي رهن بلـى

قد ادركت سبتـة منـه مداركهـا
بعد البلا وبه التمهيد قد حصـلا (5)

كما المساجد تزهـو مـن اعانتـه
بالا خمصين على اليافوخ من زحلا (6)

يا حائز المجد من عرب ومن عجـم
يا من هو اليوم فى جيد الزمان حلا

يا بضعة البضعة الزهراء فاطمـة
يابن الخلائف من ساداتنا الفضـلا

لا زلت فى درجات المجد مرتقيـا
يحوطك الحفظ والتوفيق كل ملا (7)

المدينة المنورة ــ د. محمد تقي الدين الهلالي

---

(1) يشير بذلك الى ما رواه الحاكم فى مستـدركه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (انا مدينة العلم وعلي بابها) .

(2) ابن جلا يشير بذلك الى قول الشاعر :
(انا ابـن جـلا وطـلاع الثنايـا   متى اضع العمامـة تعرفونـي)
يريد ان جلالة الملك الحسن الثاني طائر الصيت يضرب به المثل فى الشهرة .

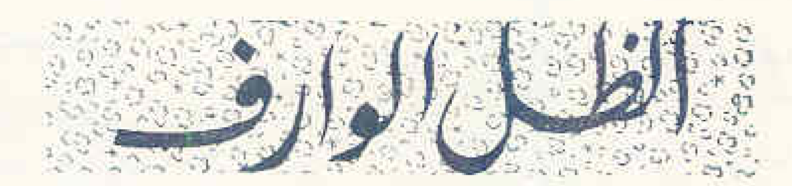
(3) يقول ان سئل معروفا سالت على السائلين يده بالاحسان كماء يسيل وان لم يجد سائلا بحث عنه حتى يجده .

(4) يريد ما قام به جلالة الحسن الثاني من الاصلاح وازالة الوحشة التى كانت بين المغرب وموريتانيا وابدالها بالاخوة والمحبة والتعاون وذلك من أجل مناقبه العبقرية .

(5) يعني ان كتاب المدارك الذى الفه القاضي عياض السبتي ادرك ما يؤمله من الطبع والنشر على يد جلالة الحسن الثاني حفظه الله .

(6) يشير بهذا البيت الى المسجد الجامع العظيم الذى بناه جلالته فى نواكشوط عاصمة موريتانيـا وهذا المسجد يفتخر وبطأ بقدميه فوق رأس زحل وهو احد الكواكب السيارة .

(7) كل مـلا اي كل ليل ونهار فان الملوين الليـل والنهار ..



للشاعر المدني الحمراوي

يا لصوت بالاماني يهتف ... له في كل فؤاد معزف

رن في موكب الفجر كما ... فجات بشرى ببشر تتحف

لحن مجد هب يذرو سحره ... في قلوب به ـ حبا ـ تشغف

هز ارض الاطلس الحر ، ففي ... كل شبر نغمات تعزف

كل قلب تائه في سحرها ... ينملي متعة تستظرف

وبها كل فم مستنطق ... يا لذكرى رمزها مستهدف

يتناجى شعبنا في يومها ... بمعان لم تسعها احرف

رائعات خالدات لم تزل ... كل يوم بالمعالي تعرف

عن خلود عبقري عبرت ... بلسان هو عدل منصف

عن حياة قد بنتها امة ... هي دين وشعار اشرف

مع عرش نبوي حكمه ... قدسي به جاء المصحف

شرعة الله : سلام وهدى ... ومواثيق بنا لا تجحف

ورحمة للارض بل روح لها ... ليتنا عن هديها لا نصدف

عروة كانت بها قيما مضى ... يدنا اقوى يد لا تضعف

بفخار وبمجد وعلى ... وحضارات بحسن تطرف

وصعت تاريخنا فاستمتعت ... به دنيا له منها متحف

يا لها من عزة كانت لها ... صولة منها الاعادي ترجف

جعلتنا امة فى طبعها ... همم عن كل ضيم تعزف

وشعار العرش فيها قبلة ... ورباط اخوي مسعف

سلطة الحكم ولكن سرها ... رحمة بالشعب ـ دوما ـ تلطف

يتولاها بصدق معشر ... بتكاليف الحمى قد كلفوا

جعلوها مبدا لا اسطورة ... وعهودا وعدها لا يخلف

خلفاء بهم الحق اعتلى ... لم يضع فى ظلهم مستضعف

اولياء الله حقا ، عصبة ... لم تزل بالعدل فينا تنصف

نسب الطهر لهم من جدهم ... أي نعمى برضاها نسعف !

من بني الزهراء بنت المصطفى ... حبذا الغيث بيمن ينطف

انما الملك لديهم كلفة ... وعناء لا نعيم مسرف

عبدوا الله به فاستسهلوا ... كل صعب عن سلو يصرف

أي عبء به ـ حقا ـ نهضوا ... فادح الهم مقض متلف

* * *

عرشنا اسعد به من نعمة ... لم يكن يوما بحيف يقرف

فكرة تسمو ، وشورى ايدت ... بيعة الشعب ، وحكم اراف

عيده فينا عظيم خالد ... بالتهاني كل عام يردف

يا لبشرى ذكرتنا بيعة ... لهمام به شعب يكلف

حسن ، اعظم به من بطل ... ذكره مسك وراح ترشف

عبقري ملهم ، امجاده ... من ربى التاريخ اضحت تشرف

نعمة جلى على امته ... وحياة ونعيم يقطف

أيمن الغرة سباق الخطى ... وحسام فى المعالي مرهف

لم يزل يبني بعزم مصلت ... وطنا عيشه خصب مترف

له فى كل جناب آية ... وسواق بثراء تقذف

كل شبر فى ثرانا شاهد ... بأياد له منها نغرف

بارك الله وحيى همة ... هي غوث ، كل عسر يكشف

جعلتنا امة محسودة ... من شعوب مستواها اعجف

فى ظلال العرش نلنا رفعة ... واماننا ومنى تستظرف

وبفضل الحسن الشهم الذى ... هو فينا بالرضى مستخلف

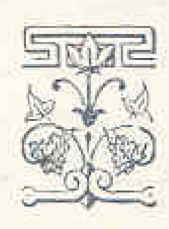
قد لبسنا ثوب عز ، ولنا ... كل يوم فى المعالي موقف

هو والله الحبيب المرتضى — وعلى صدق وحق أحلف
نعمة الله ، وظل وارف — له في كل ربانا رفرف

* * *

يا مليكا لم تزل أعماله — سرجا أنوارها لا تكسف
صانك الله وأبقاك لنا — مثلما كنت ملاذا يؤلف
لك في شبليك أنس دائم — وسرور بسرور مردف
وحباك الله من آلائه — كل سؤل بالأماني يعطف

الرباط ـ المدني الحمراوي





هو امير المؤمنيـن ـ ابو محمـد ـ الحسـن السبط ، خامس الخلفاء الراشدين وابوه علي بن ابي طالب رابع الخلفاء الراشديـن ، وامه السيـدة فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي سيدة نساء العالمين جـ 5 البخـاري ص 20 .

ـ وجاء في تهذيب الاسماء : الحسـن ابـو محمد : كناه بذلك رسول الله (ص)

ـ وله القاب كثيرة : منها : الطيب . التقي . الزكي . الولي . السبط . السيد . امير المؤمنين ـ واعلاها **السيد** . فقد روى البخاري في الجزء الثالث صفحة 186 عن ابي بكرة قال : رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ، والحسن بن علي معه . وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول : ان ابنـي هذا سيد . ولعـل الله ان يصلـح بـه بين فئتيـن عظيمتين من المسلمين .

1 ـ **تاريخ ميلاده :** روى ابن ابي حديد بسنده في شرح نهج البلاغة ان الامام الحسن ولد النصف الاول من شهر رمضان سنـة ثـلاث من الهجـرة . وسماه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا . وعاش خمسين عاما تقريبا .

الحسـن :

2 ـ ابتكر الرسول هذا الاسم الجميل ولم يكن معروفا من قبل . فقد روى الامام احمد بسنده عن علي بن ابي طالب قال : لما ولد الحسن سميته حربا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اروني ابني ، ما سميتموه ؟ قلت حربا قال بل هو حسن ـ فلما ولد الحسين سميته حربا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اروني ابني . ما سميتموه؟ قلت حربا . قال بل هو حسين . فلما ولد الثالث سميته حربا فقال : بل هو محسن .

ـ الحسـن . والاحسـان . والحسنـة . والجميل . والمعروف . والفضل كلها كلمات توحي بالنبل .. وتحمل على السمـو ، وتشعـر بالخيـر الكامل ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يريـد لعترته الطاهرة وذريته الشريفة ، ان يكونوا مصدر الجمال والكمال ، وحسن الخلق وحميد الخصال .

فحقق الله للنبي قصده فكان آل البيت الاطهار نماذج الخير علما وعملا .

3 ـ **الحسـن** بن علي يشبه الرسول جده في ملامح الخلقة

ـ روى البخاري في الجزء الرابع صفحة 187 قال ابو جحيفة : رايت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الحسن يشبهه .

ـ وروى البخاري في الجزء الرابع صفحة 187 عن عقبة بن الحارث قال :

صلى ابو بكر العصر ثم خـرج يمشي فـراى الحسن بن علي يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال : بابي شبيه بالنبـي : لا شبيـه بعلـي ...

وعلي يضحك ... فأبو بكر يرى فيه ملامح الرسول فيحمله على عاتقه ..

– وروى الترمذي عن طريق الزهري عن انس ابن مالك قال : لم يكن اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي .

4 – **مكانة الحسن** عند النبي صلى الله عليه وسلم ..

– روى البخاري عن اسامة بن زيد قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسني والحسن بن علي فيقول : اللهم اني احبهما فأحبهما .

– وفي كتاب الاصابة عن عبد الله بن الزبير قال : انا احدثكم بأشبه اهله به واحبهم اليه : الحسن بن علي . رايته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته – او ظهره – فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل، ولقد رايته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الاخر .

– وروى الشيخان عن البراء بن عازب قال : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي على عاتقه يقول : اللهم اني احبه فأحبه .

– وروى الترمذي فى صحيحه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسن بن علي على عاتقه . فقال رجل : نعم المركب ركبت يا غلام . فقال النبي صلى الله عليه نعم الراكب هو .

5 – **مكانة الحسن عند الصحابة والتابعين :**

– هذا ابو بكر الصديق يحمله على عاتقه فرحا به لانه شبيه حبيبه رسول الله ، وهذا عمر بن الخطاب يفرض فى العطاء للحسن والحسين مثل فريضة اهل بدر ويزيدهما عن ولده عبد الله بن عمر : اعترافا بفضل العترة الطاهرة

– وروى البخاري فى الجزء الخامس صفحة 20 قال ابو بكر : والذى نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي . ارقبوا محمدا (ص) فى اهل بيته . اي راعوه واحترموه واكرموه فى اهل بيته .

« ولقد كان سيدنا الحسن موضع اجلال واكبار وتوقير واحترام من الصحابة والتابعين ، الا انها السياسة .. وشراء الذمم بالمال ، والتمويه ، والخداع . ومدارج الوصول للنفعيين .. ولو على اشلاء الكرام الطاهرين .

6 – **زهد الامام الحسن :** قال ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب : ان الامام الحسن رضي الله عنه كان حليما ورعا فاضلا ، دعاه ورعه وفضله الى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله . وقال : ما احببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني ان الي امر امة محمد صلى الله عليه وسلم على ان يهراق فى ذلك محجمة دم .

– مع انه كان يملك الجيوش الكثيرة والقوة التى يحارب بها لو شاء . ولكنه الزهد فى الموجود حقنا لدماء المسلمين ، وتوحيدا للكلمة حتى سمي هذا العام عام الجماعة .. وهذا اعلى انواع الزهد .

– وكان – رضي الله عنه – كثير العبادة .. يمشي على قدميه فى طريق الحج تواضعا ونجائبه تقاد بين يديه .. وكان كثير الجود لا يرد سائلا . ولا يقول لاحد لا : قط . خرج عن ماله لله مرتين . وقاسم الله ماله ثلاث مرات

– ومع ذلك كان عذب الروح ، حلو الحديث ، كريم المعاشرة ، حسن الالفة ، محببا الى الناس ، يحبه اترابه من شباب قريش والانصار لحميد خصاله ولمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحبه عامة الناس لسخائه وجوده . يعطي المال قبل ان يسال ، وبعد ان يسال .

– وصدق الرسول اذ يقول : اما حسن فان له هيبتي وسؤددي . وأما حسين فان له جراتي وجودي : من كتاب الاستاذ حسن كامل صفحة 41

اما بعد : فان كان **الامام الحسن** بن علي تنازل عن الخلافة حفظا لدماء المسلمين

– ولانه لم يجد الاخلاص الكامل فى رجال الكوفة – ولان القمم بدات تدخل فى المساومة .

– ووقف البعض على الحياد .. واهل البيت الاطهار لا يحسنون الدس والكذب

– وقد تعطلت الفتوحات .. والتقى المسلمان بسيفهما .. وظهرت شماتة الاعداء



صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني وبجانبه ولي العهد المحبوب سيدي محمد ...

ـ لكل ذلك تنازل عن الخلافة على أن تبقى بعد معاوية شورى بين المسلمين .. ولكن معاوية لم يف بالشروط فكان ما كان .. مما يتألم له كل مسلم غيور .. فإن الله عز وجل قد ادخر الخلافة الاسلامية لذرية الامام الحسن بن علي .. فكانت في المغرب ملكا شريفا . وحكما عادلا . ووراثة كريمة من الاصل النبوي الطاهر .. في هدوء يفسح المجال لمن يتقن عمله . وحلم راسخ يزن الجبال ويحير الاعداء . وعلاج بالكلمة الطيبة ان نفع العلاج بها ولو بعد زمن .

ـ وبذلك يمكننا ان نفهم الحديث الصحيح الذي رواه الامام مسلم في الجزء الثالث عشر صفحة 68 عن سعد بن ابي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يزال اهل الغرب ظاهرين عن الحق حتى تقوم الساعة .. فعلينا ان نحقق نبوءة الرسول ونعمل على ظهورها عملا إيجابيا ، واتحادا في الحق ؛ وحبا للصالح العام .

ـ وقد حقق الله الوحدة القوية والنصر المؤزر على يد هذه الاسرة المباركة العلوية في هذه البلاد السعيدة . فهذا عيد العرش المجيد ، التالد الوطيد يفرح به المسلمون فرحتين : عامة وخاصة : **أما عامة** فقد ثار القدر للمظلومين (وإن الله على نصرهم لقدير) **وأما خاصة :** فاهل المغرب قد اختارهم الله لامتداد الحق في نصابه . والخلافة الراشدة في آل البيت الاطهار ـ ملك عادل . امير المؤمنين بن امير المؤمنين .... ابن الامام الحسن السبط بن الامام علي بن أبي طالب ..

ـ يحبهم ويحبونه . ويدعو لهم ويدعون له . حب متبادل . واخلاص وافر . وقوة وامانة . روى الامام مسلم في صحيحه عن عوف بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم . وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم . وتلعنونهم ويلعنونكم .. قال : قلنا يا رسول الله افلا ننابذهم ؟ قال : لا . ما اقاموا فيكم الصلاة ؛ لا. ما اقاموا فيكم الصلاة. « تصلون عليهم » تدعون لهم .

فهنيئا للمغرب السعيد بعيد العرش المكين . وهنيئا للمسلمين عامة بالخلافة الاسلامية في آل البيت الاطهار سلالة النبي محمد المصطفى المختار .

الرباط : أحمد بن عبد الرحيم عبد البر



يدنا في يد المليك المفدى

للشاعر: محمد محمد الحلي

يدنا فى يد المليك المفدى   من له الحب فى القلوب استجدا

ماهر اقنع العوالم بالحق ، فكم من روائع السر ابدى

يملك الحجة القوية فى نطق حكيم عد الشوارد عدا

انه القائد الذى اتقن القا   نون درسا ، فنال شكرا وحمدا

مشرق اللفظ ، فى صراحته المثلي ، يثير الاعجاب اخذا وردا

فى القضايا يغوص ، يستنبط السر ، ويعطي المثال فهما وسردا

ويرينا الاحداث فى عرضه السهل ، ويروي للواقع المر عهدا

انه القمة المنيعة لم يبلغ مداها من كرس العمر كدا

انه أمة ، وتاريخ مجد   وكفاح هد العدو الألدا

انه فى روائعه الفكر يثير الآفاق عمقا وبعدا

عرف الداء فاستحال طبيبا   وحمانا اذ علم العين سهدا

يقظة الحر خطوة تلو اخرى   وانتباه يروم للذات نقدا

حبذا ذلك الحساب فقد كا   ن لاهل الهدى سلاما وبردا

والجهول الجهول من كان يحيا   فى شرود ، وفى العناد تردى

وارى الحر بالنزاهة يسمو   ليس يخشى فى الحق عمرا وزيدا

ملك الشعب فى محجته البيضاء يوري من الحقيقة زندا

لا يريد الغموض ، اذ هو يابى   ان يرى الشعب للمطامع عبدا

عرشنا دولة على الحق قامت   وتحاشت من قد طغى واستبدا

قد وقانا من المكاره دوما   وسقانا الحنان حبا وشهدا

انه وحده لدى البأس جيش … يقمع المعتدي ، ويحبط كيدا

انه طالع السعود ، واكرم … بسعيد يكون للشعب سعدا

انه ذلك الزعيم المجلى … من حمى شعبه ، وحطم قيدا

قد رأيناه نورا على نو … ر ، فمرحى للنور يزداد وقدا

ثاقب الفكر، حاضر البال، لا يأ … لو لاسعاد اجمع الشعب جهدا

ثابت القلب ، في الفصاحة فرد … عبقري يشع حزما وجدا

واسع العلم ، واثق مطمئن … بارع العقل ، ليس يخطيء قصدا

تلك اشراقة، وذلك فيض … من معين الهدى لقد راق وردا

انه جنة بروق جناها … حين تحبو الحياة عطرا وورد

انه نفحة النبي ، ومرحى … لكرام قد الفوا المجد عقدا

لم تغب شمسنا ، ولكن تجلت … اذ حمينا استقلالنا المستردا

قبس (الخامس) العظيم نراه … وهو فينا يزداد نبلا وزهدا

علم الجيل كل تضحية كبـرى ، فطوبى لمن يلقن رشدا

لم نحس لحظة بلمسة جرح … كان طول المدى عطاء ورفدا

كيف ننسى له مواقف جلى … والمآسي تفح برقا ورعدا ؟

انه خالد ؛ فقد وهب الشعـب حياة ، وكان في الحق صلدا

غمز الدهر عوده ، فرآه … ثابت القلب ، حاضر الفكر جلدا

لم ترقه الحياة في الذل حتى … طرد الطغمة الدخيلة طردا

ادهش الخصم باليقين وبالصبـر ، فقد كان في التمكن طودا

كيف يرتاح بالنا ، ونحن ذووه … نحمل العبء بعده ، كيف نهدا ؟

هاهنا لم تخب جهود ، ولكن … اثمر المخض في الحقيقة زبدا

اننا نحفظ الامانة حفظا ، … ليس منا الذي عن الحق صدا

ها هنا كوثر زلال نمير … قد روانا رحيقه حين تصدى

ورضاء من السماء ، وتأييـد من الشعب للحبيب المفدى

منذ (ادريس) قد توطد فينا … خير دين فقد كان اسنى واجدى

وبلادي كانت بكل زمان … للأباة الاحرار نبعا ومهدا

نعشق النور مستمرا ، ونهوى … في الجلاء استقرارنا المستمدا

انما الضاد فطرة الله فينا ، … ما رضينا لفطرة الله ضدا

نحن نعتز بالسلام ، وتاريـخ المعالي نرويه عودا ونـدا

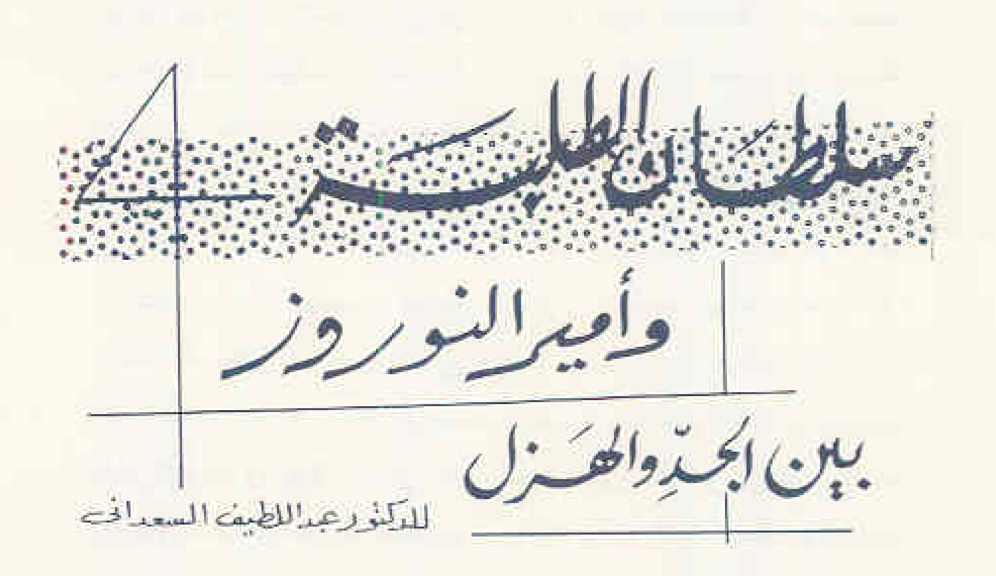
عرشنا الامن والضمان لمجد … ما عرفنا له مدى الدهر حدا

عرشنا روحنا ، كشعب عريـق	كان دوما مستيقظا مستعـدا
حوله نحــن للبنــاء جنــود	وبساح العراك نصبـح أسـدا
ونلبــي نــداءه كــل حيــن	بضمير يرعــى ويصدق وعـدا
وحدتنا دوافــع الخيــر فيه	فاندفعنا لساحة الخير جنـدا
لو ينادي القلـوب منا لطـارت	نحوه بالــولاء وفــدا فوفـدا
لو يشاء البساط يمشـي عليـه	لرأى الشعب يبسط الحب خدا
عرشنا قد حمى الثغور ببـاس	لا يضاهــى ، وللامانــة ادى
مــا نسينــا أياديــه البيـــــض ، وما شاد للبلاد وأسـدى	
قلب الطرف فى البلاد تـر المعـــهد يبنى ، والعزم يرفع سـدا	
والرعايا سعــي حيث تجلــى	فى جهات البلاد سهلا ونجـدا
عرشنا حبنا المكين الذى قـد	حشد العقل والحقيقة حشـدا
قد ذكرنــا بــه لـدى أمـم الار	ض ، فخضنا الحياة عزما وجدا
واستحلنا فى الشرق والغرب شعبا	يستحث الخطى ، ويطفح مجدا
عرشنا جوهر بديــع بــه نحـــيا كراما ، وللعـدى نتحـدى	
وحد الشمل ، بل فجر الطــا	قات ، خيرا ، فكان اسمى واندى
شرعنا الحـب فى اجـل معانيــــه ، فلا نرتضي انشقاقا وحقـدا	
انما المغــرب الكبيــر ســلاح	فى يد الحق قاهــر من تعـدى
و (فلسطين) رغم كل الدواهـــي	ستراهــا للنازحيــن مــردا
ان (افريقيـا) نضـال وصـبـر	وهي صارت للظلم والبغي لحدا
وانسجام الاحرار فى حومة المجـــد التزام ، فلا نــرى منه بـدا	
ان خوض الصعاب أحسن درس	قاد للغاية الشجــاع الاشـدا
عرشنا حــارب التعقـد اذ وفـــى عهودا ، فكان أشرف قصـدا	
وبحبل القرآن يستمـك العـر	ش ، فنزداد فى الخلائـق رشدا
قد عرفنا طريقنــا للمعالــي	وسعينا نشيد مجـدا وخلـدا
وحملنا فى النـاس غصـن سلام	ولبسنا من الحضــارة بـردا

— * —

حفـظ الله عرشنــا وحمــاه	اذ له تنتهـي الامـور وتبـدا
ورعى الله بيننا (الحسن الثــا	نـي) الذى قد رعى اخاء وودا
وولي العهد الكـريم المجلــى	من له يحفظ المحبـون عهـدا

الرباط : محمد بن محمد العلمي



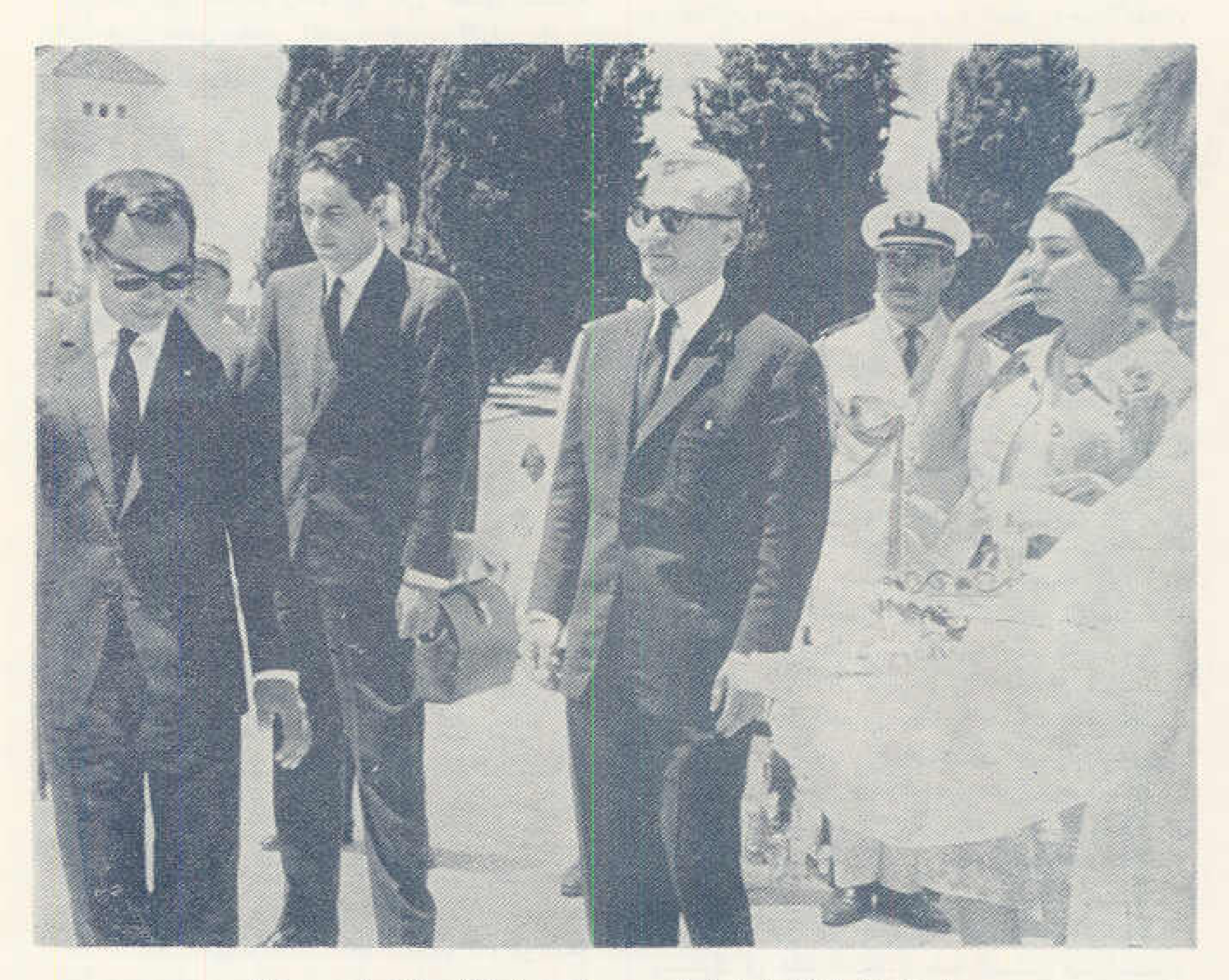
لم يكن اتساع رقعة العالم الاسلامي ليمنع بأي حال من اتصال ابناء هذا العالم ببعضهم البعض على بعد الشقة وناى الدار ، وما اكثر الحوافز التى كانت تدفع للانتقال الى مختلف ارجاء هذا العالم طلبا للعلم او سعيا للتعليم او التماسا للارشاد او ميلا للحظوة والركون الى كنف ذوي الجاه او حبا للاستطلاع ورغبة فى المعرفة . وكان المجتمع الذى يجد فيه الفرد حيثما حل اهلا ومكانا سهلا ينسى معهما كل اثر للغربة مما سهل هذا اللقاء بين سائر البلاد الاسلامية . والسفر الى أرض الوحي النبوي على الخصوص اعز ما يتوق اليه كل مسلم ، وكم يحط الرحال فى الطريق اليها ببلاد اخرى فيتعرف على اهلها ويعيش بينهم ردحا من الزمن ، وكم ادى الحال الى الظعن هناك . لذلك من الطبيعي ان نسمع كثيرا عن الرحيل الى بلاد المشرق ، كما أنه أصبح من المالوف الاقدام على السفر من مغرب هذا العالم الى مشرقه . وقد استفاد المغاربة من نتائج هذه الرحلات لطول المسافة . وتذكر المصادر كثيرا ممن رحلوا من بلاد فاس الى بلاد فارس (1) ونجد اثر ذلك يتردد صداه فى اشارات فى الادب الفارسي مثلا شعرا ونثرا . ومن جهة اخرى لم تكن الحركة من المشرق الى المغرب باقل من الاولى ، بدات منذ الفتح الاسلامي لهذه البلاد ثم عرف المد السياسي الذى وصل شمال افريقيا والاندلس انتقال المشارقة اليها . وفيما خصصه المقري فى كتابه نفح الطيب للوافدين على الاندلس من المشرق (2) ولمن حل من الاندلسيين الى المشرق (3) واخبارهم ما يكفي دليلا على نشاط هذه الحركة وبعد آثارها

بمثل هذا استحكمت الصلات بين سائر اطراف العالم الاسلامي شرقيه وغربيه عربيه وعجميه حتى انه ليس من الصعب ان نجد آثار ذلك حيثما نقبنا عنها ، بل هي واضحة للعيان فى حياة كل فرد يضمه هذا المجتمع .

ولهذا لا نستغرب ان فى بلاد الاندلس وعامة بلاد المغرب اثرا شرقيا يتميز منه على الخصوص الاثر الفارسي الذي يطبع كثيرا من مظاهر الحياة فيها .

ليس اذن من العجيب ان نجد لبعض المظاهر فى مجتمعنا المغربي ما يشابهها فى المجتمع الفارسي ، ولا من الصعب ان نجد تفسيرا لذلك . ومثل هذا جدير بالاهتمام ، فقد ارتبط بحياتنا حتى اصبح جزءا

(1) انظر بعض هؤلاء فى مقالنا بمجلة البحث العلمي العدد السابع ، السنة الثالثة .
(2) نفح الطيب ، المقري ، ج 4 ص 4 – 147.
(3) نفح الطيب، المقري، الجزء الثاني والجزء الثالث .



صورة مأخوذة لجلالة شاه ايران مع صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني
فى الزيارة التى قام بها للمغرب صحبة قرينته السيدة فرح ديبا ...

منها ، والبحث فيه من خلال عادات وتقاليد واقوال مأثورة واساطير .. يلقي الضوء على مختلف جوانب شخصيتنا .

من بين هذه المظاهر نذكر اليوم « سلطان الطلبة » وما تخصص له من الاحتفالات ، وما يرتب لذلك من الاشياء وما يقام من المظاهر ، وما يحيط كل ذلك من العادات والتقاليد التي جعلتها صالحة لان تكون احدى مظاهر المسرح المغربي الاولى (4)

تقام حفلات سلطان الطلبة في مدينة فاس في فصل الربيع . تعرض السلطنة على المزاد العلني بين الطلاب ، ويعلن من وفق في هذا المزاد سلطانا للطلبة ، ومنذ ذلك الحين يحف بالتعظيم والاجلال وتهيىء له الدولة جميع مظاهر السلطنة المعروفة في البروتكول المخزني المغربي من اللباس الخاص . والهيئة الحكومية التي يعينها بنفسه . ومن الخروج لصلاة الجمعة راكبا فرسا تظله المظلة ويحيط به وزراؤه واعوانه وخواصه ...

ويحظى سلطان الطلبة بزيارة ملك البلاد له والانعام عليه بالهدايا وبقبول مطالبه من عفو عن سجين او طلب حظوة . ويحافظ سلطان الطلبة طيلة ايامه بكل ابهة حتى يتراءى ان الامر جد ، ويزيد ذلك جدية موضوع الاحتفال بهذه السلطنة الذي هو الاحتفال بالعلم واهله ، فلا ينقصها من الحقيقة الا الاستمرار ، غير ان الهزل يمنعها ان تبقى اكثر من اسبوع واحد . ويعتمد من أجل ذلك مزجها بلقطات وادوار هزلية تذكر بطبيعة هذه الاحتفالات على حقيقتها . وفي هذا المجال هناك شخصية لها دور مهم في هذه الحفلات هي شخصية « المحتسب » فمهمته ان يقوم بانواع التهريج في مختلف الاسواق زيادة في استثارة همم الناس وانتباههم وسعيا وراء اشراك المدينة كلها في جو الفكاهة والتسلية . ينطلق راكبا بغلته ، ويتزيى بلباس خاص مصطنعا بطنا منتفخة وعلى راسه « مكب » طابق ، وحركاته كلها مرح وهو ينبه الناس الى مخالفات مفتعلة ويزجرهم على ذلك كما يدعو لهم .

وبعد اسبوع يسدل الستار على هذا الحادث السنوي بين الجد والمرح .

واذا راجعنا العناصر الاساسية لهذه الحفلات وابطالها وعلى الاخص عنصرا الزمن والشخصيات ، نراها تلتقي الى حد بما اعتاد الفرس ان يقيموه طليعة كل عام من حفلات النوروز .

يستقبل الفرس مطلع سنتهم باحتفالات النوروز ، وفي ذلك احتفال بحلول فصل الربيع ، اذ في هذا الوقت تبلغ الشمس برج الحمل وهو الاعتدال الربيعي . يقول الشاعر ابو محمد الحسن بن المؤمل الحربي :

يا شمس اهل المشرق اسعد فقد
حلت براس الحمل الشمس

واشرب على طلعة نيروزها
كاس مدام بندم الانس

وقد انتقلت عادة الاحتفال بالنوروز الى البلاد الاسلامية من جملة ما ولع به الملوك من مظاهر الحياة الفارسية من لعب الشطرنج والنرد والصولجان وعيد المهرجان . ونقف قليلا لنتتبع الاستعراض الكبير الذي كانت تقيمه القاهرة بهذه المناسبة في عهد الفاطميين . تستعد الدولة لحلولها وتحشد الناس لها وتفتح رحاب القصور وتبسط الموائد ، ويظهر في حلبة القصر وحواليه اصحاب السماجات. وقد قرب الى اذهاننا صورة هذه الحفلات وصف ذكره المقريزي (5) نتعرف من خلاله على تفاصيل اكثر . يذكر ان المصريين كانوا في عهد الفاطميين يحتفلون بالنوروز ، فيختارون اميرا للنوروز يلبسونه ثوبا احمر او اصفر ، ويطلون وجهه بالدقيق الابيض او الجير ثم يركبونه حمارا ويسير معه جمع كبير ، ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبه على الاكابر بالعدد الكبير ويكتب مناشير ويندب مترسمين، غير انه يقنع بالميسور من الهبات . ويشترك في هذه الحفلات عامة الناس فيتراشون بالماء ممزوجا بالاقذار ويتراجمون بالبيض ، ويتصافعون بالجلود والانطاع . ولا تتدخل الشرطة في ذلك . فان غاظ مستور وخرج ذلك اليوم من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف به .

---

(4) التقليد المسرحي في المغرب ، الاستاذ حسن المنيعي ، الملحق الثقافي للعلم ، السنة الثالثة العدد 101

(5) الخطط . المقريزي . ج 1 ص 267 – 269 و 493 .

ومن عادات النوروز التى درج عليها الفرس ايضا ، اهداء الاكابر لمن دونهم او العكس ، وقضاؤهم لحوائج الناس (6) و طلاق السجناء والعفو عن المجرمين (7) .

وهكذا تستمر احتفالات النوروز وهزليات امير النوروز واصحاب السماجات ستة ايام ، ثم يرجع الناس الى حياتهم العادية بعد ان اخذوا من ربيع الزمن المتعة والراحة ، واستقبلوا طلعته بالافراح والمسرات . وتنتهي امارة النوروز بانتهاء الستة ايام . يقول حافظ الشيرازي :

زكـوى يارمـيـآيـد بـاد نـوروزي
ازين باد ارمددخواهي جراغ دل برافروزي

سخن دربرده ميكويم جوكل ازغنجه بيرون آي
كه بيش ازبنج روزنيست حكم مير نوروزي

وترجمته :

ان نسيم ريح النوروز ينبعث من حي قلبك
فان شئت مددا من هذه الريح فانر مصباح قلبك

اني لاقول كلاما مرموزا فتفتح كامام الورد
فان حكم امير النوروز لا يتجاوز الخمسة ايام

ورغم اننا لا نعلم بالتحديد اليوم الذى تقام فيه حفلات سلطان الطلبة من السنة حتى تقارن به بداية الربيع من النوروز ، ولكن اختيار ايام الربيع لهذه الحفلات فى المغرب ، يرتبط بالمناسبة التى من اجلها تقام تلك الحفلات عند الفرس ، سيما وان شخصية سلطان الطلبة ومحتسبه تشابه الى حد كبير امير النوروز ومحتسبيه . ولولا الموضوع الذى اختير فى المغرب لذلك لامكن ان نرى سلطان الطلبة يركب حمارا بدل فرس ويقوم بالهزل المبتذل كذلك . ومع ذلك فالمرح والهزل واضح فى كلا الاحتفالين . ولقاء الشعب والملك رمزهما ، ترفع احداهما الشعب الى مقام السلطان وتنزل الاخرى السلطان الى مستوى الشعب .

ان البحث فى هذا الموضوع كان يمكن ان يقف عند هذا الحد من المقارنة من غير ان يدفع بنا الى اكثر من ذلك لولا بعض اشارات حول الاحتفال باعياد النوروز بالمغرب وشيوع ذلك واهتمام الناس به وانصرافهم اليه حتى استثار الاوساط العلمية ودفع بهم الى مناقشة هذا الموضوع والكتابة فيه وقد ذكر ابن القاضي كتابا يتعلق بهذا الموضوع هو : الفيصل المنتضى المهزوز فى الرد على من منع صوم يوم النيروز » لمحمد بن علي بن محمد بن النجار الجدامي المتوفى سنة 720 (8) وهذا ما يدعم ما ذهبنا اليه . ويقتضينا اثبات ذلك تفصيل الكلام عن هذا الاطار الذى تدخل فيه حفلات سلطان الطلبة وهو مظاهر النوروز فى الاندلس والمغرب وهو ما سنعود للحديث عنه بحول الله .

فاس ـ د. عبد اللطيف السعداني

---

(6) صبح الاعشى ، ج. 1 ص. 418.
(7) شرح عشرون بابا . البير جندي
(8) درة الحجال فى غرة اسماء الرجال ـ ابن القاضي ، ج. 1 ـ ص. 193 .

العصر العلوي في كتاب الاستقصا

للأستاذ ابراهيم حركات

كان من الممكن ان تكون هذه الدراسة شاملة لكتاب « الاستقصا » ولكن اهمية هذا المصدر تتجلى بوجه خاص في كون مؤلفه عاصر شطرا غير قليل من تاريخ الدولة العلوية وعاش في خضم احداثها بوصفه موظفا ساميا في البلاط العلوي والجهاز الاداري لهذه الدولة ، واذا ، سنرى ما هي الطريقة العامة التي سلكها في كتابه حتى نتأكد مما اذا كان المؤلف قد اتى بشيء جديد عن العصر الذي نحن بصدده .

ان الناصري لم يسلك طريق العرض حسب الاحداث السنوية ، كما فعل ابن الاثير في الكامل مثلا ، بل رتب كتابه حسب الترتيب الزمني للدول، مع عرض اهم الاحداث السياسية التي تقع كل سنة، وفي نهاية عرضه لتاريخ الدولة يشير بايجاز الى اهم الاحداث الخاصة كوفاة عالم او ولي ، واشتداد ازمة اقتصادية او وقوع كارثة طبيعية وما الى ذلك، وهو هنا شبيه بمؤرخين آخرين كصالح بن عبد الحليم في روض القرطاس مثلا .

واذا كان الناصري يمتاز برجوعه الى المصادر المعاصرة لكل دولة ، فهو في تاريخه لعصره لا يكتفي بالمراجع المؤلفة في هذه الحقبة ، بل يعود الى التقاليد المخزنية في القصور الملكية ونظارات الاحباس ومختلف مرافق الدولة ، بالاضافة الى كونه تلقى الكثير من المعلومات ممن كانوا شهود عيان فيما يرجع الى الفترة التي عاش فيها مباشرة فمصادر الناصري والحالة هذه :

1) مراجع عربية الفت قبله كنزهة الحادي لليفراني ، والجيش العرمرم لاكنسوس ونشر المثاني للقادري .

2) مراجع اجنبية ككتاب منويل القشتالي عن المغرب وكتاب ماري لويز كذلك ، ومعلوم ان الاجنبي قد يرى من الاحداث جوانب هامة لا يلتفت اليها المواطن .

3) وثائق مخزنية وادارية اشير الى مصادرها آنفا ، وهي عادة تشتمل على معلومات نفيسة كبعض الكتب والمراسم السلطانية .

4) معلومات اخذت مشافهة عن وزراء وموظفين سامين في الدولة .

وهكذا فميزة دراسة الناصري للعصر العلوي تتجلى في كونه قدم عددا كبيرا من المعلومات الموثوق بها ، والتي لا يتطرق اليها الشك ، كما تمتاز بالدقة وعرض تفاصيل شيقة . ومن جهة ثانية فالمجلد الخاص بالعصر العلوي غني بالنصوص والوثائق التي نقلها المؤلف بكامل محتواها ، وفي الواقع نجد هذه الطريقة عامة لدى معظم المؤرخين الاسلاميين وان كان الناصري قد تميز كبعض هؤلاء بنقل نصوص طويلة المحتوى احيانا ، والواقع ان



السلطان المولى عبد الرحمن يستقبل سفير فرنسا بمكناس

ومن بين الاشخاص الذين رسمت صورهم فى الصف الاول من جهة اليسار القائد محمد بن عب
ومن اليمين الوزير المختار الجامعي والامين الطيب البياز المستخدم باحد الدواوين المغربية

المعلومات الواردة عن العصر العلوي تمدنا بفوائد كثيرة ومتنوعة ، فنحن مثلا ، نأخذ منها جملة لا بأس بها من المصطلحات العسكرية والبحرية المتعارفة في هذه الفترة ، ونعلم ان نشاط القراصنة قد استمر الى زمن متأخر ، وان كان من حقنا ان نسمي القرصنة بالنسبة المغرب في هذا العصر مقاومة وطنية بحرية ، ولذلك نجد ملوك العلويين يتبنون هذه المقاومة بأنفسهم ويكرمون زعماءها الشعبيين ، ونرى السلطان سيدي محمد بن عبد الله وهو يومئذ خليفة بمراكش يشترى « اقامة المراكب القرصانية من صواري ونطاقات وقمن ومخاطيف وحبال وقلوع وبناني وغير ذلك » .

ونرى السلطان المذكور يتخذ من جملة وزرائه ابا عبد الله محمد العربي قادوس « واصله من اعلاج الاصبنيول ، وكان شعلة من الذكاء والفطنة ، وركنا شديدا من اركان لدولة المحمدية في حسن التدبير والحزم الذى لا يعزب عنه من امور الحضرة قليل ولا كثير »

ويذكرنا وجود هذه الشخصية بنظراء لها ايام المنصور الذهبي كمحمود باشا واخيه ولعبا دورا كبيرا في حرب السودان .

ويلتفت الناصري بشكل خاص الى الكوارث الوطنية التى يحلو له ن يصفها او ينقل بدقة ما وصفها به غيره من المؤرخين ، وهكذا ينقل عن ماري لويز صاحب المناني ان الزلزال هدم جل مكناسة وزرهون ومات فيه خلق كثير ، بحيث احصي من العبيد وخدمهم نحو خمسة آلاف ، وقال نقلا عن المؤرخ الافرنجي المذكور « ان الزلزلة مكثت ربع ساعة وتشققت الارض منها واضطرب البحر وفاض حتى ارتفع ماؤه على سور الجديدة وفرغ فيها ، ولما رجع البحر الى مقره ترك عددا كبيرا من السمك بالبلد، وفاض على مسارحهم ومزارعهم واشبارالهم (؟) فنسف ذلك كله نسفا واضطربت المراكب والفلك بالمرسى ، فتكسرت كلها ، وفر نصارى البلد الى الكنيسة وتركوا ديارهم متفتحة ، ومع ذلك لم يفقد منها شيء لاشتغال الناس بانفسهم » .

ومن الواجب ان نقول مع ذلك ان الناصري لا يختلف في كثير عن عامة المؤرخين الاسلاميين الذين عالجوا تاريخ الدول والملوك فوجهوا همهم للاحداث السياسية تاركين جانبا ، مسائل التاريخ الاخرى من وصف الحياة الاجتماعية وعرض لنشاط الدولة والامة في خدمة الحضارة والفكر والعمران، وقد تمر هذه المسائل عفوا وعلى سبيل الايجاز غير مقصودة لذاتها وانما كمجرد تتميم للنشاط السياسي . ولحسن الحظ فان المجلد الخاص بالعصر العلوي يعالج جوانب قيمة من انظمة الدولة واحوالها المختلفة ، وبصفة خاصة التنظيم العسكري الذي ابدع فيه واجاد ، مستفيدا مما افاد به سابقوه كاليفرني واكنسوس .

ولمس بين آن وآخر تدخلات مباشرة وغير مباشرة من لدن المؤلف في بعض القضايا الوطنية العليا، وحينئذ يلجا الى نقل آراء المجتهدين لفكرة معينة، فنستشف من ذلك مشايعته لهم . كما قد يبدي رايه علانية في بعض لاحداث ، وهكذا نراه في مسالة احداث مكس الابواب ينقل فتوى فقهاء الوقت كالشيخ التاودي بن سودة وعبد الرحمن المنجرة وعبد القادر بوخريص ، ثم يضيف الى ذلك راي الغزالي كما جاء في « شفاء الغليل » ونره يعالج بكثير من الصراحة والاخلاص قضية البطل عبد القادر الجزائري والموقف المشرف الذي وقفه المغرب ضد فرنسا من اجله حتى كانت هزيمته في وقعة ايسلي التى ابانت عن حاجة المغرب يومئذ الى اعادة النظر في خططه العسكرية الشيء الذي عمل على تحقيق شوط هام منه فيما بعد ، السلطان الحسن الاول ، كذلك اظهرت هذه الوقعة للجيش الفرنسي موطن الضعف من المغرب فتجرات فرنسا على التدخل شيئا فشيئا في شؤونه ، وكان الناصري حكيما في ابداء موقفه من هذه المسالة ، فاظهر عطفه على القضية الجزائرية ونوه بالمساعدات المادية والمعنوية التى زود بها المغرب البطل عبد القادر وان صدرت منه تعليقات حول تنقلات هذا الاخير فيما بين مناطق المغرب الشرقية ، وهي تؤكد ان تحولا ما قد طرا في خطط الامير عبد القادر .

ويؤيد الناصري الموقف الذي اتخذه السلطان المولى عبد الرحمن في مواصلة عدم الاهتمام بالاسطول البحري نظرا للتقنينات الضيقة التى فرضتها الدول الكبرى يومئذ خصوصا انجلترا ، وفي الواقع كان حوض البحر الابيض المتوسط موزعا بين دولتين رئيسيتين هما انجلترا وتركيا ، وهذه بدات تترك مكانها لانجلترا تدريجيا وبسرعة منذ ان تخلت عن

الجزائر مكرهة ، ففقدت موقعا استراتيجيا لمراقبة نشاط الاساطيل الاجنبية غرب المتوسط .

اما اسلوب الناصري على العموم فيقتبس بقدر من اسلوب ابن خلدون الذى يحق ان يعتبر فذا فى بابه ، وهو يرقى حتى عن اسلوب عامة الادباء . ومن اقتباسات الناصري قوله : « لم يزالوا يفتلون له الذروة والغارب حتى شرهت نفسه . ج 8 ر 73» «سكنت الهيعة. ج 8 ر 74» «استجاش عليه. 82» «اغنى غناء جميلا . 96» الخ ...

على انه يلجا احيانا واضطرارا الى بعض الالفاظ العامية او المستعملة فى اللغات الاجنبية اصلا ، لانه لا يجد لها مقابلا فى الفصحى من ذلك مثلا قوله : « ورقة الباصبورط » (تبعهم العدو برمي الكور والضوبلى من غير فترة ».

ومن عادته ان ينقل احيانا نصا كاملا لرواية مؤرخ حول حادث تاريخي معين كنقوله عن محاضرات اليوسي والنزهة لليفرني وغيرهما . ولكنه قد يمر باحداث مهمة جدا من غير ان يعطيها حقها من التفصيل ، مثال ذلك :

1) بناء مكناسة لم يذكر اسبابه ولا نتائجه السياسية والاقتصادية .

2) الاثر العلمي والسياسي للزاوية الدلائية.

3) ثورة الجيلاني الركي وظروفها ومراحلها وما كان لها من آثار اجتماعية وسياسية ، وما كان للانتصار الملكي عليها من آثار ايضا .

ولكن الناصري كما سلف ، قد التفت الى كثير من مسائل التاريخ فاشار اليها احيانا بدقة واحيانا اشارة خفيفة . وليس من شك فى ان الناصري قد اعوزته معلومات كثيرة عن العصر العلوي بما فى ذلك خفايا السياسة الدولية كما كان يعالجها على الاقل ، المبعوثون الدبلوماسيون والاجانب الذين دونوا مذكراتهم عن احداث المغرب . وهكذا نفتقد مثلا ، جملة من التفاصيل والملاحظات الدقيقة عن الاتفاقيات والمناورات الدولية لاحتلال المغرب او التدخل فى شؤونه ، ولكن لا يخلو الكتاب فى هذا الموضوع من اشارات هنا وهناك لا تغني فى كثير ، المستكشف لوجهة النظر المغربية وطريقة علاجها من قبل الدولة وخبرائها .

وفى كل ما ادلى به الناصري من معلومات كان يتحرى الصدق وينسب القول الى قائله والخبر الى راويه ، حتى ان ما يقارب ثلثي المجلد الخاص بالدولة العلوية ، يعترف بانه استقى معظمه من كتاب الجيش العرمرم لاكنسوس : « واعلم ان هذه الاخبار التى سردناها من اول هذه الدولة العلوية السعيدة الى هنا تبعنا فى جلها اكنسوس ، وقد ساقها رحمه الله مجردة عن التاريخ الذى هو المقصود بالذات من الفن . ونحن لما لم نعثر فى الوقت على ما يحقق لنا تواريخها ، رتبناها بحسب ما ادى اليه الفكر والروية ، واثبتناها لئلا تذهب فائدتها بالكلية » الخ ..

وهكذا يشكل كتاب الاستقصا ونزهة الحادي والجيش العرمرم والاتحاف للمرحوم ابن زيدان مجموعة متكاملة من المراجع العربية عن العصر العلوي والتى اغنت التاريخ المغربي السياسي على الاخص بمعلومات وافرة . وليس من شك فى ان هذه الحقبة حظيت بالعديد من الدراسات والتراجم والوثائق بالعربية والفرنسية والانجليزية ولغات اخرى ، وفى الواقع لا تزال جوانب كثيرة من الفترة المذكورة بحاجة الى استقصاء وتركيز ، وبالتالي الى دراسة جديدة تسجل مجموع الجوانب التى اصبحت الدراسات التاريخية الحديثة تتطلبها .

فاس : د. ابراهيم حركات

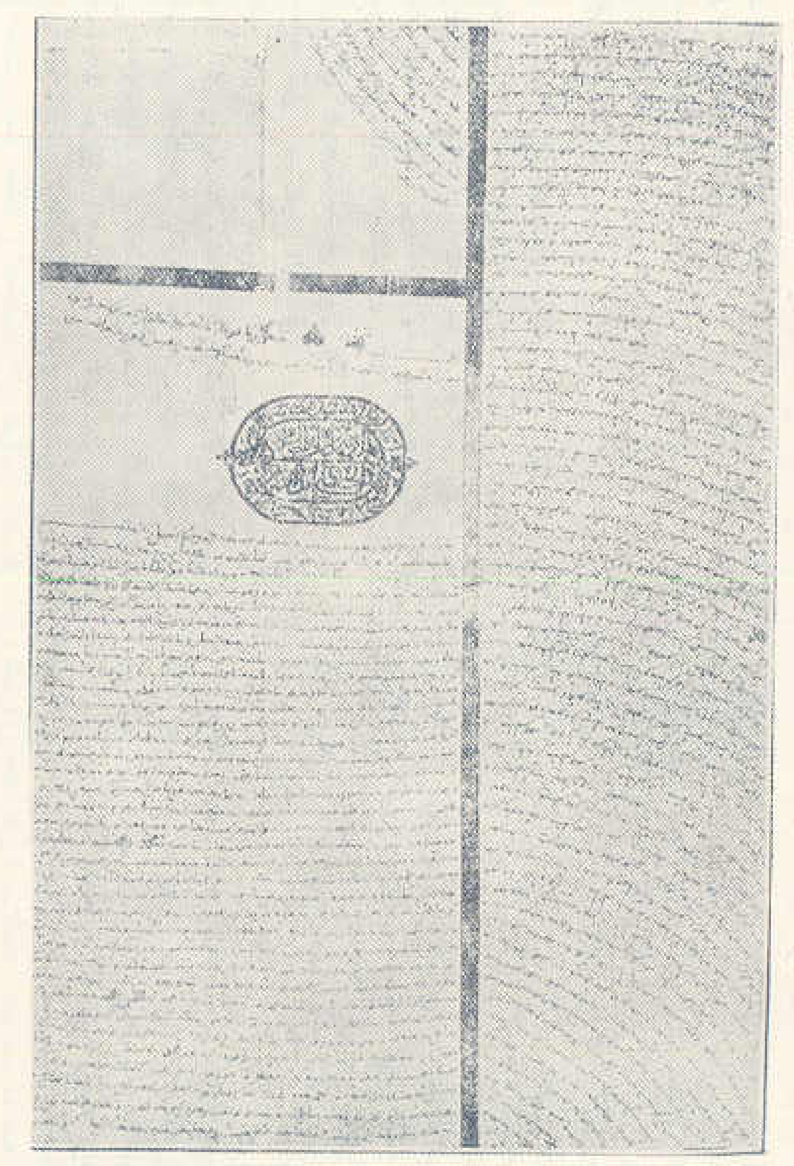


كان من اثر سقوط غرناطة ، والانتصارات العسكرية المسيحية على المسلمين في الاندلس وبعض الثغور الافريقية ، ان برزت معركة قلمية بين المسيحيين والمسلمين .. فقد اغمدت السيوف ، وخمد صوت المدافع .. وبدا ان الدماء والحروب والدمار لم يعد في وسعها ان تقنع المسلمين مما يردده المسيحيون من تحريفات ، واصبح على المسلمين وعلى علمائهم بالاخص ، ان يعرفوا بالاسلام ورسالته ويوضحوا شبهات المسيحية وآفاتها وانحرافاتها .. واذا كان الاسلام يعرب عن نفسه في وضوح عقيدته وبساطة نظامه ، ووضوح مجتمعه ؛ فان المسيحيين الذين كانوا يرزحون تحت توجيهات مفرضة عرفوا الاسلام من خلالها على غير حقيقته ، وعرفوه مشوها مبتورا ؛ فلذلك اصبح على علماء الاسلام ان يؤلفوا في موضوع التعريف بالاسلام واظهار حقيقته ، وازالة اللبس عنه حتى يتلقاه من يتلقاه عن بينة ويحاربه من يحاربه عن بينة .. لقد انحلت الكنيسة في المغرب والاندلس بعد ان شع نور الاسلام بهما ؛ ولم يكن ذلك عن قوة وقسر كما يقول اعداؤه ، بقدر ما كان عما في طبيعته من تسامح واخوة صادقة تربط معتنقيه بعضهم ببعض ، رغم اختلاف طبقاتهم الاجتماعية والفكرية ، ويدل على احترام المسلمين للمسيحية والمسيحيين في المغرب ان الكنائس ظلت مفتوحة تؤدي رسالتها الدينية ، ولم تجبر الدولة احدا على ترك مسيحيته ، ولم تأمر كاهنا او راهبا على سد ابواب كنيسته ؛ نعم .. عجزت الكنيسة الافريقية – 1076 م عن اعداد ثلاثة اساقفة لرسم شخص كان يرغب في منصب الاسقفية فوجد البابا جريجوري السابع من الضروري ان يرسم اسقفين ليعملا مساعدين لرئيس اساقفة قرطاجنة ، حتى اذا كانت سنة 1246 ميلادية كان اسقف مراكش الزعيم الروحي الوحيد الذي يشرف على البقية الباقية من الكنيسة الافريقية وهذا يدل ان المرابطين والموحدين لم يحاربوا الكنيسة بقدر ما احتفظوا لها بكامل حريتها ونشاطها

ويحدث الرحالة التيجاني الذي عاش في النصف الاول من القرن الرابع عشر انه زار بلاد الجريد التي تقع جنوبي تونس وذكر ان الكنائس المسيحية قائمة لم يأمر احد بهدمها وتخريبها ..

ومن هنا فان أواخر عصر بني مرين والسعديين واوائل عصر العلويين كانت عصور دفاع عن الاسلام ودعوة اليه بالحجة البليغة ، والمنطق المركز بعد ان اغمدت السيوف وبحت اصوات المدافع ..

ومن اهم المؤلفات التي نعرفها في هذا الموضوع ما ناظر به العلامة ابو علي الحسين بن عتيق المرسي السبتي ، وما كتبه ابو جعفر بن ابي عبيدة القرطبي ، وعبد الحق الاسلامي السبتي في الرد على احبار اليهود وما صنفه محمد الانصاري في كتابه السائل



ظهير مولاي اسماعيل لجيمس الخامس ملك الانجليز



ظهير مولاي اسماعيل للويز الرابع عشر ملك فرنسا

والمجيب وما صنفه كذلك الوزير المريني ابو زكرياء يحي بن زياد في كتابه روضة الاديب .. حتى اذا شارفنا العصر العلوي كان من المع الكتاب في هذا الموضوع شهاب الدين افوغاي ، مؤلف ناصر الدين على القوم الكافرين ، ويوسف الاسلامي مؤلف (النور الباهر)

وجاء المولى اسماعيل الذي كان سلطانا قوي الشخصية داعية الى الاسلام بين المسيحيين سواء في المغرب او خارجه ، والذي كانت له مجالس مع علماء ايالته يحاور فيها ويجادل وكان يدعو الرهبان الموجودين في المغرب لحضرته ويناقشهم في قضايا الدين براي حرة وتسامح ديني عظيم ، ويطالبهم بالحجج التي يستندون اليها في ارائهم فيجادلهم بالحجة ، ولكم كان يحضر الى مجاسه العلماء وامهات الكتب للاسترشاد بنصوصها .!؟ ولم يكن يقتصر على ذلك في بلاده بل كان يتجاوزها الى خارج حدود المغرب فيكتب الى ملوك اوربا المسيحيين في هذه الموضوعات الدينية — وتحتفظ الوثائق المغربية برسالتين وجه الاولى الى جيمس الثاني ملك انجلترا بعد خلعه والتجائه الى فرنسا سنة 1109 . والثانية الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا . . ومن خلال الرسالتين تظهر الروح الدينية التي تغمر قلب المولى اسماعيل وما يتمتع به تفكيره من اصالة وقدرة على الحوار والنقاش ومعرفة دقيقة بالاسلام والمسيحية فقد كان يبسط في رسائله ان الاسلام هو الدين الحق . اما المسيحية فقد حرفها الاحبار والنصارى تحريفات خطيرة ، على ان المسيحية حين جددها (لوثر) اصبحت قريبة من صفائها ، وبذلك فالبروتستانية احسن من الكاثوليكية — وهو في هذا الراي يتفق كثيرا معه (ديدرو) من بعده الذي يرى ان البروتستانية احسن من الكاثوليكية وعبادة الله وحده دون وسائط الرهبان احسن من كل ذلك .. ولم تكن دعوة السلطان المولى اسماعيل تضيع هدرا بل كان المسيحيون يستجيبون لدعوته ، ويروي لنا المؤرخ ابن زيدان أن المولى اسماعيل بنى قلعة خاصة لمن اسلم من النصارى ليظلوا محافظين على عوائدهم قبل ان يكونوا على اتم الاستعداد للذوبان في المجتمع الاسلامي واتماما لهذا البحث الاولي في موضوع الدعوة الاسلامية في العصر الاسماعيلي يجمل ان ننشر الوثيقتين التاريخيتين التي تتعلق اولاهما بملك انجلترا جيمس الثاني و (ثانيتهما) بدعوة لويس الرابع عشر ملك فرنسا الى تفهم الاسلام وحقيقته — ومن خلال الوثيقتين تظهر الروح الاسلامية التي تغمر قلب هذا الملك العظيم كما تظهر معرفته الدقيقة بالاسلام ، واطلاعه على المسيحية وما فيها من تناقضات واغلاط لا تبعد كثيرا مما كان يردده مفكروا هذا القرن في اوربا نفسها . مما ادى الى ثورة عارمة ضد المسيحية كلها في مختلف اشكالها ومظاهرها .. ولو انهم اتاحوا لانفسهم نقدا ذاتيا لتفادوا ما اصاب المسيحية وما اصاب اوربا من ثورة مادية عارمة ضد الثقافة الروحية التي لا قيمة للانسانية بدونها والتي ادت الى الفراغ الروحي الذي يعانيه الغرب المعاصر .. اما الرسالة الاولى فقد ذكرها المؤرخ ابن زيدان في الجزء الثاني من كتابه (اتحاف اعلام الناس — ص 56) ونص الرسالة :

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لا رب غيره ولا معبود سواه ثم الطابع السلطاني بداخله اسماعيل ابن الشريف الحسني وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا . ايده الله بعزيز نصره وامده بمعونته ويسره وخلد في الصالحات شريف مناقبه وجميل ذكره آمين يا رب العالمين :

« الى طاغية الانجليز القاطن ببلاد الفرانصيص يعقوب المسمى بلسانهم جامس سلام على من اتبع الهدى وتجنب سبيل الغي والردى وآمن بالله ورسوله ثم اهتدى .

اما بعد فانا كتبناه اليك واوردناه عليك واوصلناك بهذا الكتاب . واعتنينا لك بهذا الخطاب لمسالتين اثنتين احداهما دينية والاخرى سياسية دنيوية وموجب ايرادهما عليك التنبيه لك والايقاظ والنصح والارشاد وذلك ان اخاك الذي كان ملكا على الانجليز من قبلك كان عرف لنا من الحق ما عرف . وتقرر عنده من لدنا ما لهذا الدين الشريف على غيره من الشفوف والشرف ، فكان من اجل ذلك يطلب منا المهادنة على طنجة فيبعث لمقامنا العلي بالله من اصحابه وخدامه المرة الاولى والثانية من يبعث اناقة بمحلنا ولنوبها بشريف مكاننا وكانت المواصلة بين الملوك والمراسلة مستتة ومشروعة وان اختلف اللسان وتباينت الاديان .

فجازيناه على فعله، وكافيناه على شغله ، ووجهنا له من خدامنا اباشادورا وصل اليه . وقدم عليه كما شاهدته ورايته ففرح بسفيرنا واكرمه اكراما

كثيرا . وسر به وبمقدمه سرورا كبيرا . ورجع من عنده مغبوطا مسرورا . فلم نزل نراعي لهم ذلك ووفينا له في جميع ما كنا عملنا معه في طنجة ولم نرد البال الى شيء مما كان يعمله بها حين اراد الرحيل عنها وكان ينقل خزائنها ومدافعها وسكانها واهل جوارها من المسلمين يرون ذلك وينهونه الينا ويقصون ما يشاهدونه علينا وما القينا اليه في ذلك البال . ولا التفتنا اليه بحال من الاحوال . وما ذلك الا مكافاة له على صنيعة مع سفيرنا ووفاء بالقول الذي كان طلبه منا ووددنا ان لو كان اخوك بقي حيا الى ان يشاهد صنع الله الذى صنعه لنا في فتح العرايش من يد اصبنيول ويرى محاصرة سبتة اليوم وما كان اهلها يصرفونه عليها من الاموال وما كان يلزمهم في مؤنتها من ملايين الريال لتحقق وفاءنا له وغضضنا الطرف عنه وعلم ان القول والعهد الذى اعطاناه لم ننقص شيئا منه فالصواب الذى كان من اخيك والحق الذي كان يعرفه لنا هو سبب الكتب اليك مكافاة على صنيعه وهو الذى اوجب مكاتبتك بهذه المراسلة لنعرض عليك فيها الامرين المذكورين اول الكتاب فاما الدينية منها ففيها خير الدنيا والآخرة لما فيها من رشادك ونصحك ان وفقك الله تعالى .

وذلك ان تعلم ان الله سبحانه جل جلاله وتقدست صفاته واسماؤه انما خلق هذا الخلق ليعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئا قال الله سبحانه «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون، ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » . وهذه العبادة التى اوجب الله على خلقه لابد لها من وسائط يبلغون عن الله لخلقه ما امرهم به ومن رحمته بخلقه ورافته بهم ان جعل لهم وسائط بينهم وبينه من جنسهم ارسلهم اليهم من انفسهم واختارهم من انفسهم فبعث لهم رسلا يبلغونهم عن الله ما جاءوا به من عنده فآمن بهم من اراد الله سعادته وكفر بهم من كتب شقاوته .

وختمهم بخاتم انبيائه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم النبيئين وسيد المرسلين وجعل دينه خير الاديان وشريعته افضل الشرائع وامته خير الملل ولقد بشر به وبمبعثه عيسى كما بشر بعيسى موسى بن عمران على نبينا وعليهما وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام ونبينا عليه السلام وان كان آخر الانبياء بعثا فهو اولهم خلقا .

ومما يجب اعتقاده ان الانبياء كلهم يجب الايمان بهم فلا نفرق بين احد منهم وان المسيح بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو احد الرسل الذين جاءوا عن الله من غير ادعاء مما تدعون ولا اطراء مما تطرون ، قال الله تعالى في حق امه الصديقة « ومريم ابنة عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتابه وكانت من القانتين » . وقال تعالى في حقه : « ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم، خلقه من تراب ثم قال له كن ، فيكون » . وقال تعالى : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ، القاها الى مريم وروح منه، فامنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه ان يكون له ولد، له ما في السماوات وما في الارض ، وكفى بالله وكيلا ، لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا » .

ومن المعتقد ان المسيح رفعه الله اليه، وان اليهود لعنهم الله ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وانه ينزل بين يدي الساعة فيجد المهدي من هذه الامة من ولد فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل الدجال ويجده قد اقيمت عليه الصلاة فيقول له تقدم يا نبي الله او يا روح الله فيقول له عليه السلام عليك اقيمت فيصلي خلف رجل من امة نبينا صلى الله عليه وسلم ويحكم بشريعته ويقتل الدجال فينكره النصارى ويقتلهم ويقتل اليهود حتى يكلمه الحجر ويقول يا نبي الله هذا يهودي ورائي فاقتله وقد اخبرنا بهذا كله نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله والذى نفس محمد بيده ليوشكن ان ينزل فيكم المسيح بن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد ولا يقبل الا الاسلام وهو معدود في اصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم وقد عرف هذا الجماعة من اعلام النصارى وملوكهم الذين هداهم الله ومن عليهم باتباعه كالنجاشي ملك الحبشة حتى عد من الصحابة وصلى عليه نبينا صلى الله عليه وسلم يوم مات وهو بأرض الحبشة وهو احد من خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه الى الاسلام كما خاطب قيصر ملك الروم جد هذا الملك الذى لجات اليه وانت مقيم لديه ولقد كتب اليه يدعوه الى الاسلام فلما قرا كتابه ووعاه وكان عنده من العلم المكنون ما عنده سال من حضره من العرب عن صفاته واحواله

وسيرته وما يدعو اليه وما يامر به وما ينهى عنه فقال انه النبي المنتظر الذى بشر به عيسى وسيملك موضع قدمي هاتين وشاور ارباب دولته واهل ملته فى اتباعه فضجروا وحاصوا حيصة الحمر الوحشية فاتبعهم وساعدهم بخلا بملكه وحين بلغ خبره نبينا صلى الله عليه وسلم قال ضن اللئيم بملكه فلقد رسخت فى قلبه معرفة هذا الدين وفضله على سائر الاديان لكنه لم يسمح بملكه .

وبكل حال من الاحوال فهذا الدين الحنيفي هو الذى اختاره لله دينا وارتضى له نبينا امينا وجعله افضل الاديان قال الله سبحانه فى محكم القرآن : « ان الدين عند الله الاسلام » .. وقال تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين .. فمن امعن النظر واستعمل الفكر ووزن الاديان بميزان الحق والعدل عرف ان دين الاسلام هو الدين وان غيره كله لعب وعبث من لدن بعث الله نبينا الذى ختم به الانبياء وتقرر لديه انها كلها باطلة واهلها للنار .

وقد وقع اختبار الاديان وايهم افضل لبعض عقلاء النصارى وقد نظر فيما عليه المسلمون وفيما عليه النصارى وفيما عليه اليهود فاراد ان يختبرهم من جهة المعقول فاتى نصرانيا وقال له : اي الاديان افضل دين النصارى او دين اليهود او دين المسلمين فقال له النصراني دين النصارى افضل فقال له واي الدينين افضل دين اليهود او دين المسلمين فقال له النصراني دين المسلمين فاتى اليهودي وقال له اي الاديان افضل دين المسلمين او دين النصارى او دين اليهود فقال دين اليهود فقال وايهما احسن ادين النصارى ام دين المسلمين فقال له دين المسلمين فاتى المسلم وقال له اي الاديان افضل فقال له دين المسلمين فقال له واي الدينين افضل ادين اليهود او دين النصارى فقال له لا خير فيهما معا فالدين القويم هو دين المسلمين فعرف هذا النصراني المذكور بعقله ان الدين هو دين الاسلام وان ما سواه محض ضلال وان اليهود والنصارى ليسوا على شيء وقد وقع معنى هذا فى كتابنا قال الله عز وجل : « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب »

وها نحن قد املينا عليك نبذة من الاي القرآنية والاحاديث النبوية والدلائل المعقولة المطبقة على افضلية هذا الدين القويم وغيره كله انما هو فى سواء الجحيم وانت ان خممت مع راسك وفكرت فى نفسك واخترت الدار الآخرة على الدنيا ودخول الجنة على النار فانت عرفت سبيلهما فاتبع هذا الدين الحنيفي وانطق بالشهادتين فان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله دخل الجنة ولو قالها مرة فى عمره ويدخلها بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فان له فى اهل الكبائر والجرائم والدين نفذ الوعيد فيهم شفاعة عظمى خصه بها ربه فى الموقف العظيم والله ان انت اعتقدت هذا الاعتقاد ووفقك الله اليه وعملت‌ما عمل قيصر من اعتقاده بقلبه وتمنيه فى نفسه حتى تحمد ذلك حالا ومالا ان شاء الله فهذه المسالة الدينية التى نصحناك بها والمسالة الدنيوية هي اذا انت احببت الابقاء على دين الكفر فدين قومك الانجليز اخف وايسر عليك من عبادة الصليب ومتابعة الذين يجعلون لله الولد وينزهون عنه رهبانهم واي شيء رايت فى تغريبك عن وطنك وبعدك عن بلدك وخروجك عن ملة ابيك وجدك وتدينك بدين غير دين قومك وان كان الجميع على ضلال فدينكم انتم معشر الريكس ايسر من اولئكم المتوغلين فى الكفر وحتى امراتك الفرنسيسية التى كانت تحوزك على التعبد بدينها ها انت الآن افترقت معها فعلى ماذا انت باق فى جواز الفرنسيس تارك ملتك وادع ملك ابيك واخيك لغيرك بالافلامك يتملك على جنسك وانت بالحياة فوالله ما احببنا لداركم ولا لملكتكم يتولى رياستها الفلامك او غيره فالغ عنك ما تقدم بينك وبين قومك فان الصواب معهم فى الانكار عليك بسبب الدين الذي اختلفت معهم فيه واعتذر لهم وعاودهم وراجعهم ووالله لولا انا اناس عرب لا معرفة لنا بالبحر و كان عندنا من يحسن معرفته او نستوثق به فى الجيش ونطلقه فى يده حتى تكاتب الانجليز ونبعث لك من الجيش ما تدخل به عليهم وتتولى به ملكك

ولكن مسالة واحدة نعرفك اياها فحاول حتى تتصل من بلاد الفرنسيس واقصد لجوية بلاد البرتغال وها زوجة اخيك البرتغالية اليوم هنالك ولقد كان لها عند اهل ديوانكم وجه وكلام ومن هنالك تقرب المسافة بينك وبين قومك وتسهل عليك مناولة الكلام معهم لكن بحيث لا يكون للافرنسيس بك شعور واما اذا عرفوا منك فلا يتركونك ولا يطلقونك لمسالتين احداهما لا يريدونك تترك دينهم وترجع الى دين قومك والثانية يخافون انك اذا راجعت قومك ربما تعاديهم وتحاربهم لاسيما حيث عرفتهم

وعرفت عزة بلادهم والملوك دائما تحذر من مثل هذا
وقد نصحناك ورأيناك ما يليق بك فى دينك ووالله ما
نكره لك الهداية والرشاد .

وقد بلغنا انك تروم الوصول الى رومة فاياك
وان تحدث نفسك بشيء من ذلك فانك اذا دخلتها
تحتل بها ولا تطمع فى الخروج منها ولا فى ملك بعدها
ابدا فعلى كل حال ان انت راجعت قومك ودينك
تجدد معك ما كان بيننا وبين اخيك ووالله ما زال
خديمنا الذى كان عنده يذكر لنا من صوابه وخيره
ما أوجب مكاتبتنا لك بنصحنا وقد احببنا ان تكون
المودة والمراسلة بيننا وبينك فتنتفع بها على كل حال
ان شاء الله والسلام على من اتبع الهدى وكتب فى
النصف من شعبان المبارك عام تسعة ومائة والف .

« يتبـــع »

الرباط ــ الحسن السائح



صفحات مشرقة من جهاد ملك وشعب

ارشادات وتوجيهات نيرة لصاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثانى أيده الله

في القضــــاء والقضـــاة :

... أريد منكم ان تكونوا يقظين اكثر ما يمكن أن تكون اليقظة ، حتى تكونـوا قضاة ملائمين لروح العصـر الذى نعيـش فيـه ، ملائميـن للظروف والمعاملات التجارية والدوليـة والادارية التى يتعامـل بها المغـرب مع الـدول الصديقـة والشقيقـة ...

... ولا يعقـل مثـلا ، فى بلد اشتراكي ، ان تكون نزعة القاضي وأحكامه بالخصوص من الناحية المدنية ، او فى القوانين التجارية ، حكما مطبوعا بفلسفة الراسمالية . كما أن في بلد رأسمالـي يكون من التناقض أن يحكم القاضي بحكم اشتراكي مخالف للراسمالية ..

مسابقــة مــع الزمــن :

اننا اذن في مسابقة مع الزمن . وفى هذا السباق ، لابد ان نحسن الركض ، ونجيد العدو ، لنتدارك ما ضاع من وقتنا ، ونحاول أن نصل فى الميعاد مع القافلة السائــرة .

ان المجد لمرمى عسير ، لا يبلغه الا من اخذ له العدة ، وتدرع اليه بالوسائل الناجعة ، والاسباب التى لا تزيغ معها المرامي ، ولا تنحرف الاهداف .

ونحن مصممون العـزم على تحقيق الغايات التى وضعناها نصب اعيننـا ، وذلك لنضمن لكل مواطن حياة كريمة ، في جو ملؤه الرفاهية والحرية .

ان البنـاء لا يمكـن أن يتـم مرة واحدة ، وعلى أن السير دائما يكون آخره محمودا أكثر من اوله ... فلابد لنا اذن ان نفكر تفكيرا جيدا فيما سيقترحه علينا ضميرنــا .

اننا نجعل المواطنين امام المشاكل الحقيقية ، ونقول لهم هلموا واعملوا حتى يمكن ان ياتي عملكم بالنتيجة المتوخاة .

في القرن العشرين بمكننا ان نقول : ان المشاكل اصبحت بمثابة دروس . وذلك ان وجود المشاكل ليس مشكلا ، ولكن عدم حل المشاكل ، هو المشكل .

لن يرتاح لنا بال ، الا اذا عم تالرفاهية والازدهار ربوع مملكتنا ، وسادت فيها العدالة الاجتماعية التي كانت دائما في طليعة الاهداف المتوخاة من كفاحنا السياسي المرير .

ان الدولة ـ اية ما كانت امكانياتها ومجهوداتها ... لا يمكن ان تؤدي رسالتها ، وتحقق جميع ما ينتظر منها تحقيقه في ميادين البناء والتشييد ، الا اذا كان يؤازرها شعب مؤمن ، واع ، متحمس .

عدم الانحياز .. والغيرة على حرية الشعوب المكافحة :

... في اللحظات الراهنة التي يجتازها العالم المضطرب ، نرى ان أحسن وسيلة للتفاهم ، ووضع حد للتوتر ، هو أن تتبع الدول كبيرها وصغيرها ، سياسة عدم الانحياز ، حتى يمكنها ان تساهم بحظ وافر ، في بناء السلم ، والمودة في العالم ...

... ان الشعب المغربي الذي كافح ملكا وشعبا من أجل حريته واستقلاله ، والمحافظة على كرامته ، لا يمكنه بوجه وبحال ، ان يغفل عن الشعوب المكافحة في سبيل حريتها واستقلالها .

التشبع بالروح الاسلامية :

ان الديانة الاسلامية خليقة بان تكون اساسا للعمل في البناء ، لانها تنبني على فضيلة جماعية تعود بالنفع على الجميع ، وعلى المجتمع ...

... وأملي أن يبقى دائما هذا البلد الامين ، في طليعة الدول الاسلامية ، التي تحمي تراث الاسلام ، وتساير روح القرن العشرين .

... أريد أن أؤكد لك شعبي العزيز ، ان الديانة الاسلامية ، ليست ديانة عبادات فقط ، ولكن هي في الاول وبالتالي ديانة للتعامل والمعاملات ...

ذكرى ... واضطلاع بالمسؤوليات :

... تهيمن علينا وعليك ذكرى ذلك البطل الذي استرخص كل غال ونفيس ، ووهب حياته بسخاء ، في سبيل اعلاء شان وطنه ... لا يخشى لومة لائم ، ولا يهاب بطشا ولا مكرا ...

... بثباتك وصبرك ، وبتضحياتك بسلطانك وعرشك ، لقنت للمواطنين دروس التضحية والفداء ، ورسمت لهم طريق الحرية والسعادة والرخاء ...

فتسابقوا للمقاومة والتضحية ، وتنافسوا فى بذل المهج والارواح السنية ، وتساقطوا شهداء فى الميدان ، واسترخصوا كل غال فى سبيل الاوطان ...

... أعلن لك شعبي العزيز ، انني امسكت معتمدا على الله ، مقاليد الملك ، وتربعت على عرش اسلافي المنعمين ، تلبية للارادة الاجماعية التى تمثلت فى بيعتك لي وتنفيذا لعهد جلالة ملكنا المرحوم ، وارضاء للواجب الوطني المقدس .

الجيش المغربي ... مهد الاسود والابطال :

... ان جيشنا هو من الشعب ، وفى خدمة الشعب . ولذلك كان يسارع على الدوام ، الى الاستجابة تلقائيا ، وفى كرم وسخاء ، لنداء السكان ، حتى ولو تطلبت الاستجابة منه جزيل التضحيات ...

... ان جيشنا كان ولا يزال وفيا لمبادئه المثلى ، وقيمه السامية العليا ، متمسكا بتقاليده ، حريصا على تثبيت دعائم الامن والسلام ، شغوفا بالاسهام فى توطيد أركان الرخاء والازدهار ...

التخطيط الحكيم :

... تراقب حكومتنا باستمرار ، تطور مستوى الاثمان بغية ايجاد حلول عاجلة لتحسين دخل كل واحد ، دون مساس بالتوازن الاقتصادي والمالي ، الذى هو الاساس الذى تبنى عليه كل رفاهية دائمة ...

المغرب ولله الحمد بلد نامي أقل طبقية . فلا يمكن ان نقول بان عندنا طبقية. فالطبقة الغنية منا تحسب على رؤوس الاصابع بالنسبة للثروات الموجودة فى اوروبا وامريكا ...

... اننا نرسم ، ثم نخطط ، ثم نتخطى هنا وهناك وهنالك . ولكن لا يتأتى لنا هذا الرسم ولا هذا التخطيط ، ولا تلك الخطوات وتعددها ، والوصول الى الاهداف ، الا بتفهم مستمر بيننا وبينكم . لا ضرر ، ولا ضرار ، بل التوازن والميزان ...

... اما نحن فنخطط ، ونرسم الاهداف

وانتم من جهتكم تعملون ، وتكدون وتجتهدون يوميا . فما أحلى العمل ، اذا كانت النظريات مطابقة للواقع !...

... ليس بجائز لامة تحترم نفسها وتنشد العزة والرفعة ، ان يكون فيها اميون وجهال ...

... وان عالم الشغل ــ بما فيه من عملة وصناع وفلاحين ــ هو الذى يمسك بين يديه باكثر حظوظ المستقبل ، ويعرف كلمة السر التى تفضي الى حياة حافلة بالسعادة والرغد والهناء ...

... ان المغرب بحكم حداثته يتكون السواد الاعظم من سكانه ، من شبان لا تزيد أعمارهم على العشرين سنة . ولذا وجب اشراك شبان البلاد فى جميع شؤونها ، لتذكي فيهم تلك الحيوية التى اعوزتهم طيلة السنوات الاخيرة .

دور الرجـل والمـرأة :

لا نريد أن يقال ان المرأة المغربية كانت حية من سنة 1945 الى سنة 1955 ، ثم بعد ذلك نامت وتقلص ظلها وعملها وأثرها فى المجتمع ...

لقد لعبت المرأة فى التربية الوطنية والتعبئة الشعبية ، واذكاء جذوة الكفاح ... دورا لا يقل عن دور الرجل ... وكانت مشاركتها فى الكفاح الوطني مشاركة فعالة ، قربت ميعاد الظفر ، وعجلت بساعة الخلاص .

بنـاء مستقبـل المغـرب العربـي :

... أعتقد انه لا يمكن أن نبني مستقبل مغربنا على اسس موضوعية فحسب، وانما ينبغي ان نقيمها على المحبة والصداقة ، والثقة المتبادلة ...

فى نطاق الوحدة الافريقية : ــ المغرب يؤيد غينيا ــ :

جلالة الملك المعظم يعلن عن التأييد الكامل والمساندة الشاملة للشعب الغيني المناضل ، وذلك فى برقية تضامن بعث بها جلالته الى السيد احمد سيكوتـوري رئيس جمهورية غينيا جاء فيها :

لقد تلقينا باستنكار العدوان الذى ذهب ضحيته الشعب الغيني الشقيق .

اننا اذ ندين بقوة هذا الخرق الخطير لوحدة تراب غينيا ، نعتبره فى نفس الوقت ، مساسا بوحدة تراب افريقيا بأسرها ، كما نغتنم هذه الفرصة ، لنؤكد لكم تضامننا وتأييدنا غير المشروط .

وتقبلوا ياصاحب الفخامة مشاعر تقديرنا السامي »

وهذا مصداق لما جاء فى احدى الخطب الملكية السامية :

... ان الشعب المغربي الذى كافح ملكا وشعبا من اجل حريته واستقلاله ، والمحافظة على كرامته ، لا يمكنه بوجه او بحال ان يغفل عن الشعوب المكافحة فى سبيل حريتها واستقلالها ، بل هو عازم عزما أكيـدا على مساعدتهـا ، على نيل حريتـهـا ...

فى حفلة الولاء الكبرى .. اليوم الثالث من عيد الفطر السعيد :

نرجو من الله سبحانه وتعالى ان يشد آزر اخواننا العرب والمسلمين الذين يحاربون من آجل استرجـاع حريتهم وكرامتهم ، وأماكننا المقدسة .

هذا ، وبالنسبة للمغرب ، وطننا العزيز ، ان هذا العيد يكتسي صبغة خاصة ، حيث اننا لاول مرة نستقبل فيه اعضاء مجلس النواب .. وهكذا نكون قد زدنا الى المؤسسات الاخرى ، المؤسسات الدستورية التى كانت تنقص دستورنا منذ 1965 ، الا وهو مجلس النواب ... واننا اليقين بأن هذا المجلس الذى هو فى طور فتوته ونشاته ، والذى يحتاج ولا شك ككل المجالس النيابية ، الى شيء ما من التجربة والحنكة ، تلك التجربة وتلك الحنكة التى سيحصل عليها فى القريب العاجل ان شاء الله ، لا يخامرنا شك فى أن هذا المجلس سوف يثب بالجهاز الحكومي وثبة جديدة ، وسوف يتعامل مع جميع موظفي الدولة ، سواء أكانوا فى الحكومة ، او فى الناحية التشريعية ، حتى يعطوا لمدلول الديمقراطية ، المدلول الذى نريده لها ، الا وهو التشاور فى وضع الخطط ، وتحمل المسؤولية فردا او جماعة فى تطبيق تلك الخطة ...

في حفلة تقديم تهانيء العيد ، من لدن وفود الاقاليم والعمال والمنتخبين :

الاتصال الدائم المباشر يجعل الحوار اكثر فائدة فى جميع المستويات .

... لا يمكن ان يتخيل الانسان ان جميع المشاكل ستحل ، كان بيدنا خاتم سليمان بمجرد ما زدنا مؤسسة البرلمان ، على المؤسسات الدستورية الاخرى . ولكن من الطبيعي ، بل من المنطقي ان ننتظر ، وان حلولا جديدة ومجدية ، سوف تطل على المشاكل التى نواجهها .

دعوة كريمة ، الى البناء والتشييد :

ان اهتمامنا لم يكن قط منحصرا فى تهيئة أسباب الرقي المادي والازدهار الاقتصادي بمملكتنا ، ولكنه يشمل الجوانب الثقافية ، والاجتماعية ايضا .

... حذار حذار أن نقع فى مصيبة تجعل الشبان والمثقفين يفرون من المسؤوليات ومن خوض المعركة ، ومن التشمير عن سواعد الجد .

اننا ندعوهم جميعا ليقبلوا معنا ، وبجانبنا ، على أعمال البناء والتشييد .

بين المغرب ورومانيا :

1) فى مأدبة العشاء الملكية :

اننا نحارب الاستعمار كما تحاربونه فى جميع القارات ، وعلى جميع الاشكال ولقد نددنا كما نددت جميع الدول بسياسة الامر الواقع ، وطالبنا المحتلين بالخروج من الاراضي التى احتلوها ، وباعطاء الشعب الفلسطيني حقه المشروع فى تقرير مصيره »

« جلالة الحسن الثاني »

« اننا نؤيد انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية »

« ان جمهورية رومانيا الاشتراكية تعمل باستمرار على توسيع علاقاتها التقليدية مع البلدان العربية . وقد ابدى بلدنا دائما تضامنه الفعلي مع الكفاح العادل الذى تخوضه الشعوب العربية ضد الامبريالية والاستعمار الجديد للدفاع عن حريتها ، وسيادتها القومية » .

« الرئيس تشاو سيسكو »

2) في مادبة العشاء التى أقامها الرئيس الروماني ، على شرف صاحب الجلالة :

ليست هناك بلدان كبيرة الا بقدر مساهمتها عن طريق السلام في تدعيم الحضارة ... انني على يقين بأن بلدينا معا سيحققان في المستقبل تعاونا وثيقا »

« جلالة الحسن الثاني »

« رغم كل الصعوبات التى ما زالت تعاني منها بعض دول العالم ، فان قضية التعاون والسلام ستنتصر ، وسيسود التعاون السلمي سائر الشعوب ... وبهذه الروح ، روح التعاون ، نريد تنمية علاقاتنا مع المغرب .

لقد توصلنا خلال المحادثات التى أجريتها مع جلالة الحسن الثاني الى وفاق مشترك بوجود امكانيات لتحقيق تعاون متعدد الاشكال بين البلدين .

« الرئيس تشاو سيسكو »

3) الرئيس تشاو سيسكو في زيارة البرلمان :

« ان الخطب والتصريحات التى واكبت زيارتكم الميمونة لبلدنا ، اكدت كلها اتفاق وجهات النظر الرسمية بين الطرفين ، مما يجعلنا نتيقن من مساهمة زيارتكم هذه في تدعيم اواصر الصداقة التى طبعت علاقاتنا المشتركة ، منذ ان التحقت مملكة المغرب ، بحظيرة الامم المستقلة ، وارتبطت مع بلادكم بعلاقات ديبلوماسية لم تفتا تتقوى في نطاق التعاون المشترك ، والاحترام المتبادل . »

« رئيس مجلس النواب الاستاذ عبد الهادي بوطالب »

« ان الشعب الروماني الذى قاسى لمدة طويلة ويلات السيطرة الاجنبية ، والضغط الامبريالي ، ليقف بكل قواه ضد الاستعمار القديم والجديد ، وضد السياسة الامبريالية المتدخلة في الشؤون الداخلية للدول الاخرى ...

اننا نكن للشعوب العربية عواطف الصداقة الخالصة ... واريد من أعلى هذه المنصة ان أؤكد موقف رومانيا من نزاع الشرق الاوسط . واننا لنعتبر ان قرار مجلس الامن الصادر في سنة 1967 ، وكذا القرار الاخير للجمعية العامة للامم المتحدة ، يشكلان قاعدة معقولة لتسوية سلمية للنزاع ولتوفير السلام بهذه المنطقة ...

لقد اتيحت لي في هذه الايام الاخيرة الفرصة السعيدة للتعرف على مظاهر الحياة والعمل لشعبكم . وسنحمل معنا انبل الشعور حول ما يظهره الشعب المغربي من مثابرة وجدية في العمل المتواصل البناء » .

« الرئيس تشاو سيسكو »

الرئيس سيكوتوري في شكره لجلالة الملك :

ان روح الحماس والفعالية التي تدخل بها وفدكم في مداولات لاغوس ، لمستوحاه من وعي وضمير القارة الافريقية كلها ، أمام الهجوم الغادر عليها »

الجمعة 19 شوال 1390 هـ
الموافق 18 دجنبر 1970 م

في اعقاب اللقاء الفرنسي المغربي :

لقد تناولت المحادثات العلاقات الثنائية والوضع العالمي . وصدر على اثر الزيارة الرسمية التي قام بها السيد موريس شومان وزير الخارجية الفرنسية للمغرب ، بلاغ مشترك مغربي فرنسي ، أشار فيما أشار اليه ، الى « ان هذا اللقاء يفتح الآفاق الواسعة أمام تعاون البلدين في مختلف الميادين ».

الاحد 21 شوال 1390 هـ
الموافق 20 دجنبر 1970 م

« لو كنت فرنسيا مقيما بالمغرب ، لعلمت أطفالي التكلم بالعربية ، حتى يتم التعاون الثقافي بيننا » .

من تصريح للسيد موريس شومان في الندوة الصحافية التي عقدها بمطار الدار البيضاء ، قبيل مغادرته المغرب .

مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي المنعقد في كراتشي :

الدكتور يوسف بلعباس يقوم بنشاط هام في جلسات المؤتمر ، ويؤكد العزم على تحرير الاراضي العربية من السيطرة الاسرائيلية ، ويطالب بوضع ميثاق اسلامي يحدد المبادىء الاساسية .

يوم الاثنين 29 شوال 1390 هـ
الموافق 27 دجنبر 1970 م

فى مؤتمر القمة الافريقي ، وفى مؤتمر الذروة لعدم الانحياز :

توجه الاستاذ عبد الهادي بوطالب الى اديس ابابا لتمثيل جلالة الملك المعظم فى مؤتمر القمة الافريقي ، يوم الاثنين 29 جمادى الثانية 1390 هـ الموافق 31 غشت 1970 م . ويكفي دليلا على اهمية هذا المؤتمر ان السيد طانت الامين العام للامم المتحدة، قال فيه : « الاعمال التى يقوم بها نظام الاقلية فى روديسيا ، عارية من كل صلاحية قانونية = الوضع المتدهور فى افريقيا الجنوبية ، لا يقلق فقط الدول الافريقية المستقلة ، بل وكذلك اعضاء الامم المتحدة »

كما مثل السيد بوطالب المغرب ايضا فى مؤتمر الذروة لدول عدم الانحياز المنعقد فى لوسكا من 8 الى 10 سبتمبر 1970 ، حيث قال على الخصوص : « ان التقلبات التى شهدها العالم خلال السنوات الاخيرة ، تدعونا الى توحيد الصف ، وتكميل الانسجام » .

فى مقابلة الاذاعة والتلفزة مع الرئيس السينغالي ليوبولد سينغور :

ـ ان التعاون بين المغرب والسينغال له قيمة مثالية . ذلك اننا نرسم الطريق لما يجب ان يكون عليه التعاون من أجل تحقيق الوحدة الافريقية .

ـ الدورة الاخيرة لمنظمة الوحدة الافريقية ، كانت دورة هامة ، سجلت تحولا فى تاريخ الافريقيا .

ـ صاحب الجلالة الحسن الثاني شاعر بطبعه ، وهو رجل متقف خير ثقافة ، وله ذوق سليم فى التعبير .

لقاء نواديبو التاريخي :

لقاء الاخوة والتضامن والتنسيق بين اقطاب المغرب والجزائر وموريطانيا :

قال فى حقه السيد قاسم الزهيري سفير المغرب فى نواكشوط : « ان هذا المؤتمر يأتي بعد اجتماعات ايفران وتلمسان والدار البيضاء ، وانه يتجاوز الاطار الثنائي ، ليتخذ شكل تعاون اقليمي . وان الهدف منه هو تنسيق الجهود من لدن الدول الثلاث لتحرير ما تبقى من أجزاء الصحراء ، من رواسب الاستعمار . وسيكون بدون شك ، عاملا مهما فى التعجيل بتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب . والامل وطيد ان تنصاع اسبانيا فى النهاية الى جانب الحكمة فى معالجة هذه المشكلة ، حفاظا على علاقاتها مع البلدان الثلاثة . »

يوم الاثنين 12 رجب 1390 هـ
الموافق 14 سبتمبر 1970 م

موت جمال عبد الناصر : مصاب عظيم حل بالامة العربية :

لقد كان لوفاة رئيس الج. ع. م ابلغ الاثر فى نفسنا . ولم يكن التاثر الذى شعرنا به عندما تلقينا نبا انتقاله الى جوار ربه ، من قبيل ما يتاثر به رؤساء

الدول عادة ، في مثل هذه المناسبات ، وانما هو تأثر صادر عما كان يجمع بيننا من عرى الصداقة الناشئة عن المواقف التي وقفها الرئيس المغفور له ، يوم ابعد جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه واسرته ، عن الوطـن العزيز ، وما اظهره من نبيـل العواطف نحو عرش المملكة المغربية .

ولقد استطاع الرئيس جمال عبد الناصر ، بما بذله من نشاط دائب ، وجهد متواصل ، ان يحمل الجميع على ان يقيموا الاوزان للعرب ويعاملوهم بما يستحقون من اعتبار واحترام ... وبالاضافة الى هذا ، فان الرئيس الراحـل تغمـده الله بواسع رحمته ، كانت له الكلمة المسموعـة في الاجتماعـات التي كان يعقدها في مستوى القمة للملوك والرؤساء .

ولا شك ان انتقاله الى جوار ربه ، سيحدث فراغا ملموسا ، عندما يجتمـع رؤساء الدول في المستقبل »

الحسـن الثاني
يوم الثلاثاء 27 رجب عام 1390 هـ
المـوافـق 29 سبتمبر 1970 م

البـلاغ المشتـرك المغربـي الجزائـري :

– تطور ايجابي في العلاقات المغربية الجزائرية

– البلدان الشقيقان يعربان عن أسفهما لما يجري الآن في الاردن ، ويؤكدان من جديد تأييدهما التام للمقاومة الفلسطينية .

المحمديـة – في 17 رجـب 1390 هـ
المـوافـق 19 سبتمبر 1970 م

– اهتمام كبير بالمبادرة الملكية حول الشرق الاوسط

– الاوساط الدولية والعربية والعالم الثالث تؤيد المبادرة

– طانت : مبادرة صاحب الجلالة جاءت في الوقت المناسب

– المصمودي : تونس متفقة تمام الاتفاق مع صاحب الجلالة الحسن الثاني

نـص الرسالـة الملكيـة :

صاحب الجلالة او صاحب الفخامة ،

ستصل فترة وقف اطلاق النار في الشرق الاوسط الى نهايتها في الخامس من شهر فبراير القادم ، دون ان تفلح الجهود التي يبذلها الدكتور غونار يارينـغ في تطبيق القرارات التي اتخذتها الجمعيـة العامـة للامم المتحدة في هذا الشان والتي اكدت ضرورة انسحاب الجيوش الاسرائيلية من كل الاراضي المحتلة ، وقرار الجمعية العامة المتخذة بتاريخ 5 نوفمبر 1970 ، كما اقرت للشعب الفلسطينـي حقه في تقرير مصيره – قرار الجمعية العامة المتخذ بتاريخ 5 ديسمبر 1970 .

وأمام اقتراب انتهاء فترة وقف اطلاق النار فى الشرق الاوسط ، وخطورة النتائج التى ستترتب على عدم تنفيذ هذه القرارات ، فاننا نهيب بالدول الاربع الكبرى التى تقع على كاهلها مسؤولية عظمى فى الحفاظ على السلام والامن الدوليين ، ونناشد جميع الدول الاعضاء فى منظمة الامم المتحدة ، ان لا تدخر وسعا لضمان تطبيق فوري لقرارات الامم المتحدة الخاصة بالشرق الاوسط .

اننا لنرجو من فخامتكم أن تتفضلوا بمشاركتنا مساعينا ، وان توعزوا لمندوبيتكم لدى هيئة الامم للقيام بكل المساعي المجدية لدى السيد الامين العام ، ولدى مجلس الامن الدولي ، لوضع حد لهذه الازمة التى تهدد السلام العالمي .

وانه لا يمكن اعطاء القرارات التى اتخذت بشأن قضية الشرق الاوسط ، محتوى ايجابيا الا عن طريق تظافر عمل مشترك ومتواصل ، الامر الذى سيؤول الى تقوية منظمتنا والحفاظ على هيبتها التى اخذت تضعف من عدم تنفيذ القرارات والتوصيات المتخذة فى هذا الشأن .

. . . .





ان من ابرز المميزات التي تمتاز بها الدولة العلوية الشريفة تشجيعها للعلم والعلماء على العموم والعلوم القرآنية على الخصوص .

وان التاريخ ليشهد ان من بين العلوم القرآنية التي حازت قصب السبق عند الملوك العلويين الاماجد هي القراءات القرآنية .

ولقد علموا ـ وقد كانوا رضي الله عنهم جميعهم اصحاب فن ودراية ورواية في الموضوع ـ ان المغرب يمتاز عن غيره من البلاد الاسلامية بتمسكه الشديد بضبط القراءات والاحتفاظ عليها ، فعملوا بكل ما يملكون من الوسائل على المحافظة على هذه الدروح العلمية النشيطة في ميدان هو من اشد الميدان التصاقا بمقومات هذا الدين الحنيف .

كما علموا ان المغربي يمتاز في قراءته بمميزات اهمها انه يحفظ القرآن عن ظهر قلب بالقراءات السبع .

يقدم المغاربة البرهان على ذلك فيقرأون الكتاب الكريم بالجمع والارداف مدخلين في ترتيلهم الجماعي كل روايات القراء السبع المذكور بالترتيب الذي يبهر والذي يتقنه الاتقان العلمي الصحيح ، ولا يتقنه ولن يتقنه أبد الابدين الا المغاربة المقرئون .

كما علموا ـ رضي الله عنهم ـ ان المغاربة برعوا دون سواهم ، بل اخترعوا علم الرموز القرآنية الذي سهل بشكل لم يخطر على بال احد هذا الجمع والارداف .

ولقد كان من الصعب ان يقرا القارىء القرآن عن ظهر قلب بالروايات السبع دون الاعتماد على الرموز التي يعود ، اكررها مرة اخرى ، الفضل في اختراعها الى المقرئين المغاربة .

وان المقرئين المغاربة ليستطيعون ان يقرأوا القرآن بالروايات السبع ، جمعا وارداقا ، كما يستطيعون ان يقراوه باحدى الروايات السبع ، مطبقين قواعد الرواية التي تعنيهم تطبيقا يعجز اللسان عن وصفه .

لذا احدث المغاربة ـ بتشجيع في كثير من الاحيان من الدولة العلوية الشريفة ـ الرموز لكل رواية على حدة او رموزا جمعت الروايات السبع ، بل ان بعضهم استطاع نظم رموز للروايات العشر جمعا وافرادا .

وما كان لهؤلاء المقرئين المغاربة ان يبرعوا في ذلك لولا تشجيع كبير ، وعطف عظيم ، ورعاية شاملة من ملوكنا العلويين الاماجد .

ولن يكون صعبا علينا ان نقدم الادلة والامثلة ، وما اعتقد ان احدا من الباحثين المغاربة ينتظر ذلك فهذا معروف عندهم ، ولن تزيد امثلتنا وادلتنا في علمهم ذا شيئا ؛ وانما ارغب في ان انبه ـ ولا اعطيه كمثال ـ الى ان تفسير القرآن الكريم المسمى بالبحر المحيط لمؤلفه اثير الدين ابي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي

الجياني المولود سنة 654 هـ والمتوفى بالقاهرة سنة 754 هـ ما كان له أن يرى النور لولا همة السلطان العلوي مولاي عبد الحفيظ الذي امر بطبعه من ماله الخاص .

جاء في الصفحة الاولى من هذا التفسير المطبوع بامره الشريف :

« طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى جلالة امير المؤمنين وحامي حوزة الدين فرع الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا عبد الحفيظ ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد خلد الله ملكه .

بتوكيل الحاج بن العياشي بن شقرون خديم المقام العالي بالله الآن بثغر طنجة ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج عبد السلام ابن شقرون » .

وكانت الطبعة الاولى لهذا الكتاب الجليل بمصر سنة 1328 هـ ، وانما ذكرت هذا التفسير دون سواه لانه يعد زيادة على التفسير مرجعا مهما في علم القراءات .

ان أبا حيان لا يترك فرصة تمر دون ان يذكر وجوه هذه القراءات ، بل يذهب اكثر من ذلك حين كلف نفسه تقديم التعليل ، كما انه يذكر الشاذة منها ويصدر حكمه فيها .

ولا عجب ما دام ابن حيان يعد من المقرئين العظام ، وابسط حجة يمكن ان اقدمها دليلا على باعه الطويل في هذا العلم عرض اسماء مؤلفات هذا المقرىء الكبير .

— 1 رشح النفع في القراءات السبع
— 2 المورد الغمر في قراءة ابي عمرو
— 3 عقود اللآلي في القراءات السبع العوالي
— 4 غاية المطلوب في قراءة ابي يعقوب
— 5 الاثير في قراءة ابن كثير
— 6 كتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء .

ان طبع البحر المحيط اعاد لعلم القراءات بالمغرب مجدها وبواها المقام الذي يجب أن تحتله دائما .

لقد طبع بهامش الكتاب كتابان جليلان هما : « النهر الماد من البحر » وهو لأبي حيان ايضا ، وكتاب « الدر اللقيط من البحر المحيط » لتلميذ ابي حيان تاج الدين أبي محمد احمد بن عبد القادر بن احمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة 682 ، والمتوفى سنة 749 هـ .

ورغم ان طبع هذا الكتاب الجليل افاد علم القراءات فائدة لا تحصى فان مرجعا من مرجعيه الاساسيين في هذا العلم بقي في عالم الغيب ينتظر الهمة العالية ، واليد السخية ، والقلب الكبير ليرى النور .

أما مرجعه الاول فهو الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للامام محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة 528هـ.

واما هذا الذي بقي في طي الخفاء ينتظر من يبعثه من جديد نورا وضاء ينير عقول العلماء والباحثين فهو تفسير ابن عطية المسمى بالمحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز .

ما من شك أن مولانا امير المؤمنين حامي حمى الملة والدين شعر بذلك واحب الا يترك اصلا من أصول هذا العلم بالمغرب في غير متناول الباحثين المحبين للعلم ، فأبى حفظه الله الا ان يضيف ماثرة اخرى الى مآثره العديدة بانجازه لهذا العمل الذي سيخلد ان شاء الله ذكره في الخالدين .

ان قارىء تفسير أبي حيان لا يستطيع ان يكون فكرة صحيحة سليمة في علم القراءات تعتمد على أصول علمية سليمة الا اذا أتيح له ان يقرا الكشاف والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لمؤلفه ابي محمد عبد الحق بن غالب المحاربي الشهير بابن عطية المتوفى سنة 546 هـ .

لذا أمر مولانا امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله بطبع هذا الكتاب وكلف اعزه الله علماء مغاربة اجلاء بانجاز هذا العمل ، بعد أن حثهم ، وحث المغاربة معهم أجمعين في أحد أحاديثه الدينية الرمضانية على الاهتمام بهذا المؤلف النفيس الذي ، ولا شك ، توجد نسخ منه في خزانة القصر الملكي العامر ، كما توجد منه نسخة عجيبة بالخزانة العامة بمدينة تطوان تحت الارقام : 629 — 630 — 631 — 632 — 633 وهي النسخ التي طلبت اخيرا وزارة الاوقاف نظيرا منها باعانة المصالح الفوتوغرافية بخزانة الوثائق بالرباط .

كما توجد نسخة من الجزء الثالث منه بالخزانة العامة بمدينة مكناس تحت رقم 120 وهي نسخة فريدة من نوعها لانها تحمل وثيقة التحبيس التي كتبها المحبس نفسه السلطان احمد المنصور الذهبي بتاريخ ذي القعدة عام 8 هجرية . الا ان هذا التحبيس وقع لجامعة القرويين . ولا شك ان لوجوده بخزانة مكناس اسباب وتاريخ لعل الله ييسر فاتعرض لهما مستقبلا بالشرح والتوضيح .

انا لا يخامرني شك في ان اللجنة التي كلفها امير المؤمنين ستقوم بعملها احسن قيام ممتثلة تعاليمه السامية اعزه الله ، ولا يخامرني ادنى شك ايضا في ان من بين تعاليمه ان يكون الاصل وهو « المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز » كالفرع الذي هو « البحر المحيط » او اكثر اتقانا واحسن تحقيقا.

ولقد اثنى ابن حيان الثناء العاطر على الاصلين اللذين جعلهما مرجعا لتفسيره « البحر المحيط » . وقال مثنيا عليهما : « وهذا ابو القاسم محمود بن عمر المشرقي الخوارزي الزمخشري وابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي المغربي الغرناطي اجل من صنف في علم التفسير ، وافضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير ، وقد اشتهر كاشتهار الشمس وخلدا في الاحياء وان هذا في الرمس ، وكلاهما فيه يدل على تقدمهما في علوم من منثور ومنظوم ومنقول ومفهوم وتقلب في فنون الآداب ، وتمكن من علمي المعاني والاعراب ، وفي خطبتي كتابيهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدل على انهما فارسا ميدان وممارسا فصاحة وبيان » ، ثم قال بعد ذلك : « ولما كان كتابهما في التفسير قد انجدا واغارا واشرقا في سماء هذا العلم بدرين وانارا وتنزلا من الكتب التفسيرية منزلة الانسان من العين والذهب الابريز من اللجين ويتيمة الدر من اللآلي وليلة القدر من الليالي، فعكف الناس شرقا وغربا عليهما وثنوا عنه الاعتناء اليهما ، وكان فيهما على جلالتهما مجال الانتقاد ذوي التبريز ومسرح للتحبيل فيهما والتمييز ثنيت اليهما عنان الانتقاد وحللت ما تخيل الناس فيهما من الاعتقاد، انهما في التفسير الغاية التي لا تدرك ، والسلوك الوعر الذي لا يكاد يسلك ، وعرضتهما على محك النظر واوريت فيهما نار الفكر حتى خلص دسيسهما وبرز نفيسهما وسيرى ذلك من هو للنظر اهل واجتمع فيه انصاف وعدل (1) » .

لهذا كله اصدر مولاي الامام امره المطاع باحياء هذا التراث الذي سيضيف ان شاء الله الى المكتبة المغربية الاسلامية تراثا نفيسا لا غنى للباحث عنه ــ سيما المهتم بالقراءات القرآنية ، الوله بها ، الشغوف بدراستها .

وزيادة على احياء هذا التراث فان امير المؤمنين قد امر ادام الله عزه ونصره بانشاء مدارس للاقراء تحيي هذا التراث الغالي الذي كاد يندثر .

وهكذا انشأت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مدرسة القراءات بسيدي الزوين يسيرها بكفاءة نادرة استاذان جليلان خبيران بهذا العلم وهما يتقنان القراءات السبع اتقانا لا مثيل له ، كما انهما يستطيعان ان يقرآ وهما يستعينان بكتاب رموز القراءات العشر ايضا .

كما انشأت هذه الوزارة نفسها مدرسة القراءات السبع بباب العقلة بتطوان ، وان الطلبة الذين يتابعون الدراسة هناك يستفيدون استفادة عظيمة ، وان الامل لمعقود في انها ستحاول ادخال تدريس احد الكتب السبع ليوسع الطلبة افقهم في هذا العلم الشريف .

كما انشأت هذه الوزارة مدرسة للقراءات السبع في دار ازهيرو بطنجة آمل انها تتقدم اكثر بفضل توجيهات الخبراء بهذه الوزارة .

وان مأثرة اخرى خلدها في علم القراءات ملوكنا العلويون وواصلها برعايته مولانا امير المؤمنين الحسن الثاني رعاه الله هو تنظيم ما يسمى بالحزب للقراءات السبع الذي اسسه ملوكنا العلويين في كل مسجد كبير من المملكة الشريفة .

وان حزب القراءات السبع الذي ينتظم في كل يوم جمعة بالمسجد الاعظم بمكناس منه يسمى بالعنزة تحت رئاسة الشيخ المقرىء السيد ابراهيم الهلالي ليعد بحق تحفة من التحف التي تباهي بها دول العالم الاسلامي .

ان سر مواصلة هذه الاعمال الجليلة في القراءات رغم قلة المقبلين عليها ، ليرجع الفضل فيه الى باحث هذه الامة في كل الميادين مولانا الحسن الثاني نصره الله .

البهاليل : الراجي التهامي الهاشمي

---

(1) البحر المحيط الجزء الاول ، الصفحات : 8 ، 9 و 10 .



عرفت اقطار المغرب العربي فى النصف الثاني من القرن الهجري الحادي عشر (القرن 17 للميلاد) بداية عهد من الاستقرار السياسي والتنظيم الاجتماعي ، بعد فترات الاضطراب غير القصيرة التى عاشها تبعا لتطور الاحداث الداخلية والخارجية ، ففى المغرب الاقصى تمركزت الدولة العلوية بعد ان قضت على امراء الزوايا معيدة بذلك للبلاد الوحدة المفتقدة طوال عقود من السنين ، وفى الاقطار الشقيقة تاقلمت السلطات التركية المستقرة فيها . فقامت دول محلية لم يعد لها كبير علاقة بالباب العالي .

فـى ليبيـا :

بعد ان قضت البلاد الليبية زهاء قرن تحت السيطرة العثمانية اخذت تظهر فيها بوادر التبرم من هذه التبعية ، وكان من بين الناقمين على الوضع عدد من الاتراك الذين تجري فى شرايينهم الدماء التركية ـ الليبية ، فاخذوا يتجاهلون سلطة اسطمبول البعيدة عنهم ويعملون جاهدين على التخلص منها . وساعد على تفكك عرى الاتصال :

1) ضعف العثمانيين انفسهم ، فقد تعاقب على كرسي الخلافة فى القرن 17 عشرة من السلاطين لم يدم بعضهم فى الملك الا بضع سنوات او بضعة اشهر (مثلا مصطفى خان الاول 1617 عزل بعد 3 اشهر ثم اعيد سنة 1622 ليحكم 16 شهرا) وحتى السلاطين الذين طالت مدة حكمهم كاحمد خان الاول ـ 14 سنة ـ (1603 ـ 1617) ومراد خان الرابع ـ 16 سنة (1623 ـ 1638) ومحمد خان الرابع ـ 41 سنة ـ (1648 ـ 1688) لم تكن لهم كفاية خلفاء القرنين السابقين ولا حماسهم ، ولم يقوموا بعمل ايجابي حاسم فى الداخل او الخارج لوقف تيار الانحلال الذي اخذ يجرف على مهل الامبراطورية العثمانية الى الاضطراب والعجز والتفكك .

2) استغناء ولاة ليبيا واستخدامهم قوات برية وبحرية كافية لتثبيت نفوذهم فى الداخل ومدافعة مناوئيهم من الخارج ، بالاضافة الى العادات التى اكتسبها الجند ورؤساؤه ـ مع تعاقب الاجيال ـ بتنفيذ اوامر الوالي المحلي واعتباره المصدر الوحيد للسلطة فى البلاد ، او بالتشغيب والتصرف حسبما تقتضيه الظروف والاهواء عندما تنتقل السلطة الى يد حاكم عاجز .

وقد اكتسبت ليبيا اهميتها فى هذا العصر بسبب عاملين احدهما قديم وهو موقعها الستراتيجي على طرق تجارية بحرية وبرية . فمن طرابلس يذهب طريق بحري قصير الى اوربا مارا بجزيرتي مالطة وصقلية . وتتفرع منها ثلاث طرق برية للقوافل الصحراوية تتجه اولا جنوبا عبر واحة فزان الى بحيرة تشاد ، والثانية تتجه الى الجنوب الغربي لتصل الى تمبكتو ، والثالثة الى الجنوب الشرقي لتفضي الى السودان .

هذا الملتقى الهام جعل من ليبيا وعاصمتها طرابلس مركزا تجاريا هاما يتلقى ذهب السودان ورقيقه ويمد اوربا بما تحتاج منه لينقل كذلك المصنوعات الاوربية الى داخل افريقيا .

والعامل الثاني حديث وهو تكاثر اسطول الجهاد او القرصنة ، خصوصا وان ليبيا بمتد ساحلها البحري على مسافة حوالي الف ميل من خليج السلوم بالحدود المصرية الى قرب جزيرة جربة جنوبي تونس . وقد تفاقم امر القرصنة الليبية فى القرن 17 واصبحت سيفا مصلتا على السفن التجارية الاوربية وبخاصة الاسبانية والانجليزية . فكم من قوافل بحرية اعترضها قراصنة ليبيا واستولوا على بضائعها ورجالها فاسترقوهم وباعوهم فى اسواق النخاسة المشهورة بطرابلس . فكانت الثروات التى يحصل عليها الاسطول القرصي خيالية تغرق فى الترف والبذخ كل من الولاة واعوانهم ورجال البحرية والوسطاء من التجار.

ومن اهم ولاة هذه الفترة محمد باشا الساكزلي (1042 – 1059 / 1632 – 1649) وهو رومي الاصل ، اسلم وخدم فى اسطول الجزائر قبل ان يلتحق بطرابلس ويتولى قيادة قواتها البحرية . وقد اقره السلطان مراد خان الرابع وبعث اليه بالفرمان « فنهض باعباء لايالة وبعث العمال وبسط فى الناس العدل ودانت له القاصية » – تاريخ النائب الانصاري – ولم يشتك الناس فى عهده الا من الضرائب التى فرضها على اشجار الزيتون والنخيل والرسوم الجمركية على البضائع المستوردة والمصدرة ، فكثرت مداخيله ونظم الجيش البري ونشر الامن فى البلاد وقضى على الثوار المستبدين بالاطراف ولاسيما حكام فزان. حاربهم مرارا وارغمهم على الفرار الى السودان ، واخيرا تنازل الامير محمد بن جهيم وطلب الدخول فى الجماعة فاقره محمد باشا عاملا على اقليم فزان . وقد اختار الليبيون بعد ذلك عثمان باشا الساكزلي الذى ستطول ولايته زهاء ربع قرن (1059 – 1083 / 1649 – 1672) والذى سيأتيه فرمان السلطان محمد خان الرابع بعد سنة من توليته وسيكتفي عثمان باشا بالغنائم البحرية والاعشار الاعتيادية فيبطل الضرائب والرسوم الجمركية التى كان فرضها سلفه ، ويرتب للقضاة اجورا بدلا من المبالغ التى كانوا يتقاضونها بنسبة معينة من التركات.

ويؤسس مسجدا ومدرسة للعلوم يوقف عليها اوقافا جمة للانفاق على الطلبة . ويبلغ عدد الاساطيل الجهادية فى عهده 24 على درجة كبيرة من الاتقان والسلاح ، كانت لها الهيمنة المطلقة فى الحوض الغربي للبحر المتوسط . وفى اواخر عهد عثمان باشا اشتد حرصه على الدنيا اخذ يتبع طرقا شاذة لاكتناز الاموال فيفرض على التجار شراء البضائع المتمونة باثمان غالية تجعل صفقاتهم خاسرة . ويلزم الناس باداء ضرائب مرتفعة . ساعيا بذلك الى حتفه بظلفه. وسيختار الليبيون بدله محمد باشا شايب العين 1098 – 1112/1687 – 1700)ويقره السلطان محمد خان الرابع فينصرف الى اعادة الامن الى نصابه والضرب على أيدي الباغين من العمال قبل ان ينظر فى المصالح العمرانية فيشيد المسجد الكبير بطرابلس وسوق الترك المتصلة به ويستصلح الاسوار والحصون والقلاع ويعيد تنظيم الجيش فى البر والبحر ، فتعود الغنائم تترى على مرسى طرابلس .

ورغم الحزم الذى ابداه محمد باشا طوال حكمه والكفاية السياسية والحربية التى كانت له فقد اختلف عليه الجند فى النهاية واسروه ثم امنوه على ان يغادر طرابلس فسار الى القسطنطينية معزولا ، وسيكون طرد الوالي بهذه الصفة الى القسطنطينية بالذات وانعدام اي رد فعل من الباب العالي بداية النهاية لانفصال ليبيا التام عن سلطة الخلافة العثمانية . فقد اسفرت ثورة على القرمانلي عام 1123 / 1711 ، التى ساندها كل من اقربائه الكولوغليين والاهالي الليبيين عن تأسس الدولة القرمانلية التى ستحكم البلاد الليبية طوال 125 سنة .

فى تونس :

بعد الطاعون الجارف (وباء بوريشة) الذى اجتاح تونس فى اوائل القرن الهجري الحادي عشر (القرن 17 للميلاد) حتى اقفرت البلاد وخلت المدن والقرى ، جاءت الجالية الاندلسية الكبرى على اثر قرار الطرد النهائي الذى اتخذه فى حقهم فيليب الثالث (1016 – 1018 / 1607 – 1609) ؛ فأحسن عثمان داي وفادتهم وحث التونسيين على اكرامهم ، واقطعهم ما اختاروا من الاراضي – وكان اكثرها خاليا على اثر الوباء الاخير – فجدد الاندلسيون معالم العاصمة وبنوا فيها حيهم **المعروف** (بحومة الاندلس) وجامعها الكبير وشيدوا المدرسة

الاندلسية قرب ضريح سيدي يونس ، واخذ علماؤهم يشتغلون فيها بالتدريس ، ومنهم الشيخ شعبان الاندلسي الذى تخرج على يده كثير من الفقهاء التونسيين والاندلسيين . واسس الاندلسيون مدنا جديدة عمروها ، منها سليمان ، وبلي ، ونيانو وقرنبالية ، والجديدة وزغوان ، وقرسيش الواد ، ومجاز الباب ، وتستور ، والسلوقية ، والعالية . . وقد شجع الاندلسيون ما لاقوه من التونسيين وحاكمهم فراحوا يعملون بنشاط فى مختلف الميادين الزراعية والصناعية والتجارية والبحرية . وقد مهدوا طرقا بين المدن لمرور العربات (عجلات الكريطة) التى اخذوا يصنعونها ويستعملونها فى تنقلاتهم ، وشجعهم عثمان داي على الاشتغال بصناعة (الشاشية) التى كانت تصدر الى بلدان كثيرة ، ونظم شيخ الاندلس فى جملة الاعيان بالديوان ، ولم يمض وقت قصير حتى اندمج هذا العنصر النشيط فى الحياة العامة وعوض البلاد ما فقدته من رجال واموال فى نكباتها السابقة .

وقد خلف عثمان داي صهره يوسف داي (1019 – 1047 / 1610 – 1637) وكان مثله حزما وعزما بالاضافة الى مزيد من التمسك بالدين حتى وصفوه بالولاية وقضى عهده الطويل فى الحكم فى تشييد المعالم العمرانية ذات الصبغة الاجتماعية فاسس الجامع اليوسفي سنة 1021 / 1612 ، والمدرسة اليوسفية وما حولهما من الاسواق انتدب علماء للتدريس فيهما ورتب لهم اجورا وللطلبة ارزاقا تساعدهم على الدراسة ، وبنى القناطر والثكنات للجند والحصن العظيم فى بنزرت وحصونا بغيرها . وسعى الى تكثير عدد الجنود والزيادة فى ارزاقهم عندما تحسنت الجباية بالضرائب والمغانم ، واسترجع جزيرة جربة من يد الطرابلسيين وبذلك استقرت الحدود الجنوبية لتونس ، ودافع حاكم الجزائر الذى كان يتوسع فى الحدود الغربية .

وقد اختار يوسف داي لقيادة جيوشه رجلا شجاعا حازما كورسيكي الاصل ، اسلم صغيرا ونشا نشأة عسكرية ، هو مراد باي ، فاظهر من الحزم والشجاعة ما حببه الى قلوب الجميع وكان الشخصية الثانية فى البلاد بعد يوسف داي ، ثم وافاه من الخليفة العثماني مرسوم تعيينه باشا تونس فتنازل عن رئاسة الجيش لابنه حمودة ، ولم تطل مدة قيامه بالباشوية اذ توفي سنة 1041 / 1631 وقد تجمعت فى يد حمودة باي كل السلطات اذ كان المشرف على الجيش وجباية المال زيادة على القيام باعباء الباشوية التي كانت لابيه . ثم ازداد نفوذه بعد وفاة يوسف داي سنة 1047 / 1637 ، ولم يعد للدايات معه نفوذ واصبحوا من جملة مساعديه بالرغم من الثورات والمكائد التى دبرها بعضهم ، ثم اتاه سنة 1068 / 1658 مرسوم للخليفة يثبته فى الولاية ويخاطبه بالباشا بن الباشا . فوزع حمودة المناصب العليا على اولاده جاعلا قيادة الجيش لاكبرهم مراد باي ، وولاية القيروان وسوسة والمنستير وصفاقس لمحمد الحفصي ، وولاية باجة لحسن باي فاستكمل مظاهر الملك وجعل الحكم وراثيا فى بنيه . **وبذلك تاسست الدولة المرادية بتونس 1047 – 1114 / 1637 – 1702) .**

عرفت تونس فى ايام حمودة باي التى طالت زهاء 30 سنة عهدا متميزا بالاستقرار والرخاء حيث تم انصهار الجالية الاندلسية النازحة وانتشرت صناعاتهم واعاداتهم وثقافتهم فى ارجاء البلاد وتكاثر عدد العلماء والطلبة فى المدارس والمساجد ، وانتشر العمران باقبال الناس على البناء والفراسة فى الحواضر والبوادي ، وانشا حمودة باشا عددا من المرافق العمومية كالجامع المعروف باسمه فى العاصمة ، ومارستان المرضى بحومة العزافين ، والمباني الضخمة لتوزيع شبكة المياه فى كثير من المدن ، الى تشجيعه العلماء ووقفه العقارات الكثيرة لمصالح عامة مختلفة .

وقد خلف مراد باي اباه حمودة فى الحكم (1076 – 1086 / 1666 – 1675) بتقديم منه . وكان مثله شجاعة وضبطا للامور وضربا على ايدي العمال المستبدين ، وقد سار فى الضغط على الدايات والحد من سلطتهم اكثر مما سار ابوه ، فسجن بعضهم وعزل البعض حتى رضخوا لسلطته وصرف عنايته لجيش الانكشارية وحمله على الطاعة والامتثال وقضى نهائيا على فرقة كانت تسكن فندقا غربي جامع الزيتونة وهدم الفندق وبنى مكانه المدرسة المرادية وله غير ذلك آثار عمرانية فى مختلف انحاء البلاد التونسية كقنطرة مجاز الباب وجامع مدينة قابس ، وقنطرة التلة فى طريق القيروان وغيرها . .

– يتبع –

الرباط – محمد حجي



للأستاذ الحاج أحمد بن شقرون

بعيد عرشك يا مولاي نحتفل ... مجدا عظيما به الامجاد تتصل
فرمز وحدة هذا الشعب من زمن ... تاج اثيل عليه يعقد الامل
قد اعرب الشعب عن مكنون فرحته ... بعيدكم ، فكست اسواقه حلل
وظل يهتف بالذكرى التى رسخت ... اصولها ، بقلوب عمها الجذل
مباركا ونبة التحرير يسندها ... رغم الصعاب مليك مفرد بطل
جهاده لفكاك الاسر اكسبه ... احباط كيد عدى خافوه فانتقلوا
الشعببالعرش، والعرش العظيم له ... حام ، واياته بالعز تشتمل
وكلما حلت الذكر بسؤددها ... يجدد الشعب اخلاصا فيهتبل
وعن تعلقه يبدي عواطفه ... متينة ، وفى ولاء دونه الجبل
ساس الرعية فذا عاهل حسن ... يصون مغربنا من ظله ظلل
فى عهده انبثق «الدستور» واتجهت ... سواعد لغد تبني وتشتغل
وان تسل اسفيا عن مركبها ... يجبك عن غدنا فى قلبها عمل
حيث الرخاء يعم الناس يانعه ... وحيث ترفه ارجاء وتكتمل
وعملة صعبة تغدو بقبضتنا ... من خارج ، فيبيد العجز والكسل

* * *

ثم يا ابن يوسف فى ظل الاله ففى ... مواقف الحسن الثاني لكم بدل
ما زال يذكر شعب يوم عودتكم ... من المنافي ، تهادت نحوكم مقل
فظل يهتف من اعماق مهجته : ... يحيا المليك الذى ما مثله رجل

ضحى بعرش ليحيا شعبه فشدا ... بعقله مستنيرا يضرب المثل

وليس يشغله عن نيل مطمحه ... رغم التعلات فى هذي الدني شغل

حب الكمال وحب العز فى شمم ... من المعاني التى جاءت بها الرسل

ولم تزل تترامى نحو راحته ... من المحبين طرا تلكم القبل

مهنئين الذى وفى بمبدئه ... فلم يمل به عن قصده له زلل

واكبرت فيه عزما لا نظير له ... من معجبين به فى سبقه دول

وفى المنافي احيطت بالمليك على ... رغم التيقظ تغريرا به حيل

فلم تنل من امام عز مطلبه ... ولم تفد ، رغم من لاموا ومن عذلوا

جلت لفك رقاب الشعب من رسن ... ورفعه لمجالات الهدى سبل

ونية حسنت فى كسب معركة ... يحوطها من صميمات الغنى ازل

تجمهر الناس يحدوهم لرؤيته ... حب عميق ، وشوق كله خبل

فى لحظة عطفت شمل الاليف على ... الافه ، ليس فيها دونهم دخل

فارسلوها هتافات تفيض بما ... فى القلب من مرح : ان عاد مرتحل

« الحمد لله عنا اذهب الحزنا » ... جواب عاهلنا ما دونه كلل

فماج بشر ، وولى مدبرا حزن ... وباد عهد ، ولم يمكث له طلل

واصبح الشعب فى عز بعاهله ... وفارق الضغط ، والتنكيل ، والخطل

جدوده الصيد قالوا للانام : اذا ... جار الطغاة فسادات لنا عدلوا

وفوق مهجة اعماق القلوب لهم ... مرافيء ، ومقامات بها نزلوا

يؤيدون صراح الحق ، تحفزهم ... توثبات ، ولم يقعد بهم مهل

السيل اذ كرموا ، والقطر اذ نفحوا ... والبحر اذ بذلوا : دقائقها وشل

اذا تسابق اقوام فانهم ... لغاية المجد فى هام العلى وصلوا

كهمة الحسن الباني لامته ... من السدود ، سدودا ، نبعها عسل

صان الاله مليكا جل منقبة ... وصان اسرته ، يحميهم الاسل

وصان فيهم ولي العهد متشحا ... در النضارة ، موصولا به الامل

فاس ـ الحاج احمد ابن شقرون



عندما يقترن تاريخ التجديد الاسلامي ، بعلم من اعلام الفكر .. او بمدرسة من المدارس التي تكونت هنا وهناك .. فان ابعاد رسالة التجديد الاسلامي ، والظروف التي املتها ، والملابسات التي احتفت بها ، والمظاهر التي ظهرت بها ، تعطينا الدليل القاطع .. الذي ليس له من دافع .. على ان التجديد بمعنى التطور البناء .. والاصلاح المنشود .. والتدبير المحكم .. هو شيء ذاتي ، وجوهري في التفكير الاسلامي الصحيح ..!

ولم يختلف قادة المسلمين سواء كانوا من رجال العلم والتفكير .. او من رجال الحكم والتدبير .. ان رسالتهم الاساسية في المجتمع المسلم هي تجديد ما بلي ..! وتقويم ما اعوج ..! وهداية من ضل ..! واحاطة الكيان المادي ، والمعنوي ، بسياج من الحصانة ، التي تحول دون تفتيت الوحدة ..! وتضييع العزة ..! والانحراف عن الجادة ..!

واذا كانت الدعوة الى التجديد الاسلامي عند طائفة من الناس ، قد اخذت مظهرا عاطفيا .. يأخذ حيزا شكليا .. لمسايرة التيارات والتطورات .. فان الراسخين في العلم .. والناضجين في الفكر ..! والسابقين في الفهم ..! يعلمون ان الرسول عليه الصلاة والسلام قد اخبر امته ، وهو الصادق الامين .. في حديثه الذي رواه ابو داود .. حيث قال عليه السلام :

« ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »

ومن دون ان ندخل في تفاصيل المراد بالامة .. والمراد بالمجدد .. فاننا نعطي لرسالة التجديد الاسلامي اعتبارها الحقيقي، واطارها الذي يجب ان توضع فيه .. موضوعيا لا عاطفيا ..! واساسيا لا شكليا ..!

فالتجديد يعني تجديد العزة ..! وتكوين الوسائل المادية والمعنوية للمحافظة على هذه العزة .. وتحت ذلك تدخل شتى المفاهيم .. والافكار .. والاعمال ..!

ومنذ تسعين سنة خلت شاهد المغرب محاولة جادة لتحقيق رسالة التجديد الاسلامي بالمفهوم الصحيح الذي اشرنا اليه آنفا ..!

فالرواجف ..! والروادف ..! التي تلاحقت بالبلاد .. وعوامل الشك والتشكيك .. ومظاهر الجمود والخمول .. كلها جعلت المفكرين الجادين ، والمصلحين الحقيقيين يراجعون رصيدهم من رسالة التجديد الاسلامي علهم يوقفون تيار الانحدار .. وسيول التردي والانحلال ..!

ومن الانصاف للحقيقة .. والاخلاص للموضوعية .. ان نقول : ان هناك علمين من اعلام المغرب كانا في مطلع القرن الهجري الحالي يعملان



السلطان مولاي الحسن فى موكبه فى صلاة الجمعة

جادين لبعث رسالة التجديد الاسلامي فى المغرب بعد اقتناعهما ان بعث هذه الرسالة يجب ان يسير متكاملا متآزرا بين نضج فى التفكير .. وحزم فى التدبير .

وهكذا سجل تاريخ المغرب تلك المشاريع الاصلاحية وتلك المحاولات التجديدية التي كان الملك المرحوم مولاي الحسن الاول يدعو اليها .. ويعمل جادا لانجازها .. كما شاهد تلك الافكار والآراء التى حمل لواء الدعوة اليها العالم المصلح سيدي عبد الله السنوسي ..

وكان الرجلان على موعد مع التاريخ ..!! فى بداية هذا القرن . وكان كل منهما يعرف حق المعرفة ما ينتظر المغرب ان استمر الحال على ما كان عليه .. من جمود، وانحلال، وانغماس فى الانحلال والتهاون ..

فاذا نحن درسنا بامعان تلك الرسالة « التجديدية » التى احتفظ لنا بنصها الكامل المؤرخ مولاي عبد الرحمن ابن زيدان رحمه الله فى كتابه « اتحاف اعلام الناس (1) » والتى امر بانشائها واذاعتها فى الاوساط المغربية ، بادية وحاضرة ، الملك المرحوم مولاي الحسن الاول .. علمنا كيف بدأت السطور الاولى من رسالة التجديد الاسلامي فى المغرب الحديث .. وكيف كانت الحكمة تاخذ طريقها بتؤدة واتزان لمحاولة اصلاح ما افسدته الاجيال ..!

ويجب ان ننظر الى فصول هذه الرسالة بمنظار العقلية التى كانت تسود المغرب منذ تسعين سنة .. لا بمنظار العقلية التى تكونت بعد تخطى المراحل والابعاد والسير فى ركاب التقدم والانعتاق ..!

واذا درسنا ما بقي لنا من اخبار سيدي عبد الله السنوسي بعد رجوعه من رحلاته في المشرق.. وما كان يدعو اليه جهارا من افكار .. وما كان يحضره من مجالس .. وما كان الناس يتناقلون عنه ..! وما كانت دعوته تناله من سخط الساخطين ..! ورضا الراضين ..! وما كتب علماء العصر حوله ..! علمنا اذ ذاك كيف كانت رسالة التجديد تاخذ طريقها الضيق الصعب الشائك .. فى محاولة جادة للذيوع والانتشار وكسب الانصار والمؤيدين ..!

واتصال السنوسي الوثيق بمولاي الحسن الاول كان واضحا للعيان ، جعل التجديد يتبلور من جهة ..! كما جعل السنوسي فى شبه حماية من المترصدين لدعوته .. الحاقدين على اتجاهاته وافكاره .. التىاذاعها فى عدة مجالس علمية، عقدت بكل من مراكش وفاس .. وحضرها جلة العلماء..!

فنقطة البداية فى الرسالة التى احتفظ لنا بنصها المؤرخ ابن زيدان .. كانت مجرد اساس لاقامة صرح للتجديد الشامل العام الذى كان المغرب على ابوابه فى مطلع هذا القرن ..!

ونقطة البداية فيما نجده فى تلك الصفحات التى كتبت حول السنوسي .. وجلها كانت باقلام ضدا عليه ..!! هي ايضا مجرد أساس كان لابد منه للخروج من عقلية الى اخرى ..! ولتوديع عصر واستقبال آخر ..!

ومن المالوف المعروف ان ينال السنوسي حظه من التهم والمطاعن والحملات القلمية واللسانية ..! وان يتواصى الناس بالتحذير منه ..! والتخوف من افكاره ..! وان يقال ويكتب عنه : انه (معتزلي) ..! او (خارجي) ..! او (ظاهري) ..! وما الى ذلك ، لدوافع شتى ..!

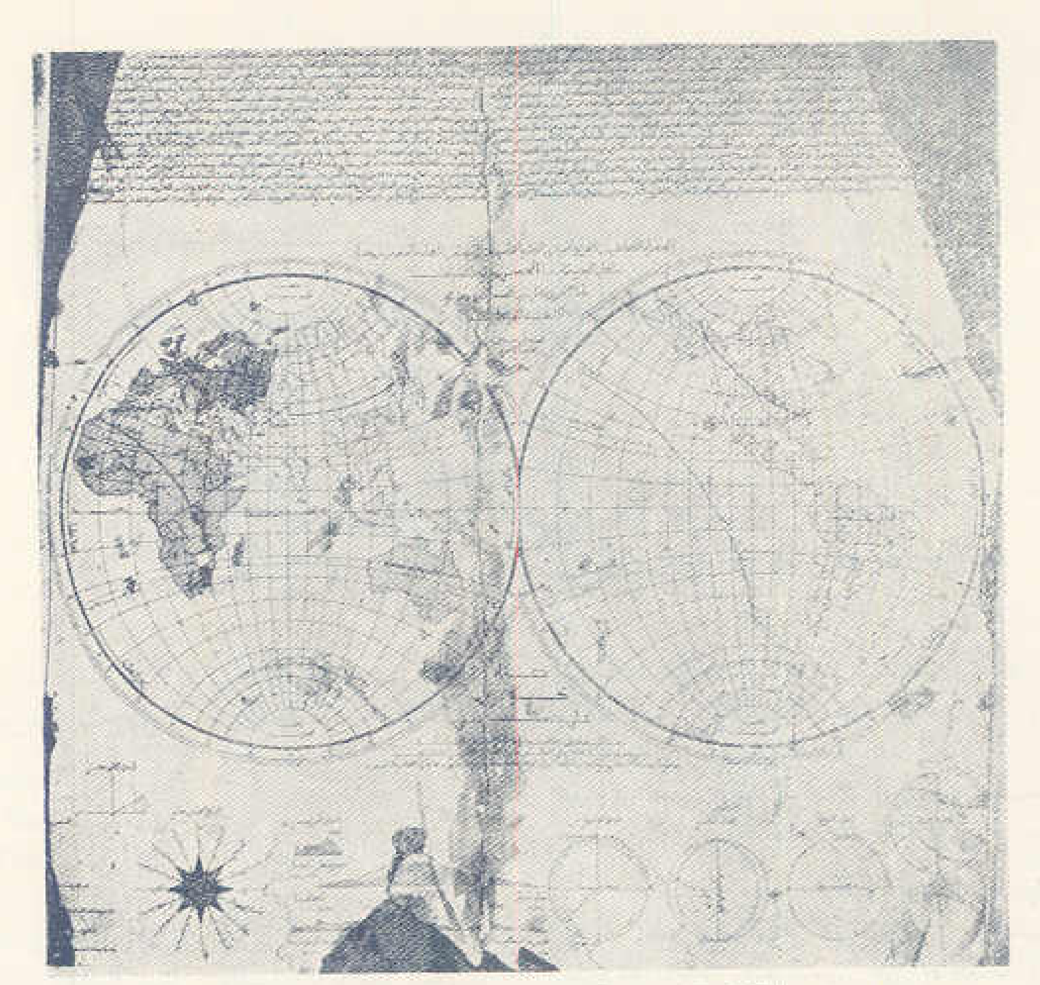
ومن المالوف المعروف ان يجابه السنوسي خصومه بكل ما يملك من وسائل ..! فكان يجد معهم احيانا الى درجة الحدة والهيجان .. وكان يهزل احيانا الى درجة الدعابة والاستخفاف ..!

وتنقل السنوسي فى اقامته بين فاس ، ومراكش ، والجديدة ..! واخذ الناس عنه علما كثيرا ..! لكن المعترفين بهذا الاخذ قليلون ..!! واقل منهم من كتبوا ذلك ..! (2)

واعاد السنوسي الرحلة الى المشرق ..! واشتهر شانه فى مصر والشام والقسطنطينية ..!

(1) انظر الجزء الثاني ، ص 218.

(2) انظر معجم رياض الجنة ، ج 2 ص 81 وما بعدها



خريطة الكرة الارضية ، وبعض الاشكال الجغرافية
عمل الطاهر بن الحاج الاودي احد طلبة البعثات
الحسنية لاوربا

وشاءت الاقدار ان تفقد رسالة التجديد فى المغرب ركنها الركين بوفاة مولاي الحسن الاول سنة 1311 هـ .. ويعود السنوسي ليجد الجو غير الذى يعهد ..! لكنه وجد فى الملك الشاب مولاي عبد العزيز مبرة واحسانا وتقديرا .. استصحابا لما كان والده يعامل به هذا الرجل .. الذى غبن حيا وميتا ..! وتنكر له معاصروه ..! ومن بعدهم ..!

وتجرع السنوسي كما تجرع غيره من انصار رسالة التجديد فى المغرب آلام الفصص ..! يوم دبت الاحداث بخيلها ورجلها تدوس المشاريع الاصلاحية التى خططها الحسن الاول .. وتحطم الآمال التى كانت معلقة على انجازها .. وحال الجريض دون القريض ..!!

ولعل سؤالا يتبادر الى الذهن .. هل كانت هناك برامج .. ؟ وهل كانت هناك اهداف معينة ..؟

لهذه الرسالة التجديدية التى كان الحسن الاول رحمه الله يعمل على تحقيقها .. وكان السنوسي رحمه الله يؤازرها ويدعو اليها بكل ما يملك من الوسائل .. ويتحمل فى ذلك كل ضروب العناد .. والتنكر .. والتهجم ..!!

والجواب ليس بيسير ..! فان الباحث لا يجد نصوصا مكتوبة .. ولا برامج مسطرة .. وانما يلمس فى كثير من التصرفات والمشاريع والقضايا والاحداث ما يعطيه ان هناك عزائم قوية تحركها رسالة التجديد .. وتقودها الى الاصلاح والتطور واليقظة والخروج من حمأة الجمود والانحلال ..

وتلك مأثرة لا ينساها تاريخ المغرب الحافل بسير العظماء والابطال المعروفين والمجهولين ..!

فاس ــ عبد القادر زمامه

بمناسبة الذكرى العاشرة لتتويج الحسن الثاني ملكاً على عرش المغرب

بعض مظاهر الديبلوماسية المغربية في عهد الحسن الثاني

للأستاذ
عبد الكريم التواتي

لوجود ذاتية امة ما وسيادتها مظهران بارزان لابد من توفرهما لتحقيق هذه الذاتية وذلك الوجود.

ويتجسم الاول في الاوضاع الداخلية التي تكون عليها هذه الامة ، بينما يتبلور المظهر الثاني في اهمية وقيمة العلاقات التي لهذه الامة مع غيرها من الدول القريبة منها او البعيدة ، وفي مدى وعمق التفاهم الذي تجده من هذه الدول ، او تجاهها ، نتيجة تلك العلاقات القائمة بين الجانبين . وهذا المظهر الثاني لوجود الامة هو ما يطلق عليه في الاعراف الدولية : « الدبلوماسية » او سياسة الامة الخارجية .

ثم من الواضح الجلي ان ابعاد كل من المظهرين تنعكس على ابعاد المظهر الآخر ، او هي صورة منه ، وكل منهما الصق بالآخر واشبه به ، بل واحدهما ملتحم مع الآخر وبه ، نجاحا وفشلا ، ومنصهر فيه انصهار مختلف المعادن مع بعضها .

ذلك لان العلاقات الخارجية لامة ما — وعلى العموم — تعكس صور نجاح او فشل هذه الامة فيما تباشره من سياسة داخلية ، وما تحققه من استقرار سياسي ، ينشأ عنه ازدهار اجتماعي واقتصادي ، وبجميع مرافق شؤونها ، او ما ينتاب مواقفها وسياستها من تهافت يصيب محاولاتها الانشائية بالتعطيل ، وطاقاتها بالعقم .

وهكذا بفضل ما تحققه الامة من استقرار سياسي ، وازدهار اقتصادي ، ورفاهية اجتماعية، الناتج كل ذلك عن قيام التفاهم الكلي الكامل — والى حد الالتحام — بين قمتها وقاعدتها، تأخذ دبلوماسيتها المكانة التي تؤهلها للتقدير والاحترام ، واحتلال المراكز المرموقة بين المجموعات الدولية ، ومن ثم تقام لدبلوماسيتها نفسها الموازين ، ويحسب لاتجاهاتها ملايين لا الوف الحسابات والاعتبارات .

وبالعكس تهدر كرامتها وحقوقها دبلوماسيا اذا لم تستطع اوضاعها الداخلية ان تضمن احترام ضيوفها الذين يتجسمون في الاقليات الطائفية او الاجنبية ، او لم تستطع أن تحرز على عطف ورضا وتقديس مواطنيها ورعاياها ، اولم تستطع ان تجعلهم يشعرون تجاهها بالطاعة والولاء .

فنجاح دبلوماسية امة ما رهن — بالاضافة الى ما ينبغي او يجب ان يقوم من تكالف وتساند وتعاضد وتعاطف بين قمتها وقاعدتها — رهن بقدرة رجالها الكبار على ربط وثيق الصلات بالآخرين ، من كبار المسؤولين ، وغير المسؤولين في الدول الاجنبية الشقيقة وغير الشقيقة .

وهذه المقدرة والكفاءة الدبلوماسيتان اللازمتان لنجاح الامة داخليا وخارجيا ، تتطلبان استعدادات خاصة ونفسيات حساسة مرهفة ، تسهم في وجودها الموهبة والطبيعة الفطرية ، بقدر ما تصقل معطياتها التجارب والثقافة والتعليم ، ثم الصبر الذي عنه تتولد الحنكة وتتم التجربة ...

وهذا ما يثبت ويؤكد ان الدبلوماسية محك دقيق لنتاج ما حققته الامة في شؤونها واوضاعها الداخلية اولا وبالذات ، ثم هي صورة لما تحققه في

ذلك الداخل من اعمال انشائية اعمارية وتاتيه من حركات انمائية بناءة .. وما كان لامة ما ان تستشعر الاحترام لها والتقدير لوجودها من الآخرين اذا كانت لا تجد ذلك من داخل ارضها ، وبين رقعتها الترابية، ومن ارواح وقلوب بنيها ورعاياها الذين يكونون خلاياها الاولية ، ورصيدها القوي ، وعدتها اذا ادلهمت الامور واشتدت الازمات بها ، ثم هم الذين يجسمون فى كل مكان تطا اقدامهم ارادتها ، ويبلورون اتجاهاتها .

ولهذه الاعتبارات خاصة ، اعتبر نجاح دبلوماسية امة ما ، نجاحا لها ، ودليلا عنى ان اوضاعها الداخلية مستقرة وقوية الجذور سامقة الفروع ، لا تنال منها الزوابع والزعازع ، ومن ثمة فهي تصدر فى مواقفها وسياساتها عن النبع الصافي الثر أي الشعب ، وتتمتع برضى مختلف طبقاته ويمكن الاعتماد على صداقتها والركون الى ما تسنه من قوانين ، وتباشره من اتفاقيات وتبرمه من عقود وعهود، ويعني كل هذا انها سوق رابحة مربحة، وذات تجارة لن تبور ، تستلفت اليها الانظار وتجلب الافكار وتهييء لكل وافد عليها ووارد الطمانينة والازدهار والاستقرار .

ومن هنا كانت جميع الامم ترغب ــ اول مباشرتها لسيادتها وتدبير شؤونها بنفسها ــ فى ان تولي شؤونها الداخلية من الجهود الجبارة ما يحسن اوضاعها ويوطد اركانها لتنعكس صور كل ذلك على علاقاتها الخارجية ، حتى تكتسب الاحترام ومزيدا من العلاقات الحسنة ، وحتى توفر كل الظروف الحسنة التى يتطلبها قيام كل تعاون دولي متماسك، ينشد خير الجميع ويعمل لنشر السلام والوئام والمحبة والتآزر ويتوخى ايجاد تفاهم حقيقي يساعد على تقديم المزيد من العون المادي والمعنوي من الدول المتقدمة التى فى الطريق الى التقدم ، وتقديم المزيد من الدعم العلمي والثقافي من المتوفرين عليه الى المحتاجين اليه ، لانه عن طريق هذا الدعم وبسبب ذلك العون يضمن لكل امم الارض بل ولتلك التى يفكر فى خلق بدورها فوق الافلاك الاخرى : القمر والزهرة والمريخ ، استمرار التبادل فى كل الميادين والمجالات والقائم على المساواة والحرية والعدالة .

وقد احست كل دول العالم اليوم مدى اهمية وضرورة التحام مظهري وجود الامة ذينك ، بل وآمنت ان هذا الالتحام قائم ولا يمكن تصور وجود الامة بدونه ... ومن اهم وابرز الادلة على التحامهما والتحام اطريهما الداخلية والخارجية ، ما يشعر به الجميع ويسلم به ، من ان جميع الانظمة السياسية تقريبا ، لمختلف الامم تستمد تطوراتها الداخلية الخاصر ــ بما فيها التنظيمية احيانا ــ من تطور علاقاتها الخارجية ، حتى ليصح لنا ان نؤكد ــ دون خوف ان يكذبنا الواقع ــ ان مختلف الانظمة السياسية لدول عالمنا المعاصر ، فى عمومها ، يمكن وصفها بانها عملية « تشارك او اممية » بين سائر شعوب الارض ، وان التفاعل بين هذه الانظمة ، وربما تاثير بعضها فى بعض ، كان من القوة والوضوح بحيث لا يمكن لامة فى الارض ان تتقاعس عن تقليد الارقى منها حضارة وعمرانا ، او تتهيب الاقتباس من تلك التى لها الصدارة فى ميدان الانظمة والقوانين ، مع عدم اغفال عامل الزمنكية طبعا ، فى ذلك الاقتباس وهذا التقليد ، لان هذا العامل تحتمه سنن الحياة ، وواقع المعاش ، وجغرافية المجتمعات .

وفى مجال الانفعال والتاثر اللذين تخضع لهما كل اعمال الانسان نذهب الى القول بانه لن يستطيع احد ان يزعم او يدعى ان ثمة مذهبا او نظاما ، بل وحتى عقيدة ، قام او وجد دون ان تؤثر فيه رسوبات ما سبقه من انظمة، وواكبه من عقائد ، وايديولوجيات قوية الجذور انسانية الاهداف .

فعن الاسلام وآثاره ، المباشرة وغير المباشرة ، تاثرت اوربا ان لم تقل تعرفت ، بالانظمة النيابية وسياسة الشورى ، وبمبادىء حقوق الانسان ، والعدالة الاجتماعية ، والدعوة لنشرها بين سائر الطبقات ، وكل القطاعات على اختلاف مستوياتها الادراكية والاجتماعية .

وعن أوروبا الحديثة ، وتقنيتها العلمية ــ ونعتبر امريكا ضمن الدول الاوروبية لانها فى الحقيقة وفى بداية تكوينها ومنطلقها نتاج اوروبي ، وحفيدة الجاليات الاوروبية التى فارقت مساقط رؤوسها لهذا السبب الديني كما هو الشأن بالنسبة لمهاجري الانجليز ، او ذاك ، واتجهت تنشد الرزق فى هذه الدنيا الجديدة التى سميت بامريكا ــ اقول : عن اوربا تقتبس او تتاثر حاليا دول المعسكر الثالث ، الدول الآخذة فى طريق النمو ، والمحاولة بما تحاول تطبيقه من انظمة فى مختلف الانشطة الاقتصادية والاجتماعية ، بل وحتى فيما تحاول وضعه من

انظمة دستورية تفرض حتميتها فى ضراوة فكرة التفتح على العالم الخارجي ، والى الدرجة التى لم يعد معها من الامكان « لدولة متحضرة أن تبقى فى النصف الثاني من القرن العشرين بدون قانون اساسي يبين الحقوق والواجبات ، ويحدد السلط وينظمها ، ويعين ما للحاكمين من حق التسيير والتدبير ، وما للمحكومين من حق المراقبة والتعقيب » (1)

والشاهد من كلمة الحسن الثاني تلك هي لفظة: « فى النصف الثاني من القرن العشرين » اذ هي تجسم مدى التفاعل والانفعال الموجودين والقائمين بين مختلف خلايا الكون وامم الارض .

وبحتم هذين : اي التفاعل والانفعال ، ان المجموعة الدولية « تشكل اليوم اسرة واحدة ، يؤثر أفرادها فى بعضهم تأثيرا قويا بفعل الاتصالات السريعة وتزايد المبادلات ، واتساع نطاق التطور الحضاري » (2) .

وقد دفع الايمان بهذه الحقيقة الواقعية الحسن الثاني الى جعلها احدى الاسباب التى تحمله على تلبية ما يتلقاه من دعوات كريمة ، من مختلف رؤساء دول العالم ، « نظرا لما للاتصالات الودية ، والمباحثات المباشرة ، من آثار فعالة فى حل المشاكل ، وتقوية اواصر التفاهم والتعادل بين الدول والشعوب ، فقد ابينا الا ان نلبي الدعوات الكريمة التى تلقيناها » .

ثم لا شك فى ان هذه الانظمة الديمقراطية المشاهدة حاليا ، وفى مختلف ارجاء المعمورة واصقاعها ، مهما اختلفت محتوياتها واشكالها ، وتباينت مراحل تطوراتها ، وتباعد ما تفرع عنها ، والمجسمة فى النقاط البارزة الآتية : قيام المجالس التمثيلية على الصعيد المحلي ، وفى المجال المهني ، والصعيد الوطني . وقيام نظام المشاريع ذات الآجال المحددة ، والمجالات المعينة ، والابعاد المتوخاة . وفكرة استقلال القضاء ، وفصل السلط ، الخ .. انما كان كل ذلك من آثار ونتاج التلاحم القائم بين مظهري وجود الامة : الداخلي والخارجي ، اللذين اشرنا اليهما فى مطلع هذا الحديث ، وكذلك من آثار ارتباطهما بالمد الحضاري للمجموعة الانسانية ، التي يتكون منها عالمنا الآخذ فى التفتح على بعضه ، وفى الانصهار فى بعضه .

ثم اذا كان بحث كهذا لا يمكن أن تستوعب ابعاده هذه العجالة ، لانه يتطلب نفسا اطول ، وبحثا اعمق، وبالتالي يتطلب المزيد من الدرس والتمحيص، والكثير من الوقت والصبر ، الشيء الذى لا نتوفر عليه الآن ، ولا تسمح به الظروف ، ومن ثم فان الاحاطة بجميع او جل جوانبه مستحيلة ، فان من الكلمات المأثورة قديما ان ما لا يدرك كله لا يترك كله . وفى هذا الاطار — وتلبية لدعوة مجلتنا الغراء « دعوة الحق » الكريمة ، سنحاول القاء اضواء على بعض مظاهر الدبلوماسية الحسنية المتشعبة الابعاد ، المتعددة المجالات ، معترفين مسبقا باننا فى محاولتنا هذه سنحوم ولا نرد ، ومؤكدين ان خصوبة الموضوع، وتباين مناحيه ، لن يقعدانا عن محاولة الادلاء لابراز بعض هذه المناحي ، او يؤخرانا عن الاسهام فى تسجيل بعض مظاهرهما .

والدبلوماسية ، او علاقات أمة ما بسواها من الامم والدول ، يحدد ابعادها ومعطياتها اولا وقبل كل شيء الاعتباران الآتيان :

الاول : موقع الامة الجغرافي او الترابي .

الثاني : اتجاهاتها التى تبلور ثقافتها الفكرية، وعواطفها الدينية ، وتحدد قوميتها المتمايزة .

ووجود المغرب فى طرف اعلى الشمال الغربي من القارة الافريقية ، متاخما فى حديه الشمالي والغربي لشاطئي الاطلسي والمتوسط ، وفى حده الشرقي للجزائر وما والاها من دول المغرب العربي الكبير : ليبيا وتونس ومصر . وفى حده الجنوبي للدول الافريقية وموريطانيا .

وجود المغرب بين هذه الحدود وفى هذا الموقع الترابي من الكرة الارضية يلزمه اتخاذ مواقف خاصة ومعينة متمايزة تجاه الاحداث ، لا فى خصوص افريقيا القارة التى ينتمي اليها ترابيا ، وانما فى عموم القارات الخمس ، وبصورة خاصة مع اوروبا وامريكا اللتين تشاركانه المتاخمة على الشواطيء المائية،

---

(1) خطاب العرش سنة 1963

(2) المرجع قبله

وبصورة اخص تجاه جيرانه الذين يشاركونه التراب، وربما ايضا العقائد والقوميات او احداهما فحسب . واذا اضفنا الى ذلك ان هذا الجزء من العالم الاسلامي ظل على الدوام ، وعبر القرون والاحقاب التى تعاقبت على الوجود الاسلامي به ، الجزء الاكثر حساسية لعقيدة الاسلام ، ربما لانه المجاز الذى امتطاه الاسلام لعبوره الى اوروبا عن طريق الاندلس واسبانيا ، او ربما لبعده عن الشرق حيث كانت مختلف التيارات الطائفية والمذهبية والعقائدية تتجاذب النفوذ والسلطة الدينية ، بينما ظل هذا الجزء بعيدا عن الخوض فى هذه المعارك التى ضيعت على الاسلام والمسلمين الشيء الكثير ، او ربما لانه لم يتعرض للحملات الصليبية السافرة التى تعرض لها الشرق، أو ربما لكل ذلك ولموقعه الجغرافي الحصين نفسه، اذا اضفنا هذا الاعتبار تصورنا جسامة وخطورة ما على الدبلوماسية المغربية ان تواجهه ازاء الاحداث العالميــــة .

ولعل من القضايا المسلم بها والتى لا تحتاج الى دليل ، اهتمام الدبلوماسية المغربية طيلة تاريخها العريق وبالاخص لعهد العلويين اجداد الحسن الثاني ، بعلاقاتها فى الاطار الاسلامي ، او هذا ما يرمز اليه هذا التآخي المشاهد ، والتوافق الملاحظ بين مواقفه اي المغرب ، وبين الاوضاع فى منبع الاسلام ارض الحجاز المقدسة .

واذا كان لحنين الاصل اثر فى هذا التعاطف الموجود بين ملوك الدولة العلوية وبين اراضي الحجاز ، لانحدارهم من الينبوع كما يعلم الجميع ، فان الجانب الديني كان الاكثر اعتبارا فى هذه العلاقات ، وكان الاكثر تقديرا .

ولا ادل على هذا من اسراع المغرب ، من بين دول العالم الاسلامي قاطبة ، الى تأييد الحركة الوهابية ، اثر ما ورد منها من كتب على المسؤولين المغاربة .

ونحن نذكر جميعا الاهمية الخاصة التى كان يوليها المولى سليمان لقيام علاقات ودية صادقة بين المغرب وتلك الاراضي ، حتى انه بعث ابنا له على راس بعثة علمية محترمة ، لا لتقديم الهدايا فحسب للحرمين الشريفين ، وانما لذلك ولشيء أعمق أثرا ، وهو عقد مناظرات علمية بين علماء البلدين : المغرب والحجاز .

ومن هذه الزاوية ايضا كانت نظرة المغاربة الى ضرورة تحسين علاقاتهم الدبلوماسية بكل الاقطار الاسلامية ، سواء فى آسيا الصغرى ، او الشرق الاوسط او الشرق الاقصى ، او الدول الاسلامية لاوروبية التراب كتركيا والبانيا ، او الدول الافريقية الاسلامية العقيدة ، تحفزهم لذلك روابط الدين والفكر والثقافة فحسب ، او تلك وروابط اخرى قومية او جغرافية .

ومن الضروري ولاكد ان دبلوماسية مغربية تريد ان تضمن لنفسها النجاح ، لابد لها من ان تعير كل تلك المؤثرات والاعتبارات ما تستحقه من عناية وتقدير واهتمام .

ثم من المؤكد والمقطوع به ان الدبلوماسية المغربية عبر القرون الماضية ، ومع اختلاف اطوارها التاريخية كما قلنا ، راعت كل تلك المؤثرات والاعتبارات ، او راعت على الاقل جلها ، تبعا للامكانيات والظروف .

وحتى فى احلك هذه الظروف واصعبها ، اي تلك التى تدهورت فيها الاوضاع الداخلية للمغرب بسبب تفسخ المسؤولية ، وميوعة الاخلاق وانحلالها، كان مختلف المسؤولين على تباين مستوياتهم الادراكية ، يتشبثون ــ فى محاولات قوية ــ بربط وقيام علاقات دبلوماسية مع الدول الاسلامية قاطبة، وغيرها من الامم التى تربطهم بها مصالح وطنية ، وانسانية ، وان يكن ذلك فى حدود ضيقة وبقدر الامكان .

ومن المؤكد كذلك ــ وكما اشرنا سابقا ــ ان الدولة العلوية عملت منذ تسلمها امور هذه الامة المغربية الكريمة ، على تمتين علاقاتها الدبلوماسية مع كل تلك الدول التى تجسم وتكون الواقع الدبلوماسي للمغرب ، ذلك الذى يحدده ــ وكما قلنا ــ موقعه الجغرافي والتزاماته الدينية والفكرية والقومية .

فنحن نعلم مثلا ان المولى محمد بن عبد الله سعى جديا لتوطيد علاقاته الدبلوماسية مع الدولة العثمانية ، تقديرا للاعتبارين معا :

الجغرافي : حيث ان السلطنة العثمانية لتلك العهود كانت تتاخم على حدود المغرب الشرقية اي فى الجزائر ، اذ كان نفوذها مبسوطا على تلك البلاد.

والاعتبار الروحي : نظرا الى ان تلك السلطنة ايضا كانت تسجم الخلافة الاسلامية فى مظهرها العام، وكانت فى نفس الوقت تمثل سائر الشعوب

الاسلامية تقريبا اذا استثنينا المغرب الذى ظل وحده خارج نفوذ هذه السلطة السياسي والديني معا .

وقد نهج الملوك العلويون الذين جاءوا بعد المولى محمد كما نهج الذين كانوا قبله ، نفس الطريق ، فكان من الطبيعي — وقد حقق المغرب من وجوده الذاتي فى عهد الحسن الثاني ، واواخر عهد ابيه المغفور له محمد الخامس ، مجالات ارحب واوسع داخليا وخارجيا — كان من الطبيعي ان تتسم علاقات المغرب الدبلوماسية بتفتح اكثر ونشاط اعظم ، وان تتفيأ الدنيا والكون بما فيهما من ماديات وبشر .

وقد اتسمت الدبلوماسية المغربية فى عهد الحسن الثاني — وهذا ما سنحاول القاء اضواء عليه — بكل تلك المغطيات ، وتفيئت كل تلك الابعاد .

ثم اذا كانت دبلوماسية الحسن الثاني — من عدة وجوه — امتدادا لدبلوماسية ابيه محمد الخامس وكانت دبلوماسية هذا الاخير اتسمت بانطلاقتها المعلن عنها فى خطاب طنجة التاريخي سنة 1947

واذا كان الحسن الثاني نفسه ما فتيء يؤكد هذا الامتداد فى مختلف المناسبات ، رسمية وغير رسمية كقوله : « اما فى الميدان الخارجي فان سياستنا فيه ما زالت تسير وفق الخطط والتوجيهات التى رسمها لها فى حياته جلالة والدنا المرحوم » (3)

وكقوله :

« لقد اخذنا على انفسنا ان نترسم خطى والدنا المرحوم ، ونستمد من مبادئه التحررية التقدمية التى تجاوزت فى تطلعها حدود وطننا لترنو الى آفاق عالم فسيح تخيم عليه الوية العدالة والتعاون ، ومتخذين من الاتجاه القويم والنهج السليم الذى رسمه لسياستنا الخارجية نبراسا نستضيء بنوره ونهتدي بسناه » (4)

اقول : اذا كانت امتدادا ، فانها من جهة اخرى — وبحكم الفوارق الزمنية — ذات اتجاهات متميزة عن اتجاهات ابية ، وذات مجالات اوسع نطاقا ، وذات ابعاد اعمق اثرا فى حياة الامة المغربية الحديثة ، التى تتطلع الى مزيد من العيش الارغد، والازدهار الاقعد ، والاستقرار الاوطد .

واذا نحن مضينا نحاول — ولا نقول نستقصي — ان نضع لدبلوماسية الحسن الثاني اطارا خاصا محدد المعالم ، بارز السمات ، فقد نستطيع ان نلاحظ لها مجالين اثنين ، يتحدان فى الماصدق والمفهوم — وليسمح لنا المناطقة باستعارة تعبيرهم — ويتوخيان غاية واحدة ، وان تباينا فى القوالب والاشكال ، تبعا للمقام ومسايرة للاحوال ، مع التأكيد بان نسبة الواحدة منهما — عند البحث عن المميزات الذاتية لكل منهما — الى صاحبتها كنسبة الخاص الى العام .

اما هذان المجالان فهما :

اولا : المجال العام او الخطوط العريضة للدبلوماسية الحسنية ، ومظاهر سياسته الخارجية عموما

ثانيا : خصوصية المواقف المنتخبة تجاه القضايا الآتية ، والتى تعالج ضمن تلك الخطوط العامة .

والخطوط العامة لدبلوماسية الحسن الثاني، تتسم فى عمومها بنشدان الغايات الآتية : العمل على قيام تفاهم دولى حقيقي يحفظ للانسان كرامته وحقوقه الاساسية ، وللامم والشعوب قاطبة حريتها واستقلالها ، وللحكومات حرية الاختيارات .

والعمل على نشر السلام ، ومناهضة الاستعمار بشكليه القديم والحديث ، ومحاربة الميز العنصري فى كل اشكاله ، وشجب العدوان ايا كان مصدره ، واعانة الشعوب الضعيفة والمغلوبة على امرها حتى تتحرر من السيطرة الاجنبية .

والعمل على ان تقدم الدول المصنعة الغنية الكبيرة المساعدات غير المشروطة للدول النامية . ثم المساواة بين مختلف الدول فى الحقوق والواجبات والاعتبارات دون تمييز ، ودون اعتبار للاختلافات المذهبية ، او الايديولوجية ، او الاقتصادية ، او الاجتماعية .

ولا يتخيلن احد ان تلك الخطوط العامة التى اوردناها فى الفقرة قبل هذه ، هي من اختراعنا او

---

(3) خطاب العرش لسنة 1963 .

(4) خطاب العرش لسنة 1962 .

انها مجرد تخمينات لاتستند الى تصريحات وتأكيدات ملكية ، وانما هي خلاصة مختلف التصريحات التى ما انفك الحسن الثاني ينادي بها فى كل مجمع ومؤتمر ، وفى كل مناسبة ، وكل ندوة ومناظرة .

ونورد للاستدلال بعضا من كلماته فى هذا الموضوع ، فلنستمع اليه :

« وتتلخص الاسس والاركان التى تقوم عليها هذه السياسة – اي الخارجية – او ترمي اليها فى المحافظة على السيادة الوطنية ، واستكمال الوحدة الترابية ، والدفاع عن حوزة البلاد ، والتعامل مع الدول بروح الثقة والود ، على اساس المساواة ، والوفاء بالعهود والالتزامات ، واجتناب التدخل فيما لغيرنا من شؤون داخلية ، وفض المشاكل بالوسائل السلمية وعن طريق المفاوضات » (5) .

«وفى نيته – اي المغرب – فى الميدان الخارجي ان يسهم اسهاما فعالا فى اقرار الامن والسلم ، واشاعة روح التفاهم والتعاون والوئام بين مختلف الشعوب صغيرها وكبيرها » (6) .

اما المواقف الخاصة من القضايا الآنية ، والمتجددة بتجدد الحياة واستمرار الانسان فى البحث عن الغد المشرق ، والتى تملي على الدبلوماسية الحسنية الاتجاهات الخاصة ، فتنطلق من المباديء الآتية ، مع تداخلها ووحدة اهدافها وتماسك غاياتها .

اولا – عدم التبعية او عدم الانحياز

ويقصد من وراء التقيد الكامل بهذا المبدا ابراز استقلال سياسة المغرب الخارجية ، عن كل تأثير لا ينبع عن الاهداف الانسانية النبيلة ، او لا يتوخى ما تصبو اليه المجموعة البشرية من حرية وعزة وكرامة، وتنشده من تقدم وازدهار .

والحسن الثاني ما انفك – فى سائر الخطب التى يلقيها بمناسبة تعاقب اعياد العرش ، او التى يلقيها فى المحافل الدولية التى يشارك فيها حضوريا او كتابيا – ما انفك يعلن تمسكه بهذا المبدا، وتشبثه بأهدابه ، مهما يكن الثمن ، ومهما تكن النتائج والظروف .

والتمسك بهذا المبدا لا يعني ان المغرب ينتهج سياسة انعزالية ، او يعلن انفكاكه عن الاحداث العالمية ، وعدم مشاركته فى تحمل تبعاته الدولية، ومسؤولياته الكونية ، وتجاه كل القضايا الانسانية الكبرى ، شرقية او غربية ، او لا شرقية ولا غربية ، ولكن اعتناق هذا المبدا يعني ان المغرب يصدر فى مواقفه التى يتخذها ازاء كل تلك القضايا عن منبعين اثنين ، وكلاهما ذاتي وموضوعي فى سياسته الخارجية .

اولهما : مصالحه الخاصة التى يحدد ابعادها ومجالاتها مباديء وجوده الاساسية الدينية والاخلاقية والدستورية .

وثانيهما : رؤياه الخاصة تجاه مصالح بني الانسان ، تلك الرؤيا الصادقة المكونة عن التجربة والمعاناة ، بوصف ان الحسن الثاني ينحدر :

اولا : من سلالة اول انسان نادى بوحدة البشر جميعهم ، فى الاصل والمنبت والمنحدر والمصير ، واعني بهذا الانسان ذلك الذى قال فيه الله فى القرآن (وانك لعلى خلق عظيم) اي محمد عليه الصلاة والسلام .

ثانيا : بوصفه اي الحسن الثاني يومن شديد الايمان بمدى الترابط القائم ، او الذى يجب ان يقوم بين مختلف الخلايا البشرية ، وخالصا لوجه الله ومصلحة الانسان .

ونادى الحسن الثاني بهذا المبدا ، مبدا عدم التبعية – كما قلنا – فى كل المناسبات ، ومن كلماته ما يأتي :

« عملا بالمبدا الذى ما برح قاعدة لسياستنا الخارجية ، وهو مبدا عدم التبعية ، توجهنا بانفسنا للمشاركة فى اعمال مؤتمر بلغراد للدول غير المنحازة ».

« مباديء سياستنا الخارجية لم تتغير ، فهي سياسة تقوم على عدم التبعية » (7)

---

(5) خطاب العرش 1965
(6) خطاب العرش 1962
(7) خطاب العرش 1963

ولكن الحسن الثاني لا يترك هذا المبدا دون الاشارة الى ما يقصده من ورائه ، ودون بيان ما تعنيه كلمة « عدم التبعية » فهو يضيف فى نفس الخطاب الفقرات الآتية : « وقد شرحنا فى مناسبات عديدة ، ان هذا المبدا لا يعني ان المغرب ينظر الى المشاكل الدولية بعدم اكتراث : ويقف موقفا سلبيا من جميع ما يجري فى العالم من وقائع واحداث ، كما لا يستلزم هذا المبدا رفض جميع الافكار الرشيدة والحلول الناجعة لا لسبب الا لانها صادرة عن الشرق او الغرب ، فالمجموعة الدولية تشكل اليوم اسرة واحدة يؤثر افرادها فى بعضهم تاثيرا قويا بفعل الاتصالات السريعة ، وتزايد المبادلات ، واتساع نطاق التطور الحضاري، بل يعني هذا المبدا فقط ان لا نسير فى ركاب مصالحنا ويرضي ضمائرنا ، فقد نقف فى يوم من الايام موقفا معينا يتلاقى على غير ميعاد مع موقف دولة او كتلة من الدول ، ولكنه يكون اذ ذاك موقفا منبعثا عن ايماننا واقتناعنا لا عن ضغط او ملق » (8) .

ومبدا عدم التبعية فى دبلوماسية الحسن الثاني يرتبط اشد الارتباط بمبدا آخر عزيز عليه وعلى كل ذوي النيات الصالحة والنفوس المؤمنة بجدوى قيام علاقات انسانية حقيقية مخلصة لا تشوبها شائبة اهتبال فرصة سانحة ، ولا اغتنام مصلحة عابرة .

وهذا المبدا هو مبدا عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للآخرين ، انطلاقا من الايمان بان هذا المبدا كفيل بقيام علاقات متينة قوية ، اساسها التكافؤ والندية ، ومراعاة الاحوال الوضعية لكل قطر ، وتبعا لشؤونها الاجتماعية والاقتصادية ، ولمواقعها الترابية والجغرافية ولمراكزها الاستراتيجية التى تحتلها بين باقي الامم الاخرى وتقديرا لامكاناتها المادية والبشرية التى تتوفر عليها ، وتحدد لها مواقفها من القضايا التى تفرضها الحتمية الواقعية والماشية لظروفها .

ومراعاة لكل هذه الاعتبارات دابت الدبلوماسية الحسنية ــ وفى سائر المجالات ــ على عدم التفريق بين مبدا عدم التبعية ، ومبدا عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للآخرين . وفى هذا الصدد نقف للحسن الثاني على مثل الكلمات الآتية :

« وما زلنا نقيم علاقاتنا ، ونبني معاملاتنا مع الدول الاخرى على اساس الاحترام المتبادل ، والرغبة فى التعاون المتكافىء ، والحرص على عدم التدخل فى الشؤون الداخلية للامم الاخرى ، اذ الهدف الاسمى الذي نتوخاه هو الاستقرار والنماء والازدهار لشعبنا ولكافة الشعوب ، وعلى هذا الاساس واضحنا راينا فى مسائل التعاون ، وتبادل المنافع مع كل الاقطار التى ارتبطنا بها منذ فجر الاستقلال معطين بذلك لمبدا عدم الانحياز نفسه مدلولا حقيقيا ، وجاعلين من مضامينه المحافظة على مصالحنا العليا ، والتمسك بحريتنا واستقلالنا ، ومناصرة الحرية ، ومعاداة السيطرة والعدوان » (9) .

ثالثا : الايمان بمبدا التعاون الدولي وبهيآته ومنظماته والتمسك بما تتخذه من قرارات وتوصيات :

وايمان دبلوماسية الحسن الثاني بهذا المبدا ينبثق عن نفس النبع الذي استوحت منه هذه الدبلوماسية ميزاتها الذاتية ، وخصائصها القومية . اي الايمان بان الانسان اخو الانسان لا يظلمه ولا يخذله، وان المسلم من سلم الناس من يده ولسانه ، وان الانسان لا يومن حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ، وان كل البشر من آدم وآدم من تراب ، اي الايمان بالمضمون العام للآية القرآنية (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ، وكذلك الايمان بمفهوم الاية الاخرى (وما كان الناس الا امة واحدة) .

ثم اذا كان من الاشياء المسلم بها والعادية ان الانسان لا يمكن ان ينفصم عن صفاته الذاتية ، او ان تنفك عنه اخلاقه الطبيعية ، فان دبلوماسية الحسن الثاني وسياسته الخارجية ، ما كان لهما أن تنحوا تجاه المنظمات العالمية والهيآت الدولية غير ذلك الايمان العميق بجدواها ، وجدوى التعاون مع سائر اعضائها ، وجدوى معاملة اولئك الاعضاء جميعهم بروح من المودة والصفاء ، وعلى اساس من التعادلية

(8) المرجع قبله

(9) خطاب العرش لسنة 1966 .

والمساواة ، والكون معهم في تفاهم هادف يعمل على تجنب الاحن والبغضاء ، وابعاد الاشواك عن طريق الامن والسلم ، ثم الايمان المنبثق عن الاقتناع بتلك المنظمات التي يبتكرها الانسان ويبتكر مبادئها ويحدد اهدافها القائمة على الايمان بكرامة الانسانية جميعها دون تفرقة بسبب اللون او الجنس او الدين او اللغة.

وانطلاقا من هذا الايمان العميق بهذا المبدا الثاني لدبلوماسية الحسن الثاني ، يعلن وينادي من اعلى جميع المنابر والمنارات بضرورة الايمان بالهيئات العالمية من مجلس الامن وسائر المنظمات المتفرعة عنه ، ولكن بضرورة التقيد بالمقررات وعدم تجاوزها، وضرورة السير وفق مقتضياتها ، ولهذا فهو يتبنى في كل المناسبات الدعوة الحارة الى التشبث بمبادىء هياة الامم ومجلس الامن ، والى العمل على تنفيذ مقرراتهما ، حفاظا على كرامة الانسان المنضوي تحت الوية تلك الهيئات اذ ما دام قد رضي اولئك المنضوون تحتها عن طواعية واختيار ان ينتظموا حولها ، بعد ان وضعوا هم بانفسهم ما شاءوا لها ، ووراقهم من تشريعات وقوانين ، وحددوا لها ما احبوا من ابعاد ومجالات ، وانتظروا منها معطيات خاصة معينة بلورتها اهدافها الاساسية ، ما دام الامر كذلك ، فليس من حق اعضائها ان يتنكروا لها ، او يتملصوا من التزاماتها ، او ان يحاولوا تشكيك الاعضاء الاخرين في قيمتها وجدواها .

وانطلاقا من كل تلك الحيثيات نص الدستور المغربي في تصديره على الايمان بهذا المبدأ ، وفي اسلوب تقريري جازم حيث وردت فيه العبارات التالية :

« وادراكا منا لضرورة ادراج عملها — اي المملكة المغربية — في اطار المنظمات الدولية ، فان المملكة المغربية التي اصبحت عضوا عاملا نشيطا في هذه المنظمات تتعهد بالتزام ما تقتضيه مواثيقها من مبادىء وحقوق وواجبات ، كما تؤكد عزمها على مواصلة العمل للمحافظة على السلم والامن في العالم » (10)

ثم ما الرسائل التي وجهها اخيرا الى كل الدول الاعضاء في هيئة الامم ، وعلى راسها الدول الاربع الكبرى الدائمة في مجلس الامن ، حول الاوضاع في الشرق الاوسط ، وما آلت اليه من تدهور بسبب تعنت اسرائيل ، مع وشك انصرام اجل الهدنة المؤقتة دون ان يتوصل الوسيط الاممي (الدكتور يارينغ) الى ايجاد قاعدة سليمة لاجراء المفاوضات المطلوب منه الاشراف عليها بين الاطراف المتناحرة في المنطقة .

وما رسله الذين بعثهم في نفس المهمة الى الشرق والغرب، وما الندوات الصحافية التي يعقدها في هذا الموضوع تباعا ،

وما مؤتمر الرباط لسنة 1969 : مؤتمر القمة الاسلامية ، ومؤتمر القمة العربية . ما كل ذلك الا دليلا قاطعا على ايمان الدبلوماسية الحسنية بما للهيئات الاممية والمنظمات الدولية وما لها من قيمة واعتبار في سياسة المغرب الخارجية . ثم لنستمع الى بعض تصريحات رئيس هذه الدبلوماسية الاول في الموضوع :

« ونحن نرى ان ميثاق الامم المتحدة مع تطبيقه بنزاهة كفيل بتحقيق ما تصبو اليه الانسانية من حرية وكرامة وتقدم وازدهار . وان المغرب لن يتوانى في الدفاع عن ا لقيم التي يقدسها » (11) .

« لقد اسهم المغرب اسهاما فعالا في منظمة الامم المتحدة ، وفي معالجة وحل المشاكل المستعصية التي كانت مطروحة امامها ، وقام بدور ايجابي في مجلس الامن ، ولم تكن مشاركة المغرب في المنظمات التابعة للامم المتحدة اقل فعالية من مشاركته في المنظمات ذاتها مثل اليونيسكو » (12)

« وكنا ولا نزال متمسكين في سلوكنا الدولي، وعلاقاتنا بكافة الامم والشعوب بميثاق الامم المتحدة عاملين بكل الوسائل على دعم المنظمة الاممية ، ونصرة المبادىء السامية التي قام عليها كياننا » (13)

« وقد استأثرت الشؤون الدولية الى جانب هذا بحظ كبير من اهتمامنا . وما كان المغرب يوما

---

(10) تصدير دستور 1970
(11) خطاب العرش لسنة 1963
(12) خطاب العرش لسنة 1965
(13) خطاب العرش لسنة 1966

من الايام غائبا ولا خاملا فى هذا المجال ، بل كان وما يزال دائب الحركة حاضرا حضورا بارزا باسهامه ومبادراته . وكان لبلادنا النصيب الاوفر فى الدفاع عن القيم الانسانية المثلى ، بدعم السلام والامن فى العالم وتقريب الشقة بين الدول الضاربة بسهم كبير فى التقدم الصناعي والدول السائرة فى طريق النمو ، وبمحاربة الميز العنصري ، واستنكار البغي والعدوان ، وبمناصرة الشعوب المهضومة الجانب ، والسعي لتصفية الاستعمار ، والاخذ بمبدأ التعايش الدولي فى نطاق العدالة والكرامة » (14)

ثالثا : التفتح على العالم الخارجي :

وفى اطار الايمان بالتعاون الدولي ، وبالتزامات الاعراف الدولية يندرج المبدأ الثالث لدبلوماسية الحسن الثاني ، أي التفتح على العالم الخارجي .

وكوسيلة لهذا التفتح اتجهت جهود خاصة من مشاريع الانماء الاقتصادي الى ميدان السياحة ، بوصفها — لا مجرد الهية او من ثانويات الاهتمامات للدولة — وانما بوصفها صناعة وطنية يجب ان تحظى بالمبادرات الاولية ، وان تنال اهم المراتب فى المشاريع الوطنية ذات الآجال المحددة .

ومن هنا اعتبرت احدى أقاليم المشروع الخماسي : 1968 — 1972 ، تماما بموازاة الفلاحة واعطيت كل هذه الاعتبارات لما تدره على اقتصاد البلاد من ثروات وعملات صعبة ، وما توفره او تستلزمه من تجهيزات فى كل الميادين ، اذ لم يبق شك الآن فى اهمية هذه الصناعة فى ميدان قيام تفاهم بين السياح ومواطني الدولة المزارة .

وتبذل الدبلوماسية الحسنية فى هذا السبيل من الجهود ما يبشر بأن ازدهارا خاصا قد تشهده فى السنوات العشر المقبلة، خاصة وقد برزت وسائل هذه الدبلوماسية فى هذا الميدان ، برزت فى الاشرطة السينمائية التى تضعها وزارة الانباء والسياحة للتعريف بسحر الطبيعة المغربية ، والمشاهد الاثرية والمظاهر العمرانية التى تزخر بها البلاد ، وفى الدعوات التى توجهها تلك الوزارة لمختلف المنظمات السياحية فى العالم . فما يمر موسم من مواسم السنة دون ان تشاهد ارتال من وفود السياح تفد على بلادنا يجذبها اعتدال المناخ واستقرار الاوضاع، وحسن المعاملة ، وكرم الضيافة ، ودماثة اخلاق المغربي ثم ما يتوفر عليه المغرب فى عمومه من جمال المناظر ، وساحر المشاتي ، وروائع المصطافات .

وايمانا من دبلوماسية الحسن الثاني بفعالية هذا القطاع فى ايجاد ترابطات دولية ، عظيمة الآثار فى العلاقات الانسانية ، وفى قيام تفتح على العوالم الخارجية ، للاخذ والعطاء ، والفصل والانفصال ، والتاثير والتاثر ، لم تتقاعس هذه الدبلوماسية عن مضاعفة جهودها فى هذا الميدان .

وزيادة فى الاهتمام بهذا القطاع لم يفتا الحسن الثاني يعمل على ابراز آثارها الايجابية ، ويدعو الى تنمية عواملها ، ومدها بمزيد من الروافد والمعطيات. ومن هنا كانت سياسة بناء المزيد من الفنادق ذات المستويات المختلفة . ومد المزيد من طرق المواصلات ووسائلها برا وبحرا وجوا . وانشاء المزيد من المجموعات السياحية فى كل أصقاع البلاد وكافة ارجائها .

وكانت حفلة الشاي المقامة فى القصر الملكي بفاس اواخر شهر يناير من هذه السنة ، على شرف جماعة من مديري الصحف والمجلات الامريكية الكبرى ، وما صاحبها من تصريحات الحسن الثاني لهم ، فى شان اهتمام المغرب وحكومته بالصناعة السياحية ، وحثه اياهم على ان يكونوا لسان المغرب فى هذا المجال لدى مواطنيهم الامريكان . كانت هذه الحفلة اعظم برهان على ما تعتقده الدبلوماسية الحسنية من آمال على السياحة وما يمكن ان تحققه من تفتح للمغرب فى المجال الدولى .

وبالاضافة الى ذلك نرى اتماما لهذه اللوحة الزيتية الرائعة التى ترسمها الدبلوماسية المغربية لهذا القطاع ، نرى أن نورد بعض تصريحات الحسن الثاني فى هذا المجال لتوكيد ما اشرنا اليه فى هذا المبدأ الثالث . ومن ذلك كلماته الآتية :

« اننا فكرنا منذ فجر الاستقلال فى الاستفادة من المزايا السياحية التى خص الله بها بلدنا . ولهذا فاننا بوانا السياحة مكانا مرموقا بين المجالات الخصبة المعطاء ، فأوليناها الاسبقية بجانب ما اوليناه من اسبقية كالفلاحة وتكوين الاطارات ... ولسنا

(14) خطاب العرش لسنة 1968

بحاجة الى ان نؤكد أن صواب اتجاهنا فى مضمار الصناعة السياحية ، وتقديرنا لاهميتها فى حياتنا الاقتصادية مما يؤيده تطور الحركة السياحية الدولية فى الوقت الراهن ، واتساع مداها ، وما ظفرت به من مكانة وحظوة . وخليق بنا ، وقد عملنا على أن تكون السنة الحالية – 1969 – سنة دولية للسياحة الافريقية ان نبذل من الجهود فى مجال التعاون الدولي ما هو كفيل بان يعود على السياحة بمملكتنا باعظم الفوائد واحسن العوائد . وان فى رغبة اكبر الشخصيات المهتمة فى العالم بشؤون السياحة فى انعقاد جمعهم ، واقامة مهرجانهم بالمغرب ، لبرهانا جديدا على ما يتمتع به بلدنا من مقام رفيع فى حظيرة السياحة العالمية .. » (15)

ويدعونا الى القول بأن من بين غايات اقامة صناعة سياحية بالمغرب هو التفتح على العالم الخارجي ، ان كثيرا من التجهيزات التى تستدعي الصناعة السياحية اقامتها ، يؤدي بصفة مباشرة او غير مباشرة الى هذا التفتح ، فبالاضافة الى ما توفره اللقاءات التى تتم بين المغاربة واولئك السياح الاجانب فى مختلف الاماكن السياحية من فنادق ومشاتي ومصطافات واندية ومجتمعات . فان اقامة شبكة من المواصلات السلكية واللا سلكية ، ومن الاقمار الاصطناعية التى تسهم فى تسهيل الاتصال بين السياح ومساقط رؤوسهم ومحلات اقامتهم ، تزيد من دواعي التفتح ومن امكانياته الواسعة ، وهذا بالضبط ما لاحظه الحسن الثاني حين قال عنه فى ايمان وحماس : «ان من حق المغرب أن يفتخر بجهازه الخاص بالبريد والمواصلات السلكية واللا سلكية ، فعلاوة على ما له من اثر فى تطور السياحة ، فانه وسيلة من وسائل التقارب الذى نرغب فى تعزيز جانبه بين الشعوب ، وان من اهم ما حققناه فى هذا المضمار أول اتصال اوتوماتيكي فى العالم بين قارتين كبيرتين هما افريقيا واوروبا . فاذا اضفنا الى هذا المشروع اقامة محطة ارضية للمواصلات عبر الاقمار الاصطناعية ، فان بلادنا ستتأهل بهذا الانجاز وبما لها من موقع جغرافي ممتاز لتصبح مركزا دوليا لتحويل المواصلات السلكية واللا سلكية بين القارات » (16)

رابعا : توطيد حسن الجوار والقضاء على كل المخلفات العائقة عن ذلك .

من البدهيات ان لا تشييد ولا بناء ولا انماء بدون ازدهار اقتصادي ، وان لا ازدهار بدون ايجاد مجتمع واع يقظ يحس بالمسؤوليات ويقدر الواجبات ، ويومن باهمية الاسهام فى معركة البناء .

ومن البدهيات كذلك ان التبصر والحكمة فى اتخاذ القرارات والروية فى التفكير والتأني فى انجاز الخطرات من أسباب النجاح .

ومن البدهيات ايضا انه ما كان لمجتمع تتناحر طبقاته دون هدف ، وتتقاعس طاقاته عن مواصلة النضال من اجل الغد الافضل ، مهما تكن المبررات ، ان يحقق ازدهارا فكيف بالاستقرار ، او أن ينجز أعمالا بناءة تحقق له الاكتفاء الذاتي والاستغناء عن الخارج .

ومن البدهيات كذلك وعكس ما سبق ، ان تجميع الطاقات كفيل بتحقيق المخططات ، وان الشعور بالامن على النفس والاهل والمال داخليا وخارجا هو أولى بوادر النجاح فى كل المجتمعات .

وانطلاقا من هذه البديهيات نفيت الدبلوماسية المغربية لعهد الحسن الثاني – بالاضافة الى المبادىء التى اشرنا سابقا الى خطوطها العريضة – تغيت مبدأ توطيد حسن الجوار مع جاراتها الشيقات ، وبالاخص مع تلك التى تربطها بها وشائج وصلات .

والوصول الى هذا الهدف وضعت تلك الدبلوماسية نصب اعينها العمل على اطراح كل مركبات النقص ، والنظر بمجهر الواقع لاوضاع الساسة الدولية واعرافها الآنية ، ثم العمل على التخلص من مخلفات الماضي ورسوباته التى قد تعوق او تعطل الانطلاقات التحررية والتقدمية فى المواقف الجديدة التى يمليها هذا الواقع الذى نحياه ونعيش احداثه .

واذا تقرر المبدا الاهم والاساسي لاحتفاظ الشعوب بوعيها وقدرتها على الخلق والبدع والابتكار فى كل الميادين ، هو قدرتها على التكيف الزمنكي ، وتفهمها لمتطلبات هذا التكيف ، فانه يصبح من

---

(15) – (16) خطاب العرش لسنة 1969 .

السهولة والبساطة بمكان ، لمن يؤمن بهذا المبدأ ، ان يؤمن ، بان عليه ان يتوفر مسبقا وابدا على طاقات قوية تمكنه من تحويل اتجاه معين كان يسلكه الى الاتجاه الاصلح والافيد الذي عليه ان يسلكه ، وان عليه ان يتوفر على قدرة تمكنه ان يستفيد من الازمات بل وان يحولها الى ابتسامات . وان يومن كذلك بان ربح الاصدقاء افضل من اغاظة الاعداء ، وان الجهود المبذولة لتحقيق مطمح انساني عام افضل من تحقيق مطمح آني وقتي.

ودبلوماسية الحسن الثاني — وهي ربيبة حنكة وتجارب ، وخلاصة معاناة شخصية — حين قارنت بين الفوائد التي تحصل عليها من تحسين علاقاتها مع جيرانها الادنين والبعداء ، وبين الصعوبات الناشئة عن التحفظ الذي يبديه بعض الجيران والاخوة الاشقاء امام نواياها الحسنة وارادتها الطيبة رات أن تستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير ، وان تضرب صفحا عن الماضي بكليته وان تتطلع الى المستقبل ، لانها آمنت بأن الذين يظلون يحتقون في احداث الماضي ويجترون ذكرياتها هم في نظر الواقع وعالم الحقيقة اموات غير احياء ، وأن الاحياء حقا هم الذين ينظرون الى المستقبل بأمل ، ووجوههم ضاحكة مستبشرة ، وقلوبهم عامرة بالايمان ، ونفوسهم طافحة بالتوقان نحو الغد البسام .

على ان للجوار حقا قررته الشرائع السماوية، واكدته الضرورات الزمنية ، فاذا اضيف الى ذلك الشعور بوحدة الهدف والمصير ووحدة المقاصد التي تربط بين بعض اولئك لجيران ، كان كل ذلك ادعى الى مزيد من التكاثف والتساند، والى مزيد من التفاهم والتفاضي . وهذا بالفعل ما قررت الدبلوماسية الحسنية أن تتفياه ، وتسلك سبيله ، وحسنا فعلت .

لقد قررت ان تجعل من مؤتمري ايفران وتلمسان اللذين تما بين رئيسي الدولتين الحسن الثاني والسيد هواري بومدين ، منطلقا لاخوة حقيقية رصينة متماسكة العرى بين البلدين : المغرب والشقيقة الجزائر .

وقد كانت النتائج المحصل عليها من وراء ذينك اللقائين حتى الآن رائعة ، وتبشر بمستقبل عظيم . ثم كان لقاء القمة الاسلامية الذي أسفر عنه لقاء الدار البيضاء الذي تم بين قطبي المغرب : الحسن الثاني ، وموريطانيا السيد المختار ولد دادة ، فتحققت به اخوة البلدين ، وتوطدت علاقات القطرين على تقوى من الله ورضوان ، وفتحت صفحات من التعاون الحر النزيه الذي لابد ان يؤتي اكله وان يعود بالخير العميم على جميع الفرقاء والاطراف ، وان يقرب وجهات النظر بينهم في النزاعات الدولية ، ويوحد مواقفهم تجاه قضايا الانسان العربي والانسان المسلم في كل ارجاء المعمور .

وكانت من أول نتائج هذا التصالح الاخوي ان وحدت الخطة بين الاقطار الثلاثة المسلمة المتجاورة : المغرب والجزائر وموريطانيا ، فيما ينبغي ان يتخذ من اجراءات ازاء الوجود الاجنبي في هذا الجزء من العالم العربي والاسلامي .

واذا نحن اردنا ان نضع معلما لدبلوماسية المغرب المعاصرة في هذه النقطة اي حسن الجوار والقضاء على مخلفات الماضي برز امامنا — كمجال لتحديد علاقات المغرب في هذا السبيل — ثلاثة اتجاهات معينة :

علاقة المغرب بموريطانيا والجزائر والمغرب العربي ثم الجامعة العربية ، وعلاقة المغرب باوروبا وامريكا وبالاخص اسبانيا .

خامسا : علاقات المغرب بالجارتين الجزائر وموريطانيا وتمتين الروابط معهما :

في اشارة سابقة تحدثنا عن الاهتمامات الخاصة التي كانت تتمايز بها العلاقات الدبلوماسية المغربية تجاه العالم الاسلامي ، وتجاه كل اولئك الذين ينضوون تحت لواء الرسالة المحمدية . ونضيف هنا ان هذه الدبلوماسية ظلت تصدر في مواقفها تجاه جميع الدول الاسلامية عن فكرة واحدة اساسية وعميقة الجذور في الوجود المغربي ذاته وفي نفوس وافئدة المواطنين المغاربة .

وهذه الفكرة تنطلق مما تمليه العقيدة الاسلامية على معتنقيها تجاه علاقة اولئك المعتنقين مع بعضهم اولا ، وبينهم وبين سائر البشر ثانيا .

ونعلم ان ابعاد الفكرة الاسلامية في هذا الموضوع تحددها المضامين العامة التي تشير اليها آيات قرآنية واحاديث نبوية ، نورد فيما يلي بعضا منها للاستشهاد ، يقول القرآن الكريم موجها الخطاب للمؤمنين : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا، وكنتم على شفا حفرة

من النار فانقذكم منهـا) ـ (انما المومنـون اخـوة فاصلحوا بين اخويكم) .

ويقول محمد رسول الله عليه السلام من بين كلماته في الموضوع : « لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه » ـ « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » ـ « من لم يهتم بامور المسلمين فليس منهم » ـ « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على سواهم » ـ « اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول كلاهما في النار . قلنا يا رسول الله فهذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : لانه كان ينوي قتل صاحبه) .

وعلى ضوء هذه التعاليم سارت جميع الدول المتعاقبة على الحكم في هذا الجزء من العالم الاسلامي فيما يخص سياستها الخارجية ، وعلاقاتها مع غيرها من الدول الاسلامية .

حتى اصبح من المالوف والمعتاد ان يكون التشبث بهذا المبدا ، وتجسيم معطياته على الدوام ابرز الوصايا التي يتواصى بها ملوك هذا البلد ومسؤولوه كابرا عن كابر وسلفا لخلف .

وقد تقيدت الدولة العلوية هي الاخرى بهذه التواصي ، حتى ليمكننا ـ اذا نحن ذهبنا نتقصى وصايا محمد الخامس لابنه الحسن الثاني في هذا المجال ـ ان نعد مآت الوصايا . ولكننا نكتفي هنا بايراد بعضها للاستشهاد ، ونحب ان نثبت في مقدمتها ما ذكره الحسن الثاني في خطابه التابيني لابيه بمناسبة الذكرى الاربعينية لوفاته رحمه الله . قال الحسن الثاني فيما يرويه عن ابيه :

« واياك ان تحيد عن صراط الاسلام القويم ، او تتبع غير سبيل المؤمنين ، فانه لا عدة في الشدائد كالايمان ، ولا حلية في المحافل كالتقوى ، واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وتقرب منه باعمال الصالحة ذراعا يتقرب منك باعا ، واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي ، واشتبهت عليك السبل ، وليكن لك في رسول الله وصالحي الخلفاء اسوة حسنة ، اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »

« ان حرصنا على الاعتصام بحبل الدين ، والتشبث بمبادئه ، والسير على سننه ، ليعد احد العوامل الاساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقل ، وما منينا به من اهوال وخطوب ، وسيظل عاملا اساسيا في تحقيق اهدافنا المنشودة كأمة تواقة الى حياة راقية كريمة » (17) .

« ان المغرب ينتمي الى عالم العروبة والاسلام الرحب الفسيح، وهذا الانتماء يجعله شديد الاهتمام بما يجري فيه ، متتبعا عن كثب تطور احواله ، مؤيدا قضاياه العادلة في المنظمات الاممية ، كما انه سيسعى لتقوية ما يصله به من اواصر معنوية ومادية » .

« وفي الاسلام ما يكفي ويشفي، وقد علمنا التاريخ ان اجدادنا المغاربة والمسلمين على العموم انما سادوا وشادوا بالقرآن الكريم واعتصامهم بحبل الله المتين ، ولا سبيل للمسلمين للخروج من الحالة الحاضرة واهتدائهم الى اقوم طريق الا بالرجوع الى موارد الاسلام الصافية ينهلون منها ويعلون ... فالواجب على رعيتنا ان تتمسك بالدين » (18)

« وحرصا على ان يتم تطور المغرب في نطاق المحافظة التامة على شعائر الاسلام وتعاليمه » (19)

« واملنا ان نرى الشعوب الاسلامية تواصل سيرها الموفق نحو استكمال حريتها وتحقيق وحدتها، وتتعاون على خدمة السلم ونشر الحضارة في المعمور » . (20)

« لما كان الاسلام دين النصيحة فان خير نصيحة نسديها بمناسبة عيد الهجرة النبوية هو أن ندعو ابناء امتنا الاسلامية في المشارق والمغارب على السواء ، الى الاعتصام بحبل الله والتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، والى الاقتداء بهدي الرسول ، وسير الائمة الصالحين من بعده حتى

---

(17) من افتتاحية محمد الخامس الى مجلة دعوة الحق يوليوز 1957

(18) من خطاب العرش لسنة 1957 .

(19) من خطاب العرش لسنة 1959 .

(20) من خطاب لمحمد الخامس بمناسبة العام الهجري 1379 هـ 1960

نعود كما كنا خير امة اخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله » (21) .

« يجب ان تكون شخصيتنا بارزة في جميع مظاهر النهضة ، وان تاريخ المغرب نفسه ليشهد بأن ازهى عصورنا هي العصور التي كان التمسك بالاسلام فيها من ابرز المميزات ، وان كل حركة تحريرية اصلاحية انما قامت على اسس القيم الروحية . ففي اطار ديننا الاسلامي السمح ستوضع كل عمل وكل اصلاح لان المكاسب الدنيوية ليست غاية في حد ذاتها ، لانها مكاسب محدودة ، اما المكاسب الروحية فليست لها حدود ، لانها هي الوجود ، ولانها هي التي تمكن الفرد من حسن التصرف في مكاسبه الدنيوية ، وتكييف تصرفه بالخصال الحميدة حتى لا تكون في المجتمع شحناء ولا بغضاء ولا تفرقة » (22) .

« ان غايتنا بالمحافظة على القيم الاسلامية ، ونشر التعاليم الدينية ، لا تقل عن اهتمامنا باشاعة الرخاء والازدهار والطمانينة بين افراد شعبنا » (23)

تلك بعض تصريحات الحسن الثاني وابيه محمد الخامس حول موقفهما من فكرة تثبيت المغرب — قمة وقاعدة — بالعقيدة الاسلامية ، ودعوتهما الى التمسك باهداب الدين .

والحسن الثاني حين دعا الى عقد مؤتمر القمة الاسلامي بالرباط سنة 1969 كان من هذا النبع يصدر ، لقد هاله ان تعتدي الايدي الصهيونية الاثيمة على حرمة المسجد الاقصى ، حين حرقته ضاربة بالمقدسات الدينية لسائر المتدينين والاديان عرض الحائط .

وغريزته الاسلامية هي التي هدته الى ان الترفع عن توافه الاحداث هو اول شرائط الاسلام . وبدا من طريقة الاعداد لذلك المؤتمر والجو الذي احاط به ان الحسن الثاني كان ينشد وراء ذلك الاجتماع الاسلامي التاريخي هدفا ايجابيا ساميا ، اوسع آفاقا من هذا الواقع الذي كانت تعيشه قبل هذا المؤتمر منطقة المغرب الكبير ، او كانت تجتازه علاقات المغرب بالخصوص مع كل من جارتيه : الجزائر وموريطانيا .

وكان الحسن الثاني في دعوته لمؤتمر القمة الاسلامية في مستوى المعركة ، او كان رجل الساعة كما يقولون ، ذلك الرجل الذي عرف كيف يتغلب على كل الصعوبات التي كانت تعوق تحسين العلاقات بين الاخوة المسلمين ، مع ان الرسول يقول : « لا يحل لامرىء مسلم ان يقاطع اخاه فوق ثلاث » ويقول : « من قاطع اخاه فوق ثلاث فكانما احل دمه »

وعرف الحسن الثاني كذلك كيف يتخطى العقبات ويدوس الاوهام التي حالت دون تحسين الجوار مع الاشقاء المشتركين في كل المقومات الذاتية للوطن الواحد : التاريخ والجغرافية واللغة والدين والعرق .

وهكذا ظل الحسن الثاني على الدوام يهتبل فرصة التقائه بممثلي الدبلوماسية الاسلامية في كل الاعياد الدينية .

وكان خطابه الاخير في اولئك الدبلوماسيين الذين جاءوا يهنئونه بعيد الاضحى المبارك ، اعظم برهان على انه في مستوى المعركة . فقد كان خطابه ذلك خطابا يتسم بالروح الاسلامية التي تنبثق عنها كل حركة دبلوماسية لهذه الامة المغربية ، وكان بالاضافة الى ذلك خطابا يفيض دعوة حارة وصادقة الى التضامن والوحدة في السراء والضراء ، وكان يتجاوز في ابعاده ومعطيات هذه الابعاد بعض المواقف الخاصة التي كان يريد من ورائها مؤججو نيران الفتن واثارة الاحن والاحقاد بين الاخوة الاشقاء ، بث بذور التفرقة ، وتوسيع شقة الخلاف بين اولئك الاشقاء . ولكن دبلوماسية الحسن الثاني عرفت كيف تتقيد في حركاتها الدولية بابعاد الدين الاسلامي الذي اختارته عقيدة ومذهبا وسلوكا .

وانطلاقا من هذه الزاوية لم يتهيب الحسن الثاني في هذا الخطاب الترحيبي الذي القاه في الهيأة الدبلوماسية وجموع المهنئين ان يشير فيه الى ان الدول العربية والاسلامية تجتاز مرحلة صعبة، لوقوفها في فترة تاريخية تتميز بالالحاح في الاختيارات .

واضاف مستدركا بانه كان في تصريحه هذا لا يزعم ان له حق الزعامة على هذه البلاد العربية

(21) من خطاب للحسن الثاني بمناسبة عيد الهجرة لسنة 1383 هـ 1964 م

(22) خطاب العرش لسنة 1962 .

(23) خطاب العرش لسنة 1968 .

والاسلامية . او ان له حق اسداء النصح والارشاد لها : « لاننا نعتقد ــ وكما هو تعبيره ــ ان رئيس كل دولة هو اعرف باحوال بلده واعرف بحاجيات ذلك البلد ، ولكنا نريد فى ذات الوقت ان نؤكد اننا دائما نقف الى جانب الدول العربية التى تئن تحت وطأة الاستعمار وما زالت اراضيها محتلة ، ونعلن اننا معها ، ونؤيد كل الحلول التى ترتئيها اختياراتها لمعالجة قضاياها التى هي قضايانا ، ولم تكن الحركة التى قمنا بها اخيرا حين دعونا رؤساء جميع دول العالم سواء تلك التى صوتت معنا ، او صوتت ضدنا، او امسكت عن التصويت ، الى العمل على ايجاد حل لقضية العرب العادلة، وهي قضية تندرج تحت شعار محمد الخامس ايام نضاله ضد الاستعمار ، هذا الشعار الذى ينادي : « ما ضاع حق وراءه طالب . »

ارايتم غيرة دينية أعظم من هذه ؟ .. أم رأيتم تبنيا للقضايا العادلة كهذا التبني الكريم ؟

وهذه الغيرة الدينية النبيلة هي التى املت على الحسن الثاني ما اختاره اخيرا من سلوك طريق التفاهم المتبادل والتقارب القائم على مصلحة الجميع مع الجارة الشقيقة موريطانيا ، ودعوتها الى كلمة سواء ، هي الاخلاص فى عبادة الله ، والعمل لصالح مواطني البلدين ، وتصافح القلوب بعد الايدي ، والسعي لبناء عالم اسلامي جديد يتساوق ومتطلبات الحضارة الحديثة ، ويتجسم مع مبادىء الاسلام ، والدعوة الى تكتل مغربي ، وسائله التناصح النزيه المبني على المحبة والصفاء ، والتعاون القوي القائم على البر والتقوى ، وغايته الاسهام الجدي فى بناء عالم لا تسوده شحناء ولا بغضاء . ولا تعرقل انطلاقات آماله العظيمة دسائس ولا حروب ، ولا يسود علاقات بنيه تنابذ ولا رياء ولا اعتداء .

وفى نطاق هذا السلوك الاسلامي الرائع ، وبهذه الفكرة المتفتحة النيرة ، وبهذا المثل السامي الذى ضربه الحسن الثاني لسياسة التبصر والحكمة، حين اقام مع موريطانيا علائق حسن الجوار ، القم اعداء الاسلام والمتربصين بالمسلمين وبلدانهم الدوائر احجارا ، واغلق فى وجه المتاصصين الشامتين ثغرات التفريق ، ومنافذ التمزيق ، وفتح لذوي النيات الصالحة والقلوب الطيبة والنفوس الكريمة ابواب الخير والبركات ، وأبعد عنهم شرور الخلافات، فحل التزاور بدل التنافر ، وحل الوفاق بدل الشقاق ، وتبودل العناق وقضي على النفاق .

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما
يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

وقد بدات بوادر النجح تهل ، وعلاقات المنافع تحل ، فاذا الوفود بين الامتين تتبادل ، واذا المشاريع البناءة الهادفة، بالمحاورة والمشاورة تتناول. وكانت اتفاقيات حول ملاحتي البحرية والطيران ، وكان توحيد الخطة لمواجهة الاستعمار ومخلفاته فى المنطقة . ثم كان تبادل البعثات الدبلوماسية التى اعقبها تبادل الزيارات ، وتوجها تماسك الثقافات ، وكان الله اراد ــ وقد كان منطلق هذه العلاقات ما بين البلدين من اواصر الدين ووشائج اللغات ــ ان تكون اللبنات الاولى فى الاتصالات المباشرة عن طريق العلم والعرفان ، تحقيقا لمضمون الآيات البينات « اقرا وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ». فكان اسبوع الثقافة المغربي الذى دشنه فى اواخر شهر يناير 1971 باسم الحسن الثاني ونيابة عنه ، اخوه الامير عبد الله ، وكانت هذه الخطوة المباركة يمنا وبركات ، تبادل المسلمون بسببها فى كل اصقاع الدنيا البشائر، وتهادوا الورود والازاهر، ورددوا فى فرح واستبشار مع الشاعر :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا
وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وكانت هذه الروح الاسلامية المتفتحة هي نفسها التى املت على الدبلوماسية الحسنية الخطوات الاخيرة التى خطتها تجاه الشقيقة الجزائر المناضلة، متخذة من لقاء إيفران منطلقا ، ومن اتفاق تلمسان قاعدة وطريقا .

ولم تكن هذه السياسة العربية الاسلامية اعتباطية لا ارتجالية ، ولكنها عقيدة وسلوك عاهد الله عليها ، والتزم التقيد بها وبمقتضاها الحسن الثاني وأجداده من قبله ونحن المواطنين ، وستظل ان شاء الله سياسة لهذا المغرب العربي الاسلامي الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وقلت ان هذه السياسة لم تكن اعتباطية وانما هي خطة مبيتة مرسومة ، لان من يتعمق فى

مناشئها لن يعجزه ان يجد معالمها فى كلمات صاحب هذه الدبلوماسية ، واليكم بعضها :

« واني اعاهد الله واعاهدكم على ان اضطلع بمسؤولياتي ، واؤدي واجبي طبق مبادىء الاسلام وقيمه السماوية ، وتقاليدنا القومية العريقة ، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا » (24) .

فاذن كانت مواقف الحسن الثاني الاخيرة من الجزائر وموريطانيا تتمشى والسياسة الرشيدة الناجحة التى على الجيران من الاخوة الاشقاء ان ينتهجوها . وبهذا وضعت للحرب اوزارها ، وحل الامن والسلم والصفاء ، وستتدفق بفضل ذلك الخيرات ويعم الرخاء. وفتحت صفحة مشرقة خالدة من حسن العلاقات التى ننتوي – ان شاء الله فى الاجل – ان نفرد لها دراسة خاصة ضمن دراساتنا عن عامة الوحدة بين شعوب المغرب الكبير ودولـه العربية الاسلامية .

واما عن العلاقات الدبلوماسية الحسنية تجاه بقية اقطار المغرب العربي الكبير فنعتقد ان بحثينا : « علاقات المغرب بتونس » و « الحسن الثاني رائد وحدة المغرب العربي » اللذين كنا نشرناهما سابقا فى مجلة دعوة الحق (25) يغنيان عن التذكير هنا بما ساد تلك العلاقات من قوة ومتانة ، وما احاط بها من تبادل المنافع ودفع المضار ، وما اتسمت به على العموم – وعبر القرون – من وحدة التفكير ووحدة الهدف والوسائل والامكانات .

سادسا : تأييد العرب وجامعتهم ومناصرة القضية الفلسطينية

انتهت الدراسات التاريخية الحديثة عن السلالات واصولها ، وفيما يخص سكان المغرب الاولين : البربر ، الى اعتبارهم ابناء عمومة العرب نزحوا الى افريقيا من فلسطين بآسيا عبر برزخ السويس . ومنذ ذلك العهد القديم ، لم تنقطع الانسياحات الآسيوية العربية ، ولم تتوقف عن الورود على افريقيا او على الجزء الشمالي منها بالخصوص . ولم تستطع الاحداث ان تعرقل معطيات الوشائج المتينة التى تربط بين هذا الجزء من افريقيا ومختلف الجاليات العربية الوافدة عليه من البحرين وفلسطين ومنابع حضارة الرافدين .

واذا نحن تابعنا نتائج تلك الدراسات التاريخية ، وجسنا خلال الدروب التى سلكتها مختلف العناصر البشرية التى توالت على مداولة السلطة وزمام الامور فى هذا الشمال الافريقي ، عثرنا على اكثر من دليل مما يثبت ان اولئك السكان الاولين من البربر لم ينصهروا الا فى الجاليات العربية . وبالاخص تلك التى حملت الدين الاسلامي لهذه الديار ، فى الوقت الذى رفض فيه اولئك البربر حتى التعامل مع غيرهم من الفينيقيين والبيزانطيين والرومانيين والوانداليين .

ولم تستوعبهم بالتالي ديانة او حضارة غير ديانة الاسلام وحضارته ، اللتين التحموا معهما فى بوتقة واحدة تاكيدا لوحدة العرق واصل الارومة ، كما كونوا من المبشرين الاولين بهذا الدين السمح الكريم حماة لمبادئه ، وانصارا لمعتقداته ، وذادة عن حياضه ، حتى لم يعد يتنازع احد فى هذه الحقيقة التى يتحدث عنها الحسن الثاني بهذه العبارات.

« ... واذا كان المغرب رفض قبل الاسلام جميع الفتوحات المادية والتأثيرات المعنوية ، فانه تقبل الهداية الاسلامية فى اول عهودها الزاهرة باطمئنان ورضى ، اذ وجد فيها رائده الروحي ومصدر انطلاقه لحياة العزة والكرامة ، فقد اثبت التاريخ انه حافظ على اصول ذلك الهدى واحتضنه وحمله فى امانة الى مختلف الآفاق. ثم انتصب عليه قيما حفيظا حين ابتلي العالم الاسلامي بالنكسة التى تلاقاها ، لحسن الحظ ، اجدادنا المقدسون فى هذا الوطن العزيز » (26) .

وفى اطار الدلائل المثبتة لوشائج العطف والقربى بين اولئك السكان الاولين والوافدين عليهم من الشرق العربي ، ما يحدثنا به التاريخ عن سعة الصدور وعلائم الترحاب العظيم الذى كان لقيه المولى ادريس الاول من سكان وليلي حين وفد عليهم صحبة مولاه راشد ، واناخ بديارهم ونزل بساحتهم .

---

(24) من اول خطاب وجهه الحسن الثاني الى الشعب المغربي اثر توليه الملك 3 مارس 1961

(25) من الخطاب الذى القي بمناسبة انشاء دار الحديث الحسنية 11 فبراير 1964

(26) انظر مجلة دعوة الحق عدد 4 السنة 10

ويقول التاريخ ان ذلك الترحاب كان تقديرا للاصل النبوي الذى كان ينحدر منه الفاتح المولى ادريس .. ومظاهر من هذا النوع تكررت حين عبور عبد الرحمان الداخل صقر قريش هذه الديار فى طريقه الى الاندلس مع عدم اغفال ما يثبته ذلك التاريخ من اخبار حيكت حول اصل ام عبد الرحمن وما قيل من انها بربرية نفزاوية »

وتحت هذا الشعار من التقدير الديني ، ومراعاة الوشائج العرقية استقدم اجداد السلالة العلوية الحاكمة حاليا بالمغرب : الحسن الثاني وابوه واجداده العلويون قبلهما ، استقدموا من الينبوع بالديار الحجازية المقدسة .

وتيمنا بنسبهم النبوي الشريف وعرقهم العربي الاصيل وضع المغاربة عن كامل الطواعية وخالص الاختيار مقاليد امورهم بين ايدي اولئك المستقدمين الذين بادلوهم الشعور بالمسؤولية ، وتحملوا معهم التبعات ، وشاركوهم السراء والضراء ، وذاقوا واياهم النعماء والباساء ، تجلت فى المبادرة المباركة التى قام بها العلويون لانقاذ البلاد ، حين اخذت تنحدر الى هوة التفسخ والميوعة ، واوشكت وحدة الامور وشؤون البلاد ان تصاب بالتصدع والانهيار ، وان تتهارش الايدي السافلة على اجزائها تقتطع منها ما تصل اليه ، فاوقفوا التيار الجارف ، واغلقوا ابواب الفتن الضالة ، وقمعوا الحركات الانفصالية ، وقضوا على اغراض الطامعين ، واعادوا للبلاد وحدتها ، وصانوا حرماتها ، وحرسوا على تقدير مقدساتها ، فاسلست البلاد لهم القياد ، وباركت حركتهم بالولاء والوفاء ، وانطلقت جميع الطاقات الحية تعيد للوطن كرامته ، وللدين عزته ، وللاخلاق حرمتها . وظل الملوك والسلاطين من الدولة العلوية اوفياء لهذه الديار التى استقدمتهم تنشد بركتهم ، كما ظلوا اوفياء لمنابت اصولهم ، ومنحدر عروقهم ، واوفياء فى نفس الوقت للعقيدة الاسلامية التى احلتهم من قلوب المغاربة المحل الاسمى وانزلتهم من نفوسهم حيث الافئدة والحنايا .

ثم اذا كان بعض اولئك الملوك لم يتجاوز وفاؤهم تبادل الهدايا مع الشرق العربي ، وتبادل النصائح والمشاورات احيانا دون قيام سياسة مركزة على الوحدة الحقيقية ، هادفة لتوحيد الاهداف والمصير ، فان محمدا الخامس اعطى لمفهوم العلاقات التى يجب ان تقوم بين هذا الجناح من العالم العربي ، وبين جسم الامة العربية وقلبها ودولها فى الشرق وجامعة هذه الدول ، وقضاياها الآنية والمصيرية ، اعطاها معاني جديدة ، ومعطيات كانت ابعد مدى واعمق اثرا مما عرف قبل عهده . فقد اعلن سنة 1947 فى خطابه التاريخي بطنجة ، بكل صراحة ، ودون تهيب من المستعمر الفرنسي الذى كان يومئذ ينيخ بكلكله على المغرب ، ودون مواربة ، اعلن ان هذا البلد جزء من الامة العربية ، ولها ينتمي ، وهو عضو من مجموعتها ، وانه يتطلع بفروغ صبر الى اليوم الذى يحقق فيه حريته واستقلاله حتى يتسنى له ان يلتحق بالجامعة العربية، التى كانت انشاتها الدول العربية المستقلة لمهد هذا الانشاء ، تمشيا مع السياسة العالمية القائمة على التكتلات الاقليمية والمصلحية .

ولم يتوان غداة احرز المغرب على استقلاله السياسي ان نفذ الفكرة واعطاها مدلولها المجسم حين اعلن تاييده المطلق لمواقف الدول العربية من كل القضايا التى تواجهها ، وعاش يؤكد هذا التاييد فى كل مواقفه وتصريحاته شانه مع كل قضايا التحرر الانساني . واليكم صرخته هذه التى خاطب فيها لاجئي فلسطين : « اخواننا اللاجئين ، ابينا الا ان نزوركم فى المخيمات التى تقيمون فيها لاجئين مشردين عن مدنكم وقراكم ، ونقف وسطكم لنخاطبكم ، لا باعتبارنا ملكا فحسب ، بل باعتبارنا ايضا اخا مسلما عربيا ، يقاسم اخوانه العرب والمسلمين آلامهم وآمالهم ، ويشاطرهم سراءهم وضراءهم ، حيثما كانوا واينما وجدوا » (27)

وجاء الحسن الثانى الذى اكد ــ كما اشرنا سابقا ــ ومنذ السنة الاولى لتسلمه زمام السلطة ، تقيده الكامل وتمسكه التام فى الميدان الخارجي بسياسة ابيه .

وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتغرس الا فى منابتها النخل

وهكذا لم يفتا هذا الملك الشاب يتخذ من المواقف ، ويعلن من التصريحات وفى كل المناسبات، ما لم يعد معه مجال لامكانية وجود ثغرة ما فى الجدار

(27) من الخطبة التى القيت فى مخيم اللاجئين باريحا 29 يناير 1960

السميك والشامخ الذي شيدته العلاقات الاخوية والطيبة بينه وبين اخوانه العرب في الشرق .

وبلغ الامر بالحسن الثاني فيما يخص تأييده المطلق وغير المشروط للعرب وقضاياهم العادلة الآنية منها او المصيرية ، وبالاخص القضية الفلسطينية ، ان اعلن — في الوقت الذي تألبت فيه عناصر الشر ضد العرب وتكالبت عليهم السنون والاحداث ، — بانه منهم ، ومعهم ، مهما تكن الظروف والاحداث . ويفصح في اسلوب تقريري مبين عن هذا التأييد . ولكل المواقف التي قد يرتئي العرب اتخاذها لحل ما يعترضهم من مشاكل ... وقد نعلنا قبل تصريحه الاخير في هذا التأييد ، والذي كان اعلنه امام السلك الدبلوماسي والقنصلي العربي والاسلامي والدولي وامام جموع المهنئين من المواطنين المغاربة الذين اموا قصره لتهنئته بمناسبة عيد الاضحى المبارك .

ومع ذلك فنرى تأكيداً لما جاء في تصريحه بتلك المناسبة ان ننقل بعض الشذرات من مختلف تصريحاته التي ما انفك يفوه بها في مجال تأييد العرب وقضاياهم وخاصة مشكل فلسطين . قال :

« ولم ننس في وقت من الاوقات رغم ما تضطرب به ارجاء الدنيا من احداث جسام ، ان المغرب جزء من العالم العربي وأن بيننا نحن العرب في الشرق والغرب روابط ماسة يجب علينا في كل وقت وحين ان نعمل على تنميتها ، وتعزيزها ، ونحن واثقون من ان الجهود ستتكاثف وتتغلب على الصعاب، وتقضي على كل ما من شأنه ان يحدث الفل ، ويفرق الشمل ، فيتسنى حينئذ للامة العربية أن تنهض وتقوم بالدور الجدير بماضيها وطاقاتها » (28)

« ونعرب عن تشبثنا بالجامعة العربية آملين ان تساعدها الظروف على تحقيق الاهداف التي أسست من اجلها ، تلبية لمطامح الشعوب العربية » (29)

« وفي جامعة الدول العربية ، واصل المغرب سياسته الرامية الى دعم هذه المؤسسة ، التي تضم العرب ، كما واصل مشاركته في الجهود المبذولة من اجل تصفية الجو العربي ، وعودة الوئام بين الشعوب العربية ، وتقوية التضامن بين قياداتها ، وقام المغرب في المؤتمرات العربية بدور فعال في هذا السبيل ، ولم يتوان في مساندة قضية فلسطين العربية ، وتأييد حقوق شعبها ، وانه ليسرنا ان ينعقد مؤتمر القمة العربي المقبل في المغرب ، ونرحب بالذين سيشاركون فيه سلفا (30)

« ففي ميدان العمل العربي رسمنا لبلادنا طريقا لا تحيد عنه ، هو دعم التضامن وتيسير اسبابه ، اذ في ذلك ما يعزز العرب في نضالهم من اجل تحرير فلسطين ، واعادتها الى كيان الامة العربية ، وكذلك تحرير الاجزاء المغتصبة من وطننا العربي التي لم تنل استقلالها بعد ... وقد انعقد في صيف السنة المنصرمة ببلادنا وبدعوة منا المؤتمر الثالث للملوك والرؤساء العرب ، فاسفر هذا اللقاء الكبير عن توقيع ميثاق التضامن العربي ، واتخاذ قرارات هامة اخرى لخير الامة العربية » (31)

« .. لقد عرفت منطقة الشرق الاوسط خلال السنة الماضية ازمة حادة ، افضت الى تلك النكبة التي حلت بالاقطار العربية عقب العدوان الصهيوني، والتي ما زال جرحها لم يندمل ، وآثارها قائمة لم تضمحل ، ولم تكد تنشب هذه الازمة حتى بادرت بلادنا الى اتخاذ موقف المؤازرة والتأييد لشقيقاتها العربيات ، مدفوعة الى ذلك بدوافع اواصر القربى وواجب التضامن » (32)

« .. وما زلنا نعلن استنكارنا للعدوان الذي تواصله اسرائيل في البلدان العربية ، والطغيان الذي تعامل به العرب والمسلمين في ارضهم وعقر ديارهم، ونطالب بجلاء قواتها المعتدية عن التراب المغصوب وطالما صرحنا بانه لم يهدا لنا بال ، ولن يطمئن لنا

---

(28) خطاب العرش لسنة 1962
(29) خطاب العرش لسنة 1963
(30) خطاب العرش لسنة 1965
(31) خطاب العرش لسنة 1966
(32) خطاب العرش لسنة 1968

خطر الا يوم يعود الحق المسلوب الى اصحابه . ويرجع القدس الشريف الى اربابه » (33) .

« .. واذا كنا نولي اهتمامنا البالغ للعلاقات المغربية العربية بواسطة سفاراتنا في العالم العربي، فاننا نسعى جهد المستطاع للعمل على تنمية هذه العلاقات وتمتينها وتطويرها . وقد كانت الزيارة الرسمية التي قمنا بها للمملكة العربية السعودية في ابريل الماضي ، وانتهازنا فرصة الوقوف بالجمهورية التونسية — في طريق عودتنا — دليلا ملموسا على التقارب الذي يربطنا باشقائنا العرب في المشرق والمغرب . وقد عملنا بالاضافة الى هذا على تحسين ما بين الدول العربية وغيرها من الدول الصديقة والشقيقة من علاقات ، وقربنا وجهات النظر فيما بينها من خلاف ، وعملنا كذلك على تدعيم الجامعة العربية بشتى الوسائل والامكانيات ، وقد قام السيد الامين العام لجامعة الدول العربية بزيارة مملكتنا ولمس اكيد اهتمامنا بقضايا الجامعة وشؤونها ، وشاركنا من جهة اخرى في الاجتماعات والمؤتمرات التي عقدت في نطاق الجامعة العربية » (33 م)

سابعا : تاييد قضايا افريقيا ووحدتها :

بما ان العصر الذي تحياه الانسانية الحاضرة ، وتجتاز مراحله المتلاحقة ، عصر امتاز بالسرعة ، في كل شيء ، وبالاخص في ميادين المواصلات ، على اختلاف وسائلها ، وتعدد انماطها ، مما ساعد على ابلاغ آراء الناس وافكارهم الى بعضهم ، وجعلت اولئك الناس يقفون على شيء يجد في القارات الخمس ، بل وفي الافلاك التي تطا اديمها اقدام هذا الانسان ، بل ويشاركون الى حد ما في ايجاده ، ويسهمون في اعداده ، ولو بطريق انتاج مواده الخام ، فان هذه الظاهرة ادت الى اخرى ، هي ظاهرة التكتل بين الجماعات المتساكنة في هذه القارات ، او بين مجموعات مشتركة التاريخ ، او موحدة الاهداف . وحتى اصبح من المتعذر على اية امة مهما بلغت من الرقي العلمي ، والتقدم الصناعي ، والتفوق الحضاري ، والمكانة التقنية ، ان تستغني عن الامم الاخرى ، وبهذا تجلت — اكثر من اي وقت مضى — ضرورة التفاعل البشري وانفعال جميع خلاياه لقضايا وشؤون الخلايا الاخرى ، كما تجلت بصورة اكبر الرغبة الجامحة ولدى الجميع في تمتين الروابط القائمة او احداث هذه الروابط ، وتقوية العلاقات المختلفة لاتجاهات بالاخرين .

وحتى الدول العظمى التي بلغت شأوا بعيدا في مضمار الاكتفاء الذاتي وضربت بسهم وافر في ميادين الانتاج الفائض : اقتصاديا وعلميا واجتماعيا ، اصبحت — هي الاخرى — تحس تلك الرغبة ، وتجد ضرورتها ، وتسعى — في محيطها — ان تجد مع لداتها وقريناتها نوعية ما من التكتل المصالحي ، والتواجد معهم في العواطف والاهداف ، فكان ان شاهد عالمنا المعاصر هذا ، هذا العديد من الاحلاف العسكرية : شرقية وغربية ، ولا شرقية ولا غربية . ومن الاسواق المشتركة ، والوحدات الاقليمية ، كما شاهد احداث المنظمات ، وتاليف الجمعيات ، وعقد المؤتمرات والمناظرات ، تبعا لتباين الاختيارات ، وتضارب التيارات .

فكان من الطبيعي — وتلك اوضاع العالم الذي نحياه ونعيش احداثه — ان لا يشذ المغرب عن القاعدة العامة ، وهو يحتل ذلك المركز الجغرافي الممتاز ، الذي اشرنا الى بعض آثاره في مطلع هذا البحث ، ويحتل من التاريخ الحضاري للانسانية ما تنطق به الاطوار المتعاقبة عليه ، وتفصح عنه المكانة المرموقة التي ستبلى الدهور والازمان ، دون ان ينالها هي اضمحلال او بلى ، او يلحقها تفكك او اندثار .

وهكذا اندفع بحماسه المعهود يشارك في كل الهيئات التي يرى ان فيها منفعة له وللبشرية ، وينخرط في كل المنظمات ذات المصلحة العامة او الاهداف الانسانية الشريفة ، والعاملة على نشر الوية الوئام والمحبة والسلام بين الناس ، وبث فكرة التآلف والتقارب بينهم .

واذا كانت التزاماته العاطفية والفكرية قد حملته على ان يقيم علاقات خاصة مع الشرق العربي والمغرب العربي والعالم الاسلامي، مما اشرنا الى بعض مظاهره سابقا ، ثم مع الانسانية كلها عن طريق الاسهام في المنظمات العالمية والدولية ، فان موقعه الترابي يلزمه التقيد بالتزامات معينة تجاه القارة الافريقية التي يحتل فيها المكانة التي اهلته لها تلك المواقع الجغرافية ، بالاضافة الى ما يربطه ببعض اقطارها من المبادىء الفكرية والثقافية والعرقية .

---

(33) خطاب العرش لسنة 1969

ومن البديهيات ان المغرب – اعتبارا لتلك المواقع – ينتمي للقارة الافريقية ، كما ينتمي مواطنوه لانسان هذه القارة بكل اختياراته وانشطته وحديثه ومبادئه ، بكل عقلانيته وفولكلوره وتاريخه الحضاري، وآماله في استمرار هذه الحضارة . فليس غريبا – والحالة تلك – ان يعلن المغرب منذ استعادته حقوقه السياسية ، واستكماله حريته ، وابراز ذاتيته المتمايزة ، ان يعلن عن انتمائه الجغرافي الذي يرتبط بهذه القارة المتوثبة الى الامام ، المتطلعة الى الغد ، تنتظر منه السعادة والهناء وترجو فيه النماء والرخاء .

واعلن المغرب – تحدوه تقاليد الوفاء لكل من تربطه بهم اي نوع من القربى – افريقيته ، وتبنى الدعوة الى توحيد صفوف رعاياها ، والعمل معهم سوية من اجل انماء قدراتها ، واذكاء روح النضال والحماس في ابنائها ، ومن اجل دفع عجلة التقدم بها الى الامام ، والى بث روح التكتل والتضامن بينهم امام جميع مرافق الحياة ، ونادى على السنة ملوكه وزعمائه السياسيين بالايمان بالانسان الافريقي وبيقظته لمواكبة المد الحضاري .

ولابراز الشخصية الافريقية للمغرب كان الحسن الثاني ابدا السباق الى الانخراط في جميع الوحدات الاقليمية التى نشأتها هذه القارة ، والى الاسهام الفعلي في نضال شعوبها المكافحة ضد الاحتلال الاجنبي ، وابدى كامل استعداده لوضع كل خبرات بلاده التقنية والفنية وكل مقدراتها المادية والبشرية رهن الهيئات التحريرية لهذه القارة ، واعلن بكل وضوح وتركيز تام عن تاييده المطلق لجميع الذين يسعون لانهاء الاستعمار من القارة) وتصفية كل تبعية فيها ، سياسية او اقتصادية .

واذا كانت العلاقات بين المغرب ودول افريقيا قبل الوجود الفرنسي فيها وفي المغرب اقتصرت على بعض التبادلات التجارية ، او مجرد علاقات سياسية بسيطة ، فان هذه العلاقات في عهد محمد الخامس وعهد ابنه الحسن الثاني القائم ، شاهدت تطورات جذرية شملت جميع الميادين وبدون استثناء وما فتىء هذا المكان يؤكد ان انتمائية بلدهما لافريقيا؛ ويعلنان ذلك في كل خطبهما الرسمية والدولية بل وفي احاديثهما العابرة . وفيما يلي ننقل بعض تصريحاتهما التى تبرز هذه الانتمائية وابعادها ومعطياتها :

« يجب ان تعتزوا بقوميتكم وتفخروا بها ... وان يعتبر كل واحد منكم نفسه ممثلا للمغرب ، في هذا البلد الاسلامي بل في افريقيا التى تتطلع الى المغرب باعجاب . نظرا للروابط التى تصلها به » (34)

« .. وفي الميدان الافريقي واصلنا الجهود لتشييد صرح افريقيا موحدة متحررة ، متشبثين بميثاق الدار البيضاء التاريخي ومقرراته الهامة . وان من بواعث الارتياح ان هذه المقررات تدخل في حيز التطبيق ، غير ان قوة ايماننا بضرورة توحيد النضال في افريقيا من اجل القضاء على كل شكل من اشكال التخلف والاستعمار تحدونا لان نبدي اسفنا من الوضع الذي يعض القارة الافريقية التى تتنازع قوتها طوائف وجماعات في وقت هي احوج ما تكون فيه الى لم شتاتها ، ودعم كيانها ، وتوحيد صفوفها ، وتنسيق خططها لسد كل منفذ في وجه الاستعمار الجديد .

ولعل الوقت قد حان للدعوة الى عقد مؤتمر افريقي شامل يهدف الى اقامة تعاون على اساس مبادىء ترمي الى توحيد افريقيا وتحررها وانشاء مجموعة افريقيا متضامنة متعاونة وان في ارادة شعوب افريقيا القوية ، ووعيها ، لخير ضمان لتحقيق هذه الغاية . ولقد اصبح اليوم لزاما علينا نحن الافارقة ان لا نفكر في شؤونها داخل اقطارنا فحسب ، بل في نطاق المجموعة الافريقية ومصالحها العليا ، لذلك ظلت سياستنا الخارجية متمسكة بمناصرة الشعوب الافريقية المناضلة في سبيل استرجاعها حريتها وصيانة كرامتها ، وتحقيق ارتباط بعضها ببعض باوثق الروابط واقواها ، وفي الرغبة الاكيدة في ان تكون صفا متراصا وكتلة متماسكة من شانها ان تواجه كل تكتل يتحين الفرص لاستغلالها وجعلها سوقا يغري بالمساومة » (35)

« كما نعرب عن تشبثنا بميثاق الدار البيضاء الذى نستوحي منه سياستنا الافريقية الرامية الى تحرير سائر الشعوب المستعبدة في افريقيا ،

---

(34) من خطاب لمحمد الخامس القاه بذكار امام رعايا سفارية 23 مارس 1959 .

(35) خطاب العرش لسنة 1962

وتقوية تعاون دولها للقضاء على التخلف والميـز العنصري وكل شكل من اشكال الاستعمار (36)

« وبما ان المغرب قطر افريقي يعنيه ما يعني سائر الاقطار الافريقية من قضايا وشؤون ، فانه واصل نشاطه فى حظيرة المنظمات الافريقية المنبثقة عن ايمان قارتنا العميق بجدوى تكتيل الجهود ، وتوحيد الصف للنهوض بشؤوننا ، واخراجها الى حالة التقدم والرقي » (37) .

« ... واضطلع المغرب ويضطلع فى افريقيا برسالته التي يفرضها عليه موقعه وتاريخه ومكانته فى هذه القارة ، وتتميز مواقفنا فى اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية بتأييد الشعوب المناضلة فى سبيل حريتها واستقلالها ، وبادانة الميز العنصري » (38)

« كما ساهم المغرب فى جميع اجتماعات منظمة الوحدة الافريقية ، وفى ضمنها مؤتمر القمة الافريقي الرابع الذى اجتمع بكينشاسا ، والمؤتمر الاخير الذى انعقد بأديس أبابا » (39)

« ... ولم يكن اهتمامنا بالصعيد الافريقي اقل من اهتمامنا بسواه ، فتمت اتصالاتنا العديدة على مختلف المستويات مع المسؤولين فى الاقطار الافريقية ، وحضرنا مؤتمر القمة الافريقي المنعقد بالجزائر هذا علاوة على ما عقد فى بلادنا من اجتماعات ، وما ابرم من اتفاقات ؛ مما يقوم معه الدليل على الاهمية التى نيطها بالتعاون مع الاقطار الافريقية » (40)

ثامنا : علاقة المغرب بأوروبا وبالاخص اسبانيا :

ينطلق موقف الدبلوماسية المغربية من أوروبا وامريكا من اعتبارين اثنين :

الاول : الموقع الجغرافي للمغرب الذى يجعل من تينك القارتين جارتين لا تفصلهما عنا الا شواطىء الاطلسي والابيض المتوسط ، او مجاز طنجة .

والثاني : الامتداد الحضاري، واعني به تطلع المغرب الى احتذاء اوروبا الحديثة فى ميادين العلوم والتقنية والتقدم الحضاري ، مع ايمانه بأن الحضارة الاوروبية ليست فى منطلقها الا امتدادا للحضارة الاسلامية ، التى تعرفت عليها أوربا عن طريق فتح العرب للاندلس ، هذا الفتح الذى كان عبر المغرب وبمشاركة ابنائه ، وبقيادة طارق بن زياد المغربي .

ولكن المغاربة ــ قمة وقاعدة ــ لايمانهم بضرورة فتح النوافذ على العوالم الخارجية ، ولايمانهم بان الحضارات والمدنيات ليست وليدة امة خاصة من الامم ، وليست فقط نتاج شعب من الشعوب ، وانما هي نتيجة تفاعلات بشرية ، لم يرفضوا ــ ولن يرفضوا ــ فكرة الاقتباس والاقتداء او الاحتذاء حذو الآخرين ، بل لن يستنكفوا ان يكونوا يتتلمذوا اليوم على من كانوا تلامذة لهم بالامس ، لان الحياة مد وجزر ، واخذ وعطاء (وتلك الايام نداولها بين الناس) .

... وانطلاقا من هذا الايمان بالتفتح ، راى المغاربة ان علاقاتهم بأوروبا يجب ان تتسم بالاستفادة من مخترعاتها وصناعاتها الحديثة ، وعلومها التقنية ، وما يتصل بهذه الميادين فحسب ، اي ان تكون علاقاتهم بها مادية تتفيا اولا وقبل كل شيء المساواة فى الحقوق والواجبات ، وترفض التبعية والانحياز .

ويومن المغاربة بأن عليهم من أجل ذلك ان يبذلوا المزيد من تحمل الجهد والمشقة والتضحيات فى سبيل اللحاق بركب هذه الحضارة العملاقة ، دون ان يتخلوا عن مقدساتهم الروحية ، وواجباتهم الدينية ، ودون ان يشعروا بمركبات نقص من كونهم شعبا ناميا متخلفا . وانما عليهم ان يبنوا علاقاتهم بأوروبا وامريكا على الاساس الذى توضحه كلمات الحسن الثاني ، التي فاه بها وهو يستنهض همم مواطنيه ، ويدعوهم للكون دائما على أهبة التضحية، وبذل المزيد من العرق وحتى الدماء . قال الحسن الثاني :

---

(36) خطاب العرش 1963

(37) خطاب العرش 1965 .

(38) خطاب العرش 1966

(39) خطاب العرش 1968

(40) خطاب العرش 1969 .

« ... اننا بحكم صلتنا الوثيقة بهذا العالم المتمدن ، وبحكم كوننا جزءا لا ينفصم عنه ، لا مناص لنا من مشاطرته اهتمامه ، ولا محيد لنا عن استيعاب ما يستخلصه من نتائج ، ويفضي اليه من حلول ، ويظفر به من فوائد ، ذلك أن تطور بلادنا ومسايرتها لموكب الحضارة الذى لا يتردد ، ولا يقف ، ولا يني ، ومجاراتها التي تغذ السير في مضمار النمو والازدهار ، كل هذا موقف على ما لنا من استعداد للاخذ والاستمداد ، وقابلية للاستفادة والانتفاع » (41)

على ان تكون علاقات المغرب باوروبا تعمل للصداقة ، وتمتين الروابط الانسانية كما يقول الحسن الثاني :

« ... اما علاقاتنا مع الدول الاوروبية فانها ما زالت قائمة على اساس الصداقة والاحترام ، وقاعدة تمتين علاقات التبادل والتعاون في ميادين الشؤون الاقتصادية والفنية » (42) .

ولكون علاقات المغرب الدبلوماسية مع بلدان أوروبا ليست كلها من مستوى واحد ، نظرا لتفاوت المصالح ، نرى ان نرسم صورة مصغرة لمواقف هذه الدبلوماسية تجاه بعض الاقطار الاوروبية بالخصوص، انطلاقا من شدة قرب الجوار ، او من تداخل المصالح، او من قيام مشاكل بيننا وبينها لم تجلا حلا ، او ما تزال تبحث عنه وتنتظره . ولكوا اسبانيا تعتبر النموذج لهذا الجوار القريب ، اذ لا يفصل بيننا وبينها الا مجاز طنجة الذى لا يتجاوز عرضه في بعض النقط اربعة عشر كيلومترا ، ولكونها ما تزال تحتل اجزاء من التراب المغربي ، بذلت جهود جبارة ــ وما تزال تبذل في المحيطين : المغربي الاسباني او الدولي ــ لانهاء وضعية تلك الاجزاء الشاذة ، فاننا نرى ان نفرد كلمة موجزة عن علاقات المغرب باسبانيا وبذلك تكون قد رسمنا صورة لفكرة المغرب العامة : فيما يتعلق باولئك الذين يجاورونه على الشواطيء المقابلة لشواطئه من امم اوروبا وامريكا، معتبرين ذلك النقطة التاسعة في دبلوماسية الحسن الثاني .

تاسعا : الدبلوماسية المغربية تجاه اسبانيا :

العلاقات بين المغرب واسبانيا عريقة القدم ، بدأت ــ حسب التاريخ المكتوب ــ مع الافواج البربرية التى عبرت المجاز مع طارق بن زياد ، متجهة صوب الجزء الجنوبي من اسبانيا اي الاندلس .

... ومنذ هذا التاريخ ، اي قبل الآن بثلاثة عشر قرنا ، عرفت هذه العلاقات عديدا من التقلبات وكثيرا من الاتجاهات، ولكنها على العموم لم تنقطع يوما ما ، وان اعتراها مد وجزر بسبب : انتقال الحكم في الاندلس من يد العرب الى الاسبان ، وانتقاله قبل ذلك من الاندلسيين الى يد المغاربة على يد يوسف بن تاشفين اثر عودته من طرف قيدوم ملوك الطوائف : المعتمد بن عباد ، للعبور الى الاندلس لصد غارات النصارى على الممتلكات الاسلامية (43)

وكان ظرف انتقال الحكم من يد دولة الى اخرى ــ وخاصة في تلك العهود ــ مدعاة على الدوام لبروز محاولات استقلالية يقوم بها المغامرون والمتربصون الدوائر بكل واقع ، وكان خروج العرب المسلمين من الاندلس مدعاة لاطلاق يد القراصنة الاوروبيين ، في مطاردة كل شيء ينتمي للمغرب ، بوصفه المنطلق الاول والمباشر للجيوش العربية الاسلامية التي كانت فتحت اسبانيا . وبوصفه ايضا الملجا الذى آوى اليه اولئك المطاردون من مسلمي الاندلس المنهزمين .

... ويحفظ لنا التاريخ ، كما في « رحلة الوزير في افتكاك الاسير » لابي عبد الله حمو بن عبد الوهاب الغساني الاندلسي الفاسي ، الذى كان اوفده المولى اسماعيل في سفارة الى اسبانيا ، كيف ان من بين اهداف رحلته افتداء الاسرى المسلمين من جهة، واستعادة الكتب المغربية التي كان قراصنة اسبان استولوا عليها مع السفن الحاملة لها .

... ويحدثنا التاريخ من جهة اخرى كيف ان هذه الكتب التي هي الكتب الموجودة حاليا في مكتبة « الاسكوريال » كان السلطان زيدان بن المنصور

---

(41) خطاب العرش لسنة 1968

(42) خطاب العرش لسنة 1969

(43) انظر كتابنا : ماساة انهيار الوجود العربي في الاندلس .

الذهبي هو الذي شحنها من آسفي في سفينة ربان فرنسي ليحملها اليه الى السوس ، حيث كانت عصابته المؤيدة له بعد ان كان ثار عليه بعض اقاربه املا في تنحيته عن العرش ، وكيف ان هذا الفرنسي فر بحمولته حين لم تدفع له اجرة سفينته، وانه وقع بعد ذلك فريسة قراصنة اسبان ، انتزعوا منه ما كان يحمل ، ومن بين ما انتزعوه منه تلك الكتب التي اهدوها لملكهم « فيليب الثاني» الذي اهداها بدوره الى دير القديس « لورينسو » الذي كان يشيده ابامئذ في المحل المسمى (الاسكوريال)

... ثم ظل الملوك العلويون الذين تسلموا الحكم من يد السعديين يطالبون اسبانيا برد هذه الكتب في كل مناسبة .

... وهكذا نلاحظ ان العلاقات بين المغرب واسبانيا — وان عرفت بعض الغيوم — وما تزال تعرفها — لم تنقطع يوما ما وبالاطلاق.

... واذا كانت سفارة المولى اسماعيل الذي اعتلى العرش المغربي بعد وفاة اخيه المولى الرشيد سنة 1082 هـ والتي كانت اي هذه السفارة برئاسة الغساني كما قلنا ، فان الموقف الصارم والعنيف الذي وقفه المولى محمد بن عبد الله محرر الشواطيء المغربية من السيطرة الاجنبية موقفه من دولتي البرتغال والاسبان ، حين طردهما مما كانا يحتلانه من المراسي المغربية ، هذا الطرد الذي انتهى باستعادة الجديدة سنة 1761 م ، هذا الموقف عرض تلك العلاقات الى نوع من التدهور والانقطاع .

... حتى اذا جاء القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين حيث فرضت اوروبا استعمارها الغاشم على كل اجزاء العالم الموصوف حاليا بالعالم الثالث ، تعرض المغرب — او اجزاؤه الشمالية وبعض الجنوبية — لغزو اسباني احدث في العلاقات المغربية الاسبانية دماء جديدة وان لم تكن كلها طاهرة ولا زكية .

وقد انتهت تلك العلاقات في بداية الستينيات من هذا القرن الى انهاء الاستعمار الاسباني في الجزء الشمالي من المغرب كله اثر انتهاء الاستعمار الفرنسي ، والى تحرير « سيدي ايفني » ولكن ما يزال الوجود الاسباني قائما في صحرائنا التي يدعيها ويدعي نسبتها اليه ، وهذه الصحراء هي ما يدعى بوادي الذهب والساقية الحمراء .

... والملاحظ ان وضع العلاقات الحالية بين المغرب واسبانيا — بسبب هذه الاجزاء المغربية التي ما تزال تحت السيطرة الاسبانية — اشبه الى حد كبير بما كانت عليه تلك العلاقات ايام المولى محمد بن عبد الله ، بسبب تعنت اسبانيا ورفضها حتى الآن الانصياع لقرارات هيئة الامم المتحدة التي كانت اصدرتها في شأن تقرير مصير هذه الاجزاء المتنازع عليها بينها وبين المغرب .

... ومن المعلوم ان المغرب — تمشيا مع مبادئه التقليدية القائمة على اعطاء جميع الشعوب حق تقرير مصائرها بانفسها — كان قد قبل توصيات الهيئة الاممية القاضية باجراء استفتاء شعبي في تلك الاراضي تحت اشراف مراقبين امميين لمعرفة رغبة السكان الاصليين ، ولكن اسبانيا من جهتها تتذرع بضباب المعاذير تهربا من تنفيذ التوصية .

... وقد بذل الحسن الثاني من اجل تصفية هذا المشكل — وبالتالي تصفية العلاقات بين البلدين مما يعلق بها حاليا من غموض ، ويعوقها عن الانطلاق المثمر — بذل جهودا جبارة لانهاء الخلاف ، اذ يعلم ان للجوار قيمة خاصة ، وان بين البلدين وشائج قربى التاريخ وبعض الابعاد الثقافية، ما لا يسمح بوجود اي خلاف بينهما .

... واملا في تحقيق هذه التصفية ، قام بنفسه بزيارة اسبانيا في شهر فبراير من سنة 1964 م

ولاعطاء هذه الزيارة قيمة خاصة ولاظهار ما كان يعلق عليها من آمال ، سجلها الحسن الثاني في خطاب العرش للسنة المذكورة ، وعبر عنها بهذه الفقرات الطافحة بالرغبة الصادقة في تحسين العلاقات بين البلدين . قال الحسن الثاني عن هذه الزيارة :

« ... كما لبينا في الشهر الماضي دعوة كريمة من صديقنا الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية، فقمنا برحلة خاصة الى اسبانيا مكنتنا من الاجتماع بفخامته ، ويسرت لنا ان نتبادل واياه وجهات النظر في كثير من المشاكل والقضايا التي تشغل بال شعبينا الصديقين المتجاورين ، وسجلنا واياه بمزيد الارتياح تحسن العلاقات بينهما في شتى المجالات » .

... ولا شك ان هذه الزيارة الملكية كأخواتها الزيارات التي قام بها ممثلو جلالته ومختلف وزرائه

الى اسبانيا ، كانت كلها تهدف الى قيام ترابطات وعلاقات ، اساسها الود المبني على تصفية مخلفات الماضي ورسوباته العفنة ، تلك التي قد يكون لها تأثير في تعطيل تزكية هذه العلاقات وتوجيهها لما هو افضل .

... والحسن الثاني – منذ سنة 1963 – كان ينشد هذا الود ، ويتوخى تلك الصداقة مع الجارة اسبانيا ، فقد جاء في خطاب العرش لهذه السنة وفيما يخص هذه القضية ، الكلمات التالية :

« وممتازت السنة المنصرمة بخلق اجواء ملائمة لتحسين علاقاتنا باسبانيا ، تمهيدا لحل المشاكل القائمة ، واوفدنا ممثلنا الشخصي وزير خارجيتنا الى الديار الاسبانية خلال شهر اكتوبر ، واستقبل من طرف فخامة الجنرال فرانكو رئيس الدولة الاسبانية ، والمسؤولين في حكومته استقبالا وديا ، ويتمثل هذا التحسن ايضا في الزيارة التي قام بها نائب رئيس الدولة الاسبانية الجنرال « منيوس كرنديس » الى المغرب . وهذا جميعه يعتبر خطوات مشجعة في سبيل تصفية مخلفات الماضي ، واقامة علاقات المغرب واسبانيا على اسس جديدة »

... ثم في كل المناسبات ، كان الحسن الثاني يضغط على هذه الناحية في العلاقات المغربية الاسبانية ، ويبرز مدى اهتمامه بقيام علاقات ودية مع الجارة اسبانيا ، اساسها التعاون المثمر ومراعاة حقوق الجانبين .

... وهكذا لا تمر فرصة دون ان يشير الى هذه النقطة ، وفي اسلوب تبشيري ان صح التعبير . ومن ابلغ تصريحاته في الموضوع ما جاء في خطاب العرش لسنة 1968 فقد قال جلالته :

« ... على اننا واصلنا خلال السنة الماضية المساعي لحمل صديقتنا الدولة الاسبانية التي تربطنا بها روابط الجوار ، والمودة القديمة ، على وضع القرار الذي اتخذته منظمة الامم المتحدة ، في شأن ايفني والساقية الحمراء ووادي الذهب ، موضع التطبيق والتنفيذ ، واننا لنأمل ان تسفر جهودنا المتوالية عن النتائج المطلوبة التي لن تزيد روابط الاخاء واواصر الجوار والصداقة الا قوة ومتانة » .

ويزيد الحسن الثاني وضوحا لهذه الآمال التي يعلقها على تحسين العلاقات مع الجارة اسبانيا حين يعود في خطاب العرش لسنة 1969 ليكرر ما فاه به، في السنة قبلها مذكرا بالنتائج التي توصل اليها البلدان عن طريق التفاوض والحوار المباشر الهادي، فيقول :

« ... ولقد كان من اهم ما يشغل بالنا ، ويسترعي اهتمامنا ، تلك الجهات والاطراف المغصوبة من اراضينا والمقتطعة من بلادنا ، ففي مثل هذا اليوم من السنة الماضية اشرنا الى اننا لن نألو جهداً لاقناع صديقتنا الدولة الاسبانية التي تربطنا بها روابط الصداقة والجوار ، لوضع القرار الذي اتخذته منظمة الامم المتحدة في شأن ايفني والساقية الحمراء ووادي الذهب موضع التنفيذ ، وقد اسفرت مفاوضاتنا اخيرا مع اسبانيا عن عقد اتفاق في مدينة فاس يقضي برجوع منطقة ايفني الى حضيرة المملكة في اجل قريب .

« ... واننا لنستبشر باسترداد هذا الجزء الغالي استردادا هو نتيجة جهود بذلناها وثمرة محادثات ومفاوضات واصلناها ، وان في هذا لبرهانا على ما نحن متشبعون به من حب للسلام ، وايثار لسبيل التفاوض والتفاهم للتغلب على الصعاب ، وفض المشاكل ، كما توصلنا الى الغاء الاتفاقات المبرمة بيننا وبين اسبانيا في القرنين : الثامن عشر والتاسع عشر فيما يخص الصيد البحري ، وعقدنا معها اتفاقا آخر بشأن هذا الصيد وطرق مزاولته دون ان يكون فيه مس لسيادتنا .

« .. ويطيب لنا ان ننوه بالتفهم وحسن الادراك الذي برهن عنه الجانب الاسباني ، ونأمل ان تتلو هذه الخطوة خطوات اخرى ، يكون من حميد نتائجها الوصول الى حل سائر القضايا بين دولتينا »

... وبعد ، فتلك نظرات عابرة وخاطفة القيناها في هذه العجالة على بعض مظاهر الدبلوماسية المغربية في عهد الحسن الثاني الزاهر الذي نأمل له طول البقاء ودوام الاستمرار . فان كنا وفقنا في طريقة عرضها فذاك المأمول ، اولا ، فيكفينا اننا وضعنا بدورنا لبنة في بناء هذا الهرم الشامخ . وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فاس – عبد الكريم التواتي

بمناسبة الذكرى العاشرة لجلوس الحسن الثاني على عرش أسلافه الكرام

رسالة الدولة العلوية من البدء ضمان حرية الوطن واستقرار البلاد وانتصار دين الله

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

اذن لا خوف على هذه الامة ، وروادها ينفذون مخططا مدروسا ، ومبادىء محددة ، وبرامج مبيتة ؟.

لا اتحدث عما قامت به جمهرة الملوك العلويين من تطهير البلاد من الفساد والمفسدين، كما لا اتحدث عما قاموا به من جهود مضنية في احياء ربوعه الاقتصادية بعد ان وجدوه هيكلا عظيما اخنى عليه الدهر !! كما لا اتحدث عن عدوين تحسبين من الصعوبة التغلب عليهما ، **هما الفوضى والانحلال ، وخراب الاقتصاد ، والعدو الاجنبي المحتل للشواطىء .**

بل اكتفى بتسطير بعض مواقف رجالات هذه الدولة العظيمة ، في **(ميدان الانتصار لدين الله ولغة القرآن)** اذ رسالة هذه الدولة هي البناء والتشييد وتطهير الثغور من المحتل ، وتنظيم الحياة الروحية للدولة المغربية منذ عهد الحسن الداخل ومولاي علي الشريف والذرية الطاهرة . **احفاد** النبي الكريم ، الى عصرنا الحاضر والى ما شاء الله ..

فهذا المولى الرشيد : يشجع العلماء . ويعظم شعائر الاسلام ، ويهتم بطبقات الطلاب ويؤسس الخزائن العلمية ، يحبس عليها نفائس الكتب ، وينظم شؤون الاوقاف الاسلامية ، ولقد ابدع في وصفه من قال :

ثم جاء المولى الرشيد بن الشريف : فاعلى منار العلم ، واوضح نهاره ، واكرم العلماء اكراما لم يعهد . واعطاهم ما لم يعد .. وبعمله الجليل هذا ، فضح من قبله ، وأتعب من بعده . ولو طالت ايام حياته لتواردت عليه طوائف العلماء من كل الانحاء .

وهذا المولى اسماعيل البطل : نجده في زحمة اصلاحاته المتعددة ، ومنجزاته المتكاثرة ، وفتوحاته المدهشة ، ومنشئاته الخالدة يبدي كامل اعتنائه بالعلم والعلماء بتعظيم شعائر الدين بالاعتناء بطلابه، بالاحباس الاسلامية ، بافتداء الاسرى : وموقفه يوم الانطلاقة الكبرى في تنظيم جيش البخاري لتحرير أطراف المغرب من الغاصبين يحدثنا التاريخ انه ، قدس الله سره ، جمع حوله قادة الجيش العظيم وقال :

« انا وانتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرعه المجموع في هذا الكتاب ، « يعني صحيح البخاري » فكل ما امر به نفعله ، وكل ما نهى عنه نتركه ، عليه نقاتل ، وفي سبيله نستميت ، انها نفحة النبوة تفوح مسكا وعنبرا ، دامت ذكراك العطرة يا اسماعيل ، فلقد تجاوز حزم هذا الملك في ميدان الحفاظ على العلم والدين والتفكير في تعظيم شعائر الاسلام ، حزمه في تنظيم الجيوش للجهاد في اعلاء كلمة الاسلام ، والدعوة باطراف المعمور للملوك والامراء بالانخراط في سلك جماعة المسلمين .

وهذا المولى محمد بن عبد الله : لجانب النماذج التاريخية في الحضارة والعمران والديبلوماسية والرخاء والامن والطمانينة، وتنمية الاقتصاد الوطني، نجده يقتفي اثر جده اسماعيل حيث يشرع في فت الاسرى ، ويجود بالمساعدات ، **بالمال والعتاد لدولة آل عثمان نصرة لدين الله ؟**

اما الاعتناء بالعلم والعلماء وبالطلاب والبعثات للخارج والعمل على جلب الكتب النادرة ، وتاسيس الخزائن العلمية بكل انحاء البلاد فشيء عز نظيره ؟

لقد عرف المغرب في عهد هذا الملك المصلح نهوضا بالعلم والمعرفة ، وازدهارا في الآداب والحضارة الفكرية الاسلامية ؛ انه العالم المشار له بالبنان ، والمجتهد البارع الذي لا يجارى ولا يبارى، كما يقول في حقه ابو القاسم الزياني، ولا ادل على صدق قوله من مساهمته في الخزائن الاسلامية بعدة مؤلفات فريدة من نوعها : **((كتاب الفتوحات الالاهية في احاديث خير البرية)) ، ((كتاب الجامع لصحيح الاسانيد المستخرج من ستة مسانيد)) ، ((كتاب مواهب المنان ، بما يتاكد على المعلمين تعليمه للصبيان)) . .**

ان كتبه ومؤلفاته والانظمة الاسلامية المتكاملة للدراسة بكلية القرويين اقدم جامعة اسلامية عرفتها اللغة العربية في عهودها ، وتشريعاته القضائية وتقنيناته للاحوال الشخصية الكل مستنبط من الكتاب والسنة وموافقة لعصر التطور والنهضة الحديثة المطلة .

دامت العبقرية في شخصيتك ، ودام رضوان الله عليك يا محمد ابن عبد الله .

وهذا المولى سليمان سلطان العلماء :

فلجانب ورعه وتقواه، وزهده وغيرته وحماسته لتطهير المغرب العزيز من دنس المغيرين ، الى جانب الرفق بالرعية وبالضعفاء والمساكين . الى وفرة عقل ، ومبرة حياء من الله ، الى العمل على اسقاط « المكس » الذي يشوه سمعة التعاليم الاسلامية بالدولة ، والاستغناء عنه **باعشار الزكاة ؟** وفيها الكفاية فعهده رضوان الله عليه عهد مبارك ميمون ، ازدهرت فيه العلوم والآداب ، وراجت اسواق العلم وكثر طلابه ، والنساخ والمؤلفون ، وامتلات رحاب القرويين ، والعديد من المدارس والمساجد بحلقات العلم والعرفان .

وحري بنا ان نسجل لهذا الملك النقي روح السلفية التي سادت عصره الذهبي ، روح التحرر الفكري الذي استحوذت على روحه الطاهرة ، فعاش المغرب في ايامه اياما جميلة وعهودا خالدة في ظل **((العدالة الاجتماعية)) و ((الاخوة الاسلامية الصافية))**

وهذا المولى محمد بن عبد الرحمن (1) :
الذي يعد بحق من رواد النهضة والعاملين على تطور انظمة الدولة ومسايرة العصر ؟ فلقد ارسل البعثات العديدة للخارج بقصد تنظيم الاطر الحية للسير بالمغرب قدما كما فتح الابواب على ابراز المطبعة (2) وامور **الميكانيك** المختلفة الاشكال والالوان ، وجلب كل ما من شانه تقدم المغرب ورفع مكانته ، بالعلم والعلماء ونشر الوية التربية الاسلامية ، بسائر الاوساط المغربية ، وهو بحق مخطط مبادىء النهضة ، والمشرع الاول للاخذ بالعلوم (3) الحديثة

(1) ناهيك به من ملك تخرج من مدرسة الهندسة التي اسسها والده المولى عبد الرحمن داخل القصور الملكية بفاس سنة 1844 م تخرج منها هذا الملك العبقري ، عالما بارعا في الحساب والتعديل والهندسة والنجوم .

(2) ففي عهده بدات النهضة العلمية ، وحركة التاليف والنشر بل والطبع على اول مطبعة حجرية اسسها سنة 1865 م سهر بنفسه على استيرادها وتخطيط اهدافها وعمالها ، وتنظيم ميزانيتها القارة للعاملين بها ، والاطارات المتدربة لشغل الاماكن التي قد تشغر او تحدث كعمل توسعي

(3) لقد فتح هذا الملك العبقري بنفسه حركة التصنيع الحديث بالبلاد ، فكون مصانع القطن ، والبارود ، ومصانع السكر ، التي كانت ثورة في عالم الصناعة الغذائية المغربية ، وتابع عمله في ميدان التصنيع والتنمية الاقتصادية فاسس الرحى ، التي جاء بها لطنجة لطحن الحبوب على الطريقة الحديثة ومنها مصنع القطن الذي امر بتركيبه في الرباط سنة 1279 هـ ودا «مابرنكة» السكر باكدال بمراكش وما الى ذلك .



صاحب الجلالة فى مناسك الحج ...

لجانب التمسك بجوهر الاسلام الذى يقول كتابه المقدس لنبيه المشرع : « **وقل رب زدني علما** » انه الملك الذى اهتدى بهدي القرآن فشيد المساجد واصلح منها المفتقرة للاصلاح . وساهم بطبع الحضارة المغربية بميسم التجديد ، حيث جلب ادوات علمية مستحدثة **من ساعات فلكية ومجاهر علمية** ، واضفى على البلاد طابعا جديدا استخرجه من الاحداث الجسام (4) التى توالت على البلاد ! فقد لقيته **ازمتان عظيمتان** « ازمة ايسلي (5) » ثم « ازمة تطوان (6) » وضاق نطاق المغرب لولا ايمان هذا المسلم الحازم الذى استفاد من الاحداث ! وخطط الذى استفاد من الاحداث ! وخطط طرق التجدة لبلاده من هاتين الورطتين فاحدث الانظمة الجديدة **للجيش (7) وللحكومة (8) ، ولسائر مظاهر (9)**

---

(4) **لقد قاوم رحمه الله الامتيازات والتدخلات** ووقف في وجه الرابضين بالشرق والمتحفزين في الشمال من الاعداء المستعمرين ، وحمى البلاد من كل خطر بل وبنى امة بناء عصريا وبسرعة منقطعة النظير حتى يمكن في مدة وجيزة من أن يجعل منها دولة ترقى الى مصاف الدول العصرية .

(5) فلقد جرت وقعت « ايسلي » مع الفرنسيين عقب احتلال الجزائر ثم « وجدة » المغربية وهو اذ ذاك ولي عهد المملكة وكان المتحمل المسؤول عن الدفاع عن الدولة والوطن المفدى فكانت لهذه الوقعة بمثابة « اشعارة » لها مدلولها العميق فيما يستقبل المغرب من احداث وجديد .

(6) وقعة تطوان ، فاحتلالها جرى في عهد ملكه الشامخ والاسبان باستيلائهم على تطوان وما حولها يضاهون بذلك الفرنسيين بوجدة ، ويجددون« الاشعارة » بما ينتظر المغرب من احداث وجديد . فكان جميع ذلك مبررا حاسما ، وعاجلا لخلق جيش عصري مسلح باسلحة الوقت ومجهز بكل آلات الحرب والدفاع .

(7) صاحب الترجمة اول من نظم الجيش واتخذ العسكر على الطرق الحديثة بالمغرب ، وكان ابتداء ذلك ايام خلافته عن ابيه عقب وقعة « ايسلي » وذلك يدل على اصالة رايه ، ورجحان عقله رحمه الله .

(8) كانت حرب تطوان متممة للدروس المستخلصة من حرب «ايسلي» ودافعا ثوريا وحافزا حاسما لقلب تاكتيك « الجيش والتنظيم السياسي والاداري للمغرب .
وهكذا ظهر اول وزير للبحر في المغرب على عهده ، وهو الوزير الذى يمثل المغرب في الخارج ، ويباشر الاتصالات والعلاقات مع نواب الاجناس وسفرائها فهو وزير الخارجية في عصرنا المعايش : وهو المتلقي لتعليمات الملك في كل ما يتعلق بالاجناس ، ومشاكل المغرب الخارجية، كما ظهرت تنظيمات وزارية تلائم ما وصل اليه العصر من تخصص وتفرغ للمهام ، والوظائف والاعمال : فقد كان له وزراؤه المساعدون وحجابه وقواد مشورته الاكفاء ، وكتابه القدرة ، وسفراؤه الذين يتقنون « اللغات الاجنبية » ونوابه وقضاته ، ونظارة ومحتسبون ، وعماله ، وقواده ، وامناؤه الى جانب ما يتبع المذكورين من مساعدين ورؤساء اقسام ، ومنفذين تقريبا ان لم يكن اكثر من التقريب كما هي عليه ادارة اليوم .

(9) وفى عهده سنت تشريعات حفظ الاوقاف والاحباس وحصر املاكها ومداخلها وريعها وحصر صرفها في مواجبها الخ ..
وفى عهده صدر الكبح لموجبات الغلاء التى تنقض عادة على الدول المتخلفة بفعل تهجمات السلع الاجنبية الاخ . .
وفى عهده رضي الله عنه نظمت طريقة العمل في المراسي والشواطيء والموانيء وخصص للامناء والعاملين بها اجورا ثابتة كافية ، مع تنظيم الصادرات والواردات والضرائب المستخلصة الخ ..
وفى عهده، ايضا، صدور اول تنظيم مالي معاصر لميزانية الدولة سواء في ذلك حصر مداخيلها او مصاريفها التى كانت معروفة انذاك بالصاير . وكما يقول المؤرخ ـ اكنسوس ـ اجريت الانهار ، وفجرت العيون ، واصلحت القنوات ، وغرست عدة جهات بالمغرب ، بعد أن كان القحط وقلة ـ



جامع سيدي محمد بن يوسف بالدار البيضاء ساعة افتتاحه
امتلاء الصحن بالمصلين
ويرى بعض الرجال الرسميين داخلين من بابه

العمران فى دائرة الحفاظ على (10) شريعة الاسلام ومميزاته ومفاخره رحمه الله ورضي عنه .

وهذا المولى الحسن الاول: الذي عرف بميزة اعتباره، **ملكه فوق فرسه ، وعرشه على صهوة جواده يقطع السهل والجبل لنشر الوية الامن والطمانينة** ، ونشر العلم والمعرفة والنهضة انى حل او ارتحل ؟ وعصره يعد بحق نموذجا حيا يساير التقدم والعمران ، وهيبة الدولة وتمتين الجهاز الاداري والقضائي بكل أرجائه وجوانبه ، الملك الذى اهتم بارسال بعثات علمية للخارج لتكوين **((اطر الدولة))** فى مختلف الميادين ، والاتصال بالدول الناهضة للاستفادة من الحياة الجديدة المنبعثة بأوربا ، كما بادر بالشاء وشراء المدافع وآلة السلاح لتزويد جيش المغرب بالانواع الجديدة منه ، **واعد لذلك المكينة الشهيرة بفاس .**

واستجلب الخبراء لتدريب جيش المغرب وتكوينه .

كل هذا الى الجانب الورع ، والتقوى والتفاني فى خدمة الاسلام فى التشريع والتقنين وجلب العلماء واتخاذ طائفة من خيرتهم للاستشارة والراي ، كما عرف هذا العبقري ببعد الفكر ، وحسن النظر ، والاستقامة والسلوك الجميل مع ربه ، ومع شعبه ، حتى عد عصر دولته من ازهى عصور الدولة العلوية المجيدة .

وهذا محمد الخامس المحرر الاكبر :

وماذا عساني ان أسجل له من مناقب ومزايا : وقد التزمت فى كلمتي الاكتفاء بتحرير بعض مواقف رجالات هذه الدولة العظيمة فى «ميدان» **الانتصار** لدين الله ولغة القرآن :

ورغم تمسكي بالمبدا ، لا ارى بدا من المرور مر الكرام على بعض مزايا الفوج الاخير ، أي منذ عهد **المولى محمد بن عبد الرحمن** ، الذى ابتلي عصره بضربتين **قاتلتين لولا لطف الله بالمغرب .**

ولقد وجد هذا الملك الهمام البلاد المغربية مكبلة ومسلسلة بأوضاع الحماية البغيضة !

وجد المغرب فى ازمة خانقة ، والشعب المغربي فى ضيق وحرج ، رغم ما بذله المغاربة الاحرار منذ ظهور بنود الحماية من الدفاع المستميت ، والثورات المسلحة بكل انحائه ! والتضحية بكل عزيز وغالي فى سبيل تحريره واعزازه ، كانت الثورة عارمة شعارها: **الانتصار على الاستعمار او الموت** ؟ القبائل المغربية والمثقفون المغاربة ، **العلماء والطلبة** ، وكل فئات الشعب **تعلن رفضها المطلق للوجود الاجنبي** ؟ تربع على عرش اسلافه وخطب فقال : ان الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرة ، لا من اجل تنمية سعادته المادية وحدها ، ولكن لتكفل له الانتفاع من تطور فكري يكون متلائما مع احترام عقيدته ، وهكذا افتتح خطواته الاولى ، باصلاح **امور الدين** وصيانة **علومه ، وتشريعه ، وقوانينه** ، فوضع نظاما محكما اساسيا لكلية القرويين ، **والمعاهد الدينية** بالمغرب ، وانشا المساجد واصلحها وكفاه مفخرة وعظمة ، **المسجد المحمدي بالبيضاء** ، بيض الله وجهه يوم تبيض وجوه ، العمل على تطهير التعاليم الاسلامية وبالاخص فى المواسيم والاعياد ، حيث نظف وطهر البلاد من تلك الرعونة المشوهة التى كانت تسود

= الماء يؤذنان باقلاسيها ودمارها ، كما عالج البرك مخزن المياه بعد ان كانت معطلة ، واصلحها واجرى اليها وفيها المياه بطرق واخرى بعناية ورعاية، كما جلب اختصاصيها فلاحيا فرنسيا الى مراكش وكلفه بجلب الات فلاحية وادوات علمية فوصلت = دراسة يجرها اربعة افراس ، وكان رحمه الله يشرف على ذلك بنفسه ، على تركيب اجهزتها وبذلك ساهم هذا الملك الهمام فى طبع الحضارة المغربية بميسم جديد حيث جلب ادوات علمية مستحدثة من ساعات فلكية ، ومجاهر علمية ، وكان مظهره قدس الله سره مظهرا حيا للاناقة يلبس القفاز والجوارب والزي الاوروبي ، كما كان ملما باللغة الفرنسية .

(10) كانت هذه الثقافة العصرية بجانب التدين وحب العلم ، وبذل الغالي والنفيس فى سبيل نشره ، واذاعته بين الناس ، لجانب اقتفائه اثر الجدين المولى اسماعيل ، والمولى محمد بن عبد الله ، فى السيرة وتقديس الدين ورجاله ، والعلم وعمالقته والوعي ودعاته ، صفحات مشرقة فى حياة المغرب العزيز ، هذه وتلك هي الاساس الركين فى تجديده دوالب وانظمة الدولة والجيش ، حتى اصبحت الدولة فى عهده فى مصاف الدول العصرية المواكبة ؟

البلاد ، وتسيطر عليها من لدن المشعوذين والجهلة الطغام ، مؤازرته العلانية لكل المشاريع العمرانية وبصفة خاصة منها الادبية والعلمية ، ثم اخذ الطريق السوي لتحرير البلاد من الاحتلال الاجنبي روحيا ، وماديا . وفك رقبة البلاد من اغلال العبودية والهمجية ، وبهذا طفت محبته على كل الاوساط المغربية .

فمحمد الخامس جلس على سدة العرش ليعيد امجاد اجداده العظماء ، لا ليستكين للاحتلال الاجنبي ! ويرضى لبلاده عبودية الاستعمار ، فاذا **كانت الدولة العلوية انما قامت باسم العلم والدين وطرد الغاصبين .** واعلان الوحدة الوطنية ، فقد قيض الجليل للامة من ينتشلها ، وما خيب ظن المواطنين فيما اعتقدوه فى هذا الملك الهمام ، فمنذ سنة 1930 م شرعت الثورة الوطنية الروحية بقيادة محمد الخامس ، **وبسلاح الدين الصادق البتار ،** فالثورة الجامحة اسست بالمسجد ، وللدفاع عن كرامة التشريع والعقيدة الاسلاميتين ! والفيالق الاولى للدفاع عن الكرامة اتجهت من المساجد ، ومنه انطلقت وتتابعت الهجمات . **ومحمد الخامس** يضفي عليها عطفه . ويبارك كل حركة تنفض صدور المستعمرين ، وتشرح **صدور المواطنين .**

ولا بدع ان يتجاوب العرش والشعب ، فتقوم النخبة الواعية من الامة بالنداء للقيام باحتفالات عظيمة **بعيد العرش السعيد ،** قامت بعملها عن طواعية واختيار واعلانا منها عن الحب الكمين للجالس على العرش ، وتتابعت الهزات النفسية في الوسط المغربي وسيد البلاد : القائد المحنك ، يبارك ويواسي ويرمم ويبني ويجدد ، فهذه المدارس الحرة تنشا باسمه ، واسم الاسرة الكريمة حماية لها ، **محمدية ، حسنية، عبدلاوية، عائشية ،** والقصد من ايجادها واضح ...

فالمستعمر الغشوم شرع يكون من ناشئة مغربنا جيلا او فئة بعيدة كل البعد عن لغتها ودينها ، **ومحمد الخامس الملك المسلم العربي ،** يعلم علم اليقين ان النشء اذا تربى تربية ما ، بعيدا عن لغته ، وتعاليم دينه ، فتلك هي الهوة السحيقة للدولة وكيانها ومميزاتها واخلاقها ! وهذا ما حدا به رحمه الله للمبادرة بتأسيس المدارس الحرة على النمط الذي يحفظ **لغة القرآن ، وتعاليم القرآن ،** فكم احتفال ، وكم تكريم اقامه ، وكم مهرجانات شرفها بنفسه ، وبالنجباء اولاده وبناته ، اعلانا منه اعزه الله على تمسك الامة المغربية داخل نهضتها **باللغة العربية والتعاليم الاسلامية** اضفى عليها من حبه ، من عطفه ، وماله ، وجاهه ، ما اصلح حالها ، وشد ازرها ، ومهد لها النجاح والفلاح فى طريقها .

فاعطت فى اقرب الاجال الثمار اليانعة : اذ السلاح المتخذ من لدن جلالته . سلاح بتار ، ومنعش ومفيد . وها هو طيب الله ضريحه يؤسس المعهد المولوي كنموذج لما ينبغي ان تؤسس عليه المعاهد والمدارس . وما قدم فلذات كبده ، واحب الناس الى قلبه ، حتى كانوا على جانب كبير من المعرفة بالقرآن الكريم ، حفظا ومعرفة وسلوكا ، مصداقا لقوله عليه السلام : تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنتي ، فعليكم بهما نبراسا وهاجا ، وفى هذا السبيل مهد للفتاة المغربية سبيل الرشاد ، فانقذها من الجهل والغباوة التى كانت مسيطرة على المراة والفتاة !

لنستمع الى نجواه سنة 1940 ، وهو داخل كلية **القرويين .**

اول ما وفقنا الله تعالى اليه بعد صعودنا على عرش اسلافنا المقدسين : اهتمامنا باحياء وسائل ديننا الزكي الطاهر، ولما علمنا ان العلم هو الوسيلة العظمى لادراك المقصد الاسمى ، ثم يقول : فى كلمة ثانية : تعلمون كم اسس سلفنا الصالح من المشاريع التى يحق للاسلام ان يفتخر بها **بين الاديان .** ولمدنيتنا ان تصول بها فى تاريخ بني الانسان ، **فالقرآن** بين اظهرنا منير مزدهر ، وحديث خير البرية جلي منتشر » ثم يقول : وهناك امر آخر نهتم به كل الاهتمام ، وهو تعليم بناتنا وتثقيفهن لينشأن على سنن الهدى ، ويهذبن بما ينبغي ان تتصف به المراة المسلمة .

وعاد محمد الخامس من المنفى بعدما قاسى فى سبيل نصرة المغرب المسلم العربي، كل الاهوال ، فقال : وهكذا انقلب الكدر الذى صاحبنا يوم الفراق، الى صفاء واغتباط يوم التلاق : الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور »

ويموت محمد الخامس يوم 26 يبراير 1961 فيغمض عينيه، راضيا مرضيا .. نم قرير العين سيدي ، فانك فى كنف الله ورعايته ، بما قدمت لوطنك ودينك من خدمات ، وبعد ان طهرت البلاد من

الاستعمارين : الروحي، والمادي، وحققت لامتك ما يسجل لسدتك بمداد الفخر والاعجاب . دامت لكم المكرمات في عرصات القيامة يا **محمد الخامس** .

وهذا مولانا الحسن الثاني المتربع على العرش المغربي ، وماذا عساني اتحدث عنه في هذه المناسبة المشرقة والمشرقة، وبالاخص في الناحية الروحية التي التزمت بها اول كلمتي ، نعم .. فالحديث عما قام ويقوم به الحسن الثاني في الناحية الروحية شيء يجل عن الحصر ! ولكنني اسجل بكل فخر واعتزاز ما اهتديت اليه ، فهذه دار الحديث الحسنية . **وهي مفخرة لا تقاس بغيرها ،** لما لهما من الاثر البعيد والقريب ، داخل المغرب المسلم وخارجه ، وهي فوق هذا وذاك سند قوي لكلية القرويين بفروعها الثلاث : **كلية الشريعة ، كلية اللغة العربية ، كلية** اصول الدين » ، وقد اثمرت واينعت ، واخذت طريقها السوي ، وانجبت لمغربنا المسلم ، طائفة من متخرجيها يرفعون الراس عاليا ، في ميدان علم الحديث والتفسير ، **والدروس الحديثية الرمضانية** التي يشرفها جلالته بالاحياء والتلقيح . تظهر تلك الحفلات العلمية السنية مزدهرة بعلماء من العالم الاسلامي لجانب المغاربة البررة يرفعها عمادها بثاقب فكره ، ويزين منظرها بما يضفيه عليها من **حلة** قشيبة» ترفع قدر العلم والعلماء ، ويساهم بنفحات الرحمن في الميدان ، فيبدي الافكار النيرة بين العلماء الاعلام ، ملكنا المسلم العالم »

ولا بدع فمجهودات والده البار **محمد الخامس** تؤتي اكلها غضا طريا .. وهذا احتفال واحتفاء بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القرآن يرفع فيها مكنتا قدر المغرب المسلم ، فيستدعي للمشاركة في الاحتفالات بذكراه جما غفيرا من حملة الشريعة الاسلامية، ورجالات الفكر العباقرة . ويترأس الحفل الرسمي ، ويبدي أعزه الله من اسرار الذكرى الخالدة ما قرت به العيون ، ورفعت **اسم الدولة العلوية الشريفة بالمغرب العربي المسلم الى قمة المجد الاسلامي والسؤدد الخالد .**

وهذا تحقيق الحلم الذي ترقبه المصلحون في شتى الازمنة والعصور ! وكتب فيه وعنه **الكتاب والشعراء ما يكاد يعد من قبيل الخيال ! يحققه** الحسن الثاني . **فينادي : هلم ايها الملوك والرؤساء المسلمون الى بلدكم المغرب المسلم العربي الحبيب** لنعقد اجتماع القمة بقصد تبادل وجهات النظر ، فيما يجب على الامة الاسلامية ان تسلكه من الطرق والوسائل لتطهير البيت **المقدس من دنس اللؤماء الصهاينة الانذال !** يفتر ثغر هذا البلد الامين ، وينتشي فرحا وبشرا بهذا اللقاء الاول من نوعه ، والذي يسجله التاريخ **صفحة ادبية ذهبية** في عصر الملك المسلم الغيور «الحسن الثاني» سدد الله خطاه، وتحمد عاقبته الملوك والرؤساء ، ويرفع من قدر الامة الاسلامية في القرن العشرين ، ويعد معجزة الدهر ، ومفخرة العصر ، وطريق الرشاد ، وسبيل الانقاذ ، وهنيئا لك يا حسن ، بهذا الفوز المبين ، الاحتفال والاحتفاء بقدر الاسلام والمسلمين . **وهذه خطوات** تترى بالنهضة الروحية في هذا البلد ــ **فالكتاب القرآني النموذجي**،اولي عهدك سنة ابيك **محمد الخامس** تتبعتها واقتديت بها . . ومن يشابه ابه فما ظلم ، وانعم بها واكرم من سنة احييت الآمال ، وشيدت من ازر الكتاتيب القرآنية وحركت فيها دبيب الحياة ونفخت بها روحانية الاسلام ، وهي يا مولاي لا تزال تطالب وترجي عطفكم الدائم لها بالعناية والرعاية . بصدور اوامركم الشريفة بالاهتمام بها اكثر ، والسير بها قدما خطوات حتى تستطيع ان تغرس في افئدة الناشئة المغربية ، حب القرآن ، وتعاليم القرآن ، وهداية القرآن ، ولسدتكم اجر ذلك عند الله مضاعفا . وهذا مؤتمر الجامعات الاسلامية يعقد بكلية القرويين بفاس تحت نظركم السديد ، بعدما مهد والدكم المقدس لتلك الجامعة الاسلامية الاولى في العالم بالاحتفال بالذكرى الحادية عشرة لانشائها وايجادها طيلة هذه القرون المتتابعة وهي تؤدي رسالتها الخالدة . هذه الكلية لا تزال كلها رجاء .. كلها آمال .. في الرفع من قدرها ، والعناية بطلابها وتسهيل « **مواردها وروافدها** » التي يكاد **الزيغ** ان يستهين بها ! ويقطع سبيلها لا قدر الله .. ايه حسنا ! اجيالها المتتالية ، وعلماؤها في كل العصور ، ينتظرون عطفة ذرية النبي الكريم ، وربيب التربية الاسلامية ليعيدها سيرتها الاولى ، لتستمر في اداء رسالتها الخالدة .

وهذه المساجد تشيد وتتجدد ، ويرفع منارها بكلمة «**الله اكبر** » حي على الصلاة حي على الفلاح ، الله اكبر ، تشيد بكل ارجاء البلاد المغربية وفي كل الجوانب تشهد لكم بين يدي الله ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

هذه وفود الحجيج تنظم، تسير وتجيء، وتتابع السير كلما حل الموعد المقدس . وجلالتكم راعيهـا الامين ، وخادمها المطيع . البقع الطاهرة لا تنساكم ، وما موقفكم يا مولاي فى اداء النسك بها فى زيارتكم التاريخية ، الا نموذجا حيا لحالة المسلم الوفـي . وكاني بكم يا مولاي **تلبون وتحمدون حوالي الكعبة .** وبين الصفا والمروة تكسوكم رعاية الله ، وترعاكـم عنايته ، وفى قبر المصطفى جدكم الاميـن ، عيـن الرحمن تحوطكم ، والروضة الطاهرة ترحب بكـم . وساكنها **عليه السلام يضفي عليكم رحمـات اللـه ، وقدسية النبوة .**

العناية بشهر الصيـام والقيـام وترتيـل آي القرآن ، وتقديس الشعائر ، تجـد فيـكم الحـر النبيل عناية ورعاية ، وقيامـا بالواجب كمسلـم ، يوحد الله ، ويمجد العقيدة ، ويصون الامجاد علـى تعاقب الازمان ، وكل ما تؤمله فى الجناب الشريف ونرجوه ، هو تجديد عهود الدعوة الاسلامية بالحفاظ على المقدسات وتلقين التعاليم الاسلاميـة بشتـى الطرق والاساليب ، والعمل على تجديـد وتلقيـح « التعليم الاصلي » بما يشد ازره ، ويصون سره ، ويعلي شانـه ، وليست هـذه بأول بركاتكـم يا آل محمـد . .

ان رسالة الدولة العلوية منـذ عهـد الحسـن الداخل ومولاي علي الشريف ، هي البناء والتشييد، والعمل على صون المقدسات ودوام سيرها ، وحري بآل النبي وأحفاد هـؤلاء الاشـاوس ، ان يعملـوا باستمرار على : الانتصار لدين الله ولغة القرآن .

ودامت لسدتكم العافية والتوفيق يا حسن : وذكرى مجيدة تتجدد وتتوالى .

سلا ـ الحاج احمد معنينو





قضى الشوق يا منك ان اسهرا ... فقدت من الجفن حلو الكرى

وحرك حبك فى مهجتي ... رنينا فانبهت المزهرا

وعلمني الحب صوغ القريض ... فابدعت فى عيدك الصورا

واركبني الشعر متن البحار ... فجبت على زورقي الابحرا

انقب فى لججها عن بديع ... يهز المشاعر ان تفخرا

فالهمني لبلوغ المنى ... ضياء من العرش يهدي الورى

وابصرت فى اوجه حسنا ... مفاخره تلهم الشعرا

اذا ما تغنى بها مبدع ... يهز البنان لها وترا

فجئت الى النور مستوحيا ... من العرش فى عيده الجوهرا

اذا ما قبست سنا درة ... بدا غيرها يلفت النظرا

رايت ضياءك عم البلاد ... فالهمني النور ان اشعرا

وابعدت عن مقلتي سنة ... تداعبها بلذيذ الكرى

وسقت القوافي انغامها ... تفوق المزامير والمزهرا

وجئت عكاظك منتشيا ... ازم بعيدك ذا المنبرا

اغرد من فوقه كالهزار ... يراقص فى الروضة الاخضرا

وانشد منه بديع البيان ... تحاكي حلاوته السكرا

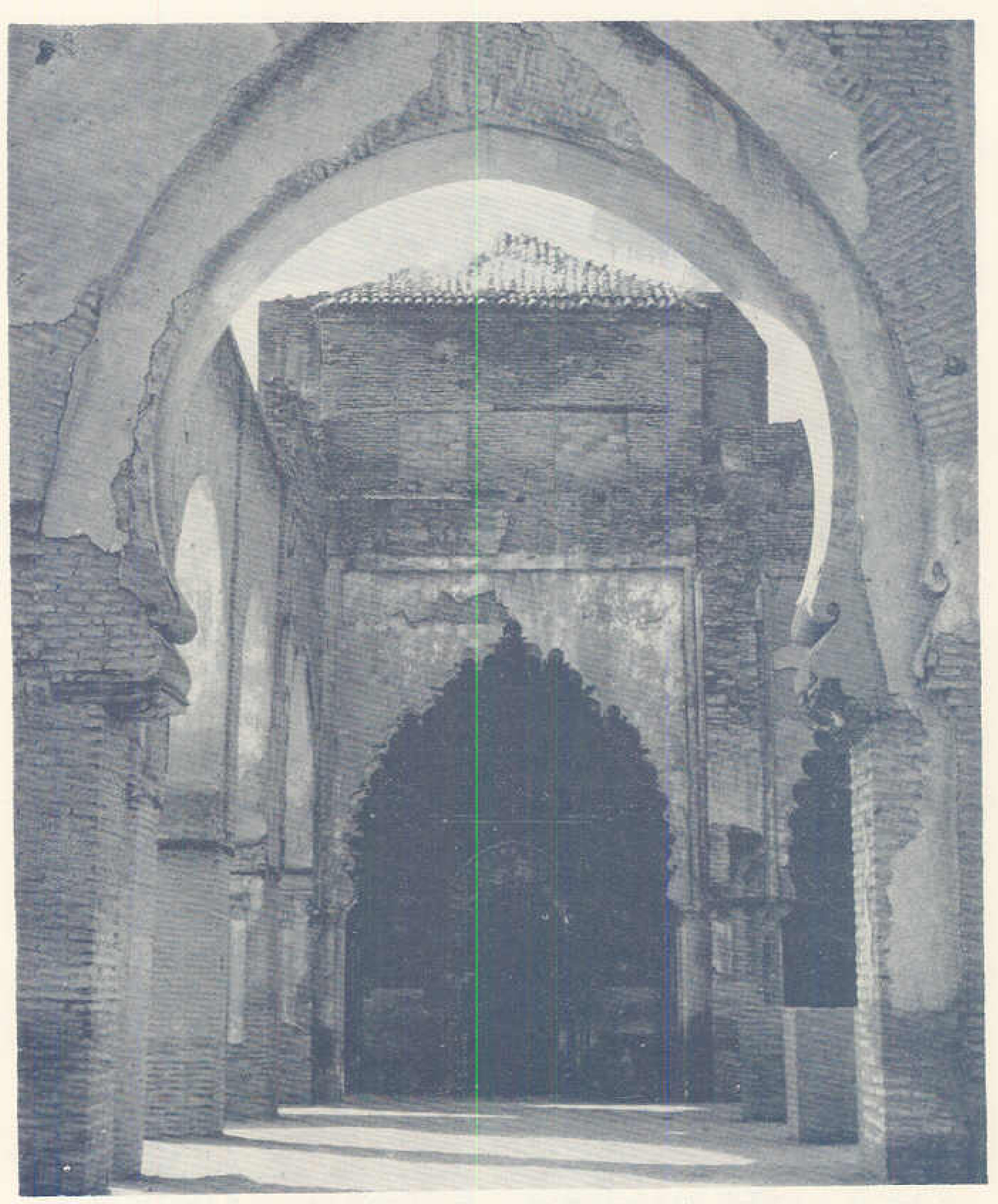
اغني بعرش الذى عظمت ... مفاخره اليوم ان تحصرا

واهدي التحية فخر الملوك ... سليل العظام حماة الثرى

تضوع كما المسك نفحتها ... ويحكي الثناء بها العنبرا
تقبل مليك الحمى لؤلؤا ... غدوت له القصد والمصدرا
بذلت الجهود لمفربنا ... وواجبنا اليوم أن نشكرا
جهودك قد حولت ارضنا ... نعيما وفجرت الكوثرا
فما تركت ارقي الحمى ... كبير الامور ولا الاصغرا
وعينك من أجله تركت ... لذيذ المنام وحلو الكرى
رفعت الى العز موطننا ... وبواته فوق هام الذرى
وسرت به فى طريق الرشاد ... تشق له النهج والمعبرا
وطهرته من جيوش الضلال ... وكانت به تصنع المنكرا
وجندت للخير امتنا ... وصيرتها للعلى عسكرا
وقدت فيالقها للسلام ... وحفظ البلاد ونفع الورى
غزوت القفار وحولتها ... اصالحنا مرتعا اخضرا
فاضحت فيافي الحمى جنة ... يراقص مائسها المزهرا
يروي المعين جوانبها ... ويصعد فى دوحها تمرا
تؤم الطيور دوائحها ... تقبل من فرح مثمرا
وتشدو بعهدك فى أوجها ... فترقص فى ظلها الجؤذرا
جهودك قد ملأت بالسنا ... سجل مفاخرنا الاكبرا
وكفك كم وهبت ارضنا ... بهاء وكم شيدت مفخرا
وعهدك عهد بنا نهضة ... تعم مدائننا والقرى
وعهدك عهد الهنا والسنا ... وعهد البناء وبعث الثرى
وعهدك عهد ارتقا امة ... تواصل بعد المسير السرى
وعرشك من فوق هام العلى ... يقود البلاد لاوج الذرى
وتاجك من نوره قبست ... عباقرة الفن والشعرا
وعزمك يابن العلى فى العلى ... يزيد ولا يعرف القهقرى
اذا ما بلغت بنا قمة ... رفعت الى غيرها البصرا
كأنك تقصد هام السماك ... وما ترتضي الشمس والقمرا
طردت عن الجفن غمضته ... وعودت عينك ان تسهرا
وليس الذى يصنع المعجزات ... يلذ له ان يذوق الكرى
تحمل نفسك اقصى الجهود ... ليسعد شعبك بين الورى
فهذي المعامل انشأتها ... وهذي السدود تروي الثرى

وهذي المصانع قد حركت	دواليبها تنتج السكرا
وتلك المساجد قد سمقت	عليها المآذن فوق الذرى
وفي كل ناحية معهد	يزيل الظلام ويمحو المرا
لخير مواطننا لم تدع	كبير الجهود ولا الاصغرا
وحق لمن يصنع المعجزات	لخير المواطن ان يشكرا
ولما طغى الذئب في مشرق	وابدى المطامع اذ كشرا
دعوت المقام المؤتمر	يوحد صفهم الاكبرا
ويجعل وحدتهم قوة	تزيل المظالم والمنكرا
فحققت مؤتمري قمة	لخير السلام ونفع الورى
وتم اللقاء كما قد أردت	وزارت عرينك أسد الشرى
جمعت به قادة المسلمين	تقوي اواصرهم والعرى
وكان لقاؤهم مجديا	وكان حوارهم مثمرا
بذلت الجهود لجمع الشتات	وشاء لها الله أن تثمرا
اذا ما الصهاينة المجرمون	بارجلهم دنسوا الاطهرا
وحاكوا المكايد في مشرق	وقالوا عن العرب المفترى
وقادهم منطق مظلم	لحرق البيوت ونسف القرى
فان صقور الفدا شمرت	تذكر ناسيهم (خيبرا)
وان العروبة لن تستكين	ولن تضمحل ولن تقهرا
وان غدا لقريب به	يغير قادتنا المنكرا
فما ضاع حق له طالب	يقدم من اجله الاحمرا
وما خاب شعب خرائره	تربي الشبول حماة الثرى
فيا ايها الحسن المرتضى	وقائد نهضتنا الاكبرا
بذلت الجهود لجمع الشتات	وجلت مزاياك ان تحصرا
فدم للعروبة والمسلمين	تنير الطريق وتهدي الورى
وعش لحماك الذي قد غدا	يباهي بك الشمس والقمرا
وعاش الامير محمدنا	وليا لعهدك يرقى الذرى
وعاش لنا بيت عاهلنا	وما ضمه البيت من أمرا
وعاشت لنا اسرة انجبت	لمغربنا الحسن النيرا

فاس ـ محمد بن علي العلوي



مسجد « تنيمل » معقل الدولة الموحدية ، ومنبع جهادها وكفاحها وقد أرصدت له وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية اعتمادا ضخما لاصلاحه وترميمه ...



اعتاد المشرقيون ان يطلقوا على بلاد المغرب اسم (مراكش) تسمية له باكبر مدينة تاريخية فيه ، وهي مدينة مراكش عاصمة المرابطين . وقد درج المؤرخون على تقسيم المغرب الى ثلاثة اقسام ، وهي : المغرب الادنى (تونس) . والمغرب الاوسط (الجزائر) . والمغرب الاقصى (مراكش) . وهذه الاقسام الثلاثة هي ما يعبر عنها في الوقت الحاضر بالمغرب العربي الكبير الذي يمتد من المحيط الاطلسي غربا الى حدود ليبية شرقا ، وتربط بين اجزائه روابط تاريخية وجغرافية متينة . وبعض المؤرخين يعد ليبية ضمن المغرب العربي ، وكانت ليبيا بدورها تعد نفسها من دول المغرب العربي منذ استقلالها سنة 1952 الى ما قبل سنة 1970 . وقد كان الكتاب والمفكرون المغاربة يجارون المشارقة في تسمية المغرب الاقصى بمراكش لاسباب سياسية ، فقد كان اذا قال قائل في الشرق انا مغربي لم يعرف من اي المغارب الثلاثة هو ، فاذا قال انا مراكشي عرف القسم الذي ينتسب اليه بالضبط .

وبما ان المغرب (مراكش) كان في النصف الاول من القرن العشرين ينقسم سياسيا واداريا الى منطقتين : منطقة شمالية تحت الحماية الاسبانية ، ومنطقة جنوبية تحت الحماية الفرنسية ، فقد درج المشارقة ايضا وجاراهم في ذلك بعض السياسيين المغاربة بصفة اضطرارية على تسمية المنطقة الشمالية من المغرب باسم (مراكش الاسبانية) والمنطقة الجنوبية منه باسم (مراكش الفرنسية) غير ان المغاربة داخل المغرب وخارجه كانوا لا يقرون هذا التقسيم ، ولا يعتبرون المغرب الا جزءا واحدا لا يتجزأ ، كما كانوا يسمون بلادهم باسم (المغرب) لا (مراكش) واذا قال احدهم انا مراكشي فالمفهوم منه انه ينتسب الى مدينة معينة داخل المغرب وهي مراكش كما يقول الآخر انا تطواني اي انه ينتسب الى مدينة تطوان وهي مدينة معروفة في شمال المغرب . وبعد استقلال المغرب سنة 1956 بدأ يعرف في الخارج كما هو معروف في الداخل باسمه الحقيقي وهو (المغرب) المشهور بنظامه الملكي العريق ، وعاصمته مدينة الرباط . بينما احتفظ القطر التونسي بعد استقلاله باسم عاصمة تونس ، كما احتفظ القطر الجزائري بعد استقلاله ايضا باسم عاصمته الجزائر .

هذا المغرب كسائر بلاد الله ، له شماله وجنوبه ، وشرقه وغربه ، وهو جغرافيا وتاريخيا وسياسيا عروة وثقى لا انفصام لها . وهو ايضا قطر اسلامي عربي ، له شخصية مرموقة وكيان عتيد منذ الفتح الاسلامي في منتصف القرن الاول الهجري الى الوقت الحاضر والى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وقد حافظ المغرب على شخصيته وكيانه قرونا واجيالا ، ووقف طودا شامخا راسخا في وجه الغزاة مرهوبا منه ، مرغوبا فيه . لم يفلح احد في تحويله عن عروبته واسلامه ، ولم يقو احد على الوقوف في وجه تقدمه ونهوضه وسيره نحو المثل العليا والاهداف السامية .

هذا الوطن المغربي العظيم لم يسجل التاريخ عليه انه انفصل عن بعضه او سعى الى هذا الانفصال في يوم من الايام ، الا ما كان من عهد الحماية المفروضة (1912 — 1956) فان فرنسا واسبانيا بناء على اتفاقات ومعاهدات انفردت الاولى (فرنسا) بحماية جنوب المغرب ، وانفردت الثانية (اسبانيا) بحماية شمال المغرب ، فصار المغرب مقسما كما قدمنا الى منطقتين هما : (منطقة الحماية الفرنسية) في الجنوب ، وبها كان يقيم جلالة السلطان ، فسميت بالمنطقة السلطانية ، لان جلالة الملك جريا على التقاليد المغربية القديمة كان يسمى السلطان . ثم (منطقة الحماية الاسبانية) في الشمال الممتد على شاطىء البحر الابيض المتوسط . وحيث ان الاتفاق تم بين الدولتين الحاميتين على ان يقوم بتمثيل السلطة الوطنية في المنطقة الشمالية خليفة مفوض لجلالة السلطان ، فقد عرفت هذه المنطقة بالمنطقة الخليفية. وفي هذا ما يدل على المحافظة على مبدا الاعتراف بالوحدة الوطنية المغربية .

وقد كانت اسبانيا حريصة على ان تكون صاحبة السيادة في شمال المغرب ، نظرا لمواجهته لها جغرافيا ، ونظرا للعلاقات التي تربطها به بحكم احتلالها لمدينة مليلية في شرقه ، ومدينة سبتة في غربه ، منذ القرن الخامس عشر الميلادي ، وكانت اسبانيا تزعم — ولا زالت — انهما جزآن من التراب الاسباني !

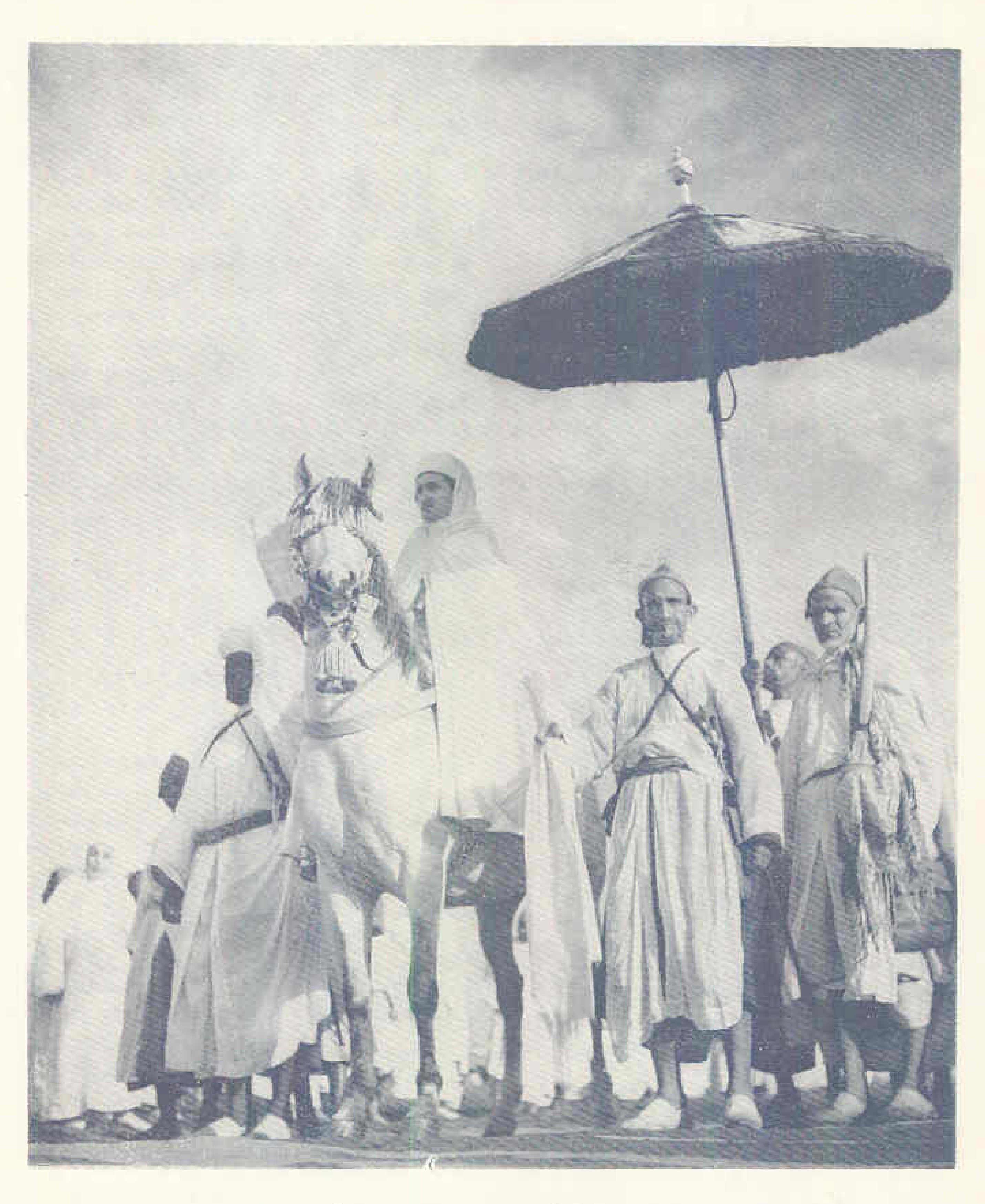
والمنطقة الشمالية المذكورة لا تدخل فيها مدينة طنجة ، لان هذه المدينة اشتهرت منذ القرن التاسع عشر بوضعية سياسية خاصة ، فكانت مركزا ديبلوماسيا بالنسبة للمغرب وللدول الاجنبية التي كان ممثلوها يقيمون بطنجة . ثم عرفت بعد ذلك وطيلة اعوام الحماية بوضعية دولية ، فكانت تسمى (طنجة الدولية) الا ما كان من عام 1940 الى 1945 أثناء الحرب العالمية الثانية ، فان اسبانيا بسطت نفوذها خلال الخمس سنوات المذكورة على طنجة . وما ان وضعت الحرب اوزارها ، حتى شعرت اسبانيا بدنو أجلها في طنجة ، وقد انسحبت منها بعد اتفاق في الموضوع بين المعنيين بالامر لتعود مدينتنا الجميلة الى الوضع الدولي الذي كانت اسبانيا من اعضائه بل من الدول البارزة فيه . واستمرت طنجة بعد ذلك في وضعيتها المذكورة الى ان تم استقلال المغرب ، ووقع الاتفاق على ادماجها في مجموع التراب المغربي.

وقد واجهت اسبانيا طيلة الاعوام الاولى لحمايتها معارضة شديدة من وطنيي الشمال المخلصين ، وتطورت هذه المعارضة الى معارك دامية بين جيوش الاحتلال الاسباني والمجاهدين في الناحية الجبلية بقيادة الزعيم المجاهد مولاي احمد الريسوني رحمه الله ، وفي الناحية الريفية بقيادة الزعيم المجاهد السيد محمد عبد الكريم الخطابي رحمه الله . وليست هذه هي المرة الاولى التي وقف فيها المجاهدون الشماليون في وجه الزحف الاسباني نحو الشمال الذي كان الاسبانيون يودون ان يجعلوا منه مستعمرة اسبانية على شكل مليلية وسبتة . ولكن الوطنيين المتيقظين حالوا بينهم وبين تحقيق هذه الخطة الاستعمارية ووقفوا في وجههم مستبسلين من سنة 1909 الى اوائل سنة 1912 — اي قبل اعلان الحماية بقليل — بقيادة الزعيم المجاهد السيد محمد امزيان الذي استشهد رحمه الله في الجهاد بعد ان استطاع ان يوقف الغزو الاسباني لناحية الريف .

ولكن ثورة الزعيم الخطابي بالنسبة للاسبانيين كانت أدهى وامر ، فقد كبدهم من الخسائر ما اضطروا معه الى التحالف مع الفرنسيين ضده ، ولم يصف الجو لاسبانيا في الشمال الا بعد سنة 1926 اي بعد ان ارغمت الظروف بطل الريف على الاستسلام للفرنسيين الذين اخذوه اسيرا هو وعائلته وساقوه الى جزيرة لاريئيون منفيا وبقي فيها الى سنة 1947 حيث هيأت له الاقدار الالتجاء الى مصر بعد عشرين سنة في المنفى . وفي مصر « صرح بطل الريف بولائه الدائم للعرش العلوي ولجلالة الملك محمد الخامس وللعائلة المالكة ، كما صرح بأن كفاحه لم يكن ثورة ، وانما كان حرب دفاع عن الوطن ضد المستعمرين الاجانب » . ومن هذه التصريحات نستنتج أن الحرب الريفية كانت تهدف الى تحرير البلاد وتوحيد ترابها تحت ظل العرش العلوي المجيد .

وكانت نهاية الحرب الريفية فاتحة لنشاط سياسي ووطني صامد من اجل استقلال المغرب ووحدة ترابه . وظل الشمال وفيا لله والوطن والملك ، ولم تزده الظروف القاسية التي مر بها الا ايمانا وتثبيتا .

وحينما قام المغفور له جلالة الملك محمد الخامس بزيارته التاريخية لمدينة طنجة سنة 1947 عبر اهالي الشمال قاطبة في تلك المناسبة عن تعلقهم المتين بجلالته ووحدة مملكته . وقد مر ركب جلالته بمدينة اصيلا الشمالية يوم 9 ابريل 1947 فاستقبل جلالته



صاحب الجلالة المغفور له مولانا محمد الخامس
رحمه الله في طريق عودته من الصلاة

استقبالا رسميا عظيما ، وافضى جلالته لرجال الصحافة بتصريح قال فيه : « ها أنتم ترون ان المغرب امة واحدة بل عائلة واحدة ، وان امنية الامة المغربية التي ستحقق بعون الله هي امنية جميع الامم العربية، اذ الشعوب العربية امة واحدة » . والقى سمو الامير مولاي الحسن بن المهدي خليفة جلالته بالشمال خطابا بين يدي جلالته فقال : « ان لبلادنا تاريخا مجيدا ، وان أمير المؤمنين بالغ بحسن قيادته للمرمى السامي الذي يسترجع مجدها الغابر تحت ظل جلالته ، لان المغرب امة واحدة لا تعترف الا بعاهل واحد ، ستصعد فى عهد جلالته مدارج الرقي » . وتصريح جلالة الملك وسمو خليفته يعطينا الدليل القاطع على مبلغ تمسك المغرب ملكا وشعبا بوحدة البلاد التاريخية والجغرافية فى وقت كان هذا التصريح فيه يعد من خوارق العادة .

وفى مدينة طنجة اكد الشعب الشمالي الوحدة المغربية بطريقة اخرى ، وهي ان اهالي تطوان قدموا لجلالة الملك هدية رمزية مكونة من خريطة المغرب مصنوعة من الفضة الخالصة ومكتوبة بالذهب الخالص، وصندوق ذهبي مملوء بتراب الشمال كتب عليه ما ياتي : « بمناسبة زيارة جلالة الملك لطنجة يقدم اهالي تطوان هذا التراب المخضب بدماء الشهداء الابطال كرمز لوحدة المغرب تحت العرش العلوي المجيد » . واثناء تقديم الهدية المذكورة تكلم الزعيم الاستاذ السيد عبد الخالق الطريس رحمه الله امام جلالته معلنا ولاء اهالي الشمال لامير المؤمنين محمد الخامس . وكان ذلك بعد صلاة الجمعة 11 ابريل 1947 .

وكان رد الفعل من رجال الحماية الاسبانية عنيفا على اظهار هذه العواطف الصادقة نحو العرش ووحدة البلاد على رؤوس الاشهاد . وكانت اسبانيا وقتئذ تظهر بوجهين وتلعب بورقتين . وجه وورقة امام العالم العربي الذي بدات تخطب وده وتتقرب اليه منذ سنة 1946 بسبب العزلة السياسية التي كانت تحيط بها . فكانت سياستها قائمة على انها اخت العرب ، وانها تعطف على قضاياهم بصفة عامة ، وانها تناصر المغاربة ملكا وشعبا فى مطالبتهم العادلة بالحرية والاستقلال والوحدة . ومن ذلك انها لزمت الصمت التام امام لجوء الزعيم الخطابي الى مصر فى الوقت الذي احدث هذا اللجوء المفاجيء اندهاشا كبيرا فى الاوساط الفرنسية وغيرها .

اما الوجه الثاني لاسبانيا وورقتها الثانية فقد كانت داخل منطقة نفوذها فكانت تقوم بضغوط شديدة ومختنقة للحد من النشاط الوطني ، ولم تك تسمح الا بما تعتبره غير مضر بوجودها ومصالحها . اما عبارات الاستقلال والوحدة فقد كانت تتقبلها بامتعاض شديد واستياء بالغ ، وتعاقب على ذلك عقابا صارما.

وكانت سياسة فرنسا فى جنوب المغرب اشد باسا واشد تنكيلا ، سياسة قائمة على العنف والبطش والكبت والضغط المتواصل على القصر الملكي من جهة ، وعلى الهيئات الوطنية من جهة اخرى . وحينما كانت فرنسا تدبر امر ابعاد جلالة الملك محمد الخامس بصفته العمود الفقري للوطنية المغربية المناضلة ، قام اهالي الشمال بتحرير عريضة تاريخية لتجديد البيعة والولاء لمحمد الخامس ملك المغرب وقعها العلماء والشرفاء والوجهاء ورجال الثقافة والفكر زيادة على قادة الحركة الوطنية فى الشمال .

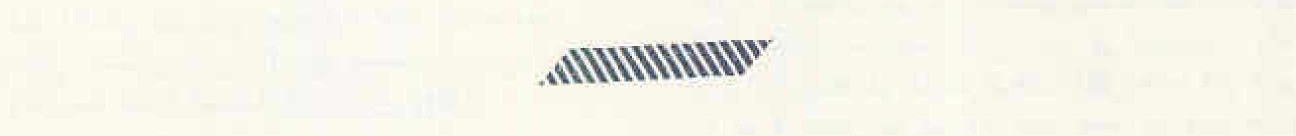
ولما اقدمت فرنسا على نفي جلالته فى 20 غشت 1953 قام اهالي الشمال عن بكرة ابيهم بمظاهرات صاخبة للاحتجاج على ذلك العمل الذي كان مخالفة صريحة لمعاهدة الحماية من جهة ، ومسا بالشعور الانساني والكرامة الوطنية من جهة اخرى ، ووجدت اسبانيا نفسها امام أمرين : اما ان تتنكر لصداقتها مع العرب ، وتقاوم هذا التيار الوطني العارم ، وبذلك تعرض سمعتها ومصالحها وجاليتها لخطر محقق كما حصل للفرنسيين فى الجنوب . واما ان تراوغ وتتظاهر بتأييد الوطنية المغربية ما دام الامر الواقع لا يتعلق بها هي ولا يغير شيئا من وجودها ، وبذلك تضمن سلامتها وتزداد قربا من العرب العاطفين عليها . غير انها لم تلتزم امرا معينا من الامرين المذكورين ، وانما اتخذت موقفا وسطا وسلوكا متقلبا فى نفس الوقت . ولكن ايمان الشعب المغربي فى الشمال واخلاصه حملها على تغيير الكثير من موافقتها وبذلك بقي الشمال حصنا حصينا للعرش العلوي العتيد ، وللملك الشرعي محمد الخامس قدس الله روحه . وتبين بهذه المناسبة لبعض من قدروا أو توقعوا انفصال الشمال عن الوطن الكبير بسبب تغير الوضعية فى الجنوب بعد غشت 1953 تبين لهم ان الشمال لا تؤثر الظروف والاوضاع مهما احلولكت فى عقيدته واخلاصه ، وانه متمسك بالوحدة الوطنية الى الابد .

ومضت الايام مسرعة ، فى نضال صامد وكفاح مرير من اجل الاستقلال والوحدة وعودة الملك الشرعي ، وكتب الله النصر لعباده المؤمنين « ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » فعادت المشروعية بعودة الملك الشرعي فى 16 نوفمبر 1955 . واعترفت فرنسا باستقلال المغرب فى 2 مارس 1956 بعد مفاوضات جلالة الملك محمد الخامس مع الحكومة الفرنسية فى باريس . ولم يبق لاسبانيا امام هذا الاجراء الحاسم الا أن تعترف من جهتها ايضا باستقلال البلاد ووحدة ترابها وكان ذلك فى 7 ابريل 1956 بعد مفاوضات جلالة الملك مع الحكومة الاسبانية فى مدريد .

وفى يوم 9 ابريل 1956 عاد جلالة الملك من مدريد ودخل مدينة تطوان عاصمة الشمال حاملا وثيقة الاستقلال والوحدة . فاستقبل استقبال الفاتحين الابطال . وكان ذلك اليوم الخالد يوم عيد وطني عظيم تجلت فيه الوحدة المغربية باجلى وابهج مظاهرها . وتبين للعالم اجمع أن المغرب بشماله وجنوبه جزء واحد وكتلة موحدة لا تزيدها الايام الا قوة ورسوخا وشموخا .

وواصل المغرب المستقل الموحد مسيرته التاريخية لتحقيق التقدم والازدهار بقيادة المغفور له جلالة الملك محمد الخامس . ثم بقيادة وارث عرشه ورفيقه فى الكفاح والمنفى جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ونصره .

تطوان : محمد العربي الشاوش





ان الذين يدرسون بامعان ونزاهة نص الدستور الذى وضعه اخيرا جلالة الملك المعظم وقدمه للشعب المغربي ليقول فيه كلمته قبل ان يصبح نافذ المفعول يدركون ان كانوا يحكمون ضمائرهم الطاهرة ، فيما احتوت عليه تلك الوثيقة من محاسن لا تنكر ان الدستور الجديد يكتسي لا محالة اهمية كبرى بالنسبة للحاكمين والمحكومين على السواء ، وواضح ان الوثيقة المذكورة جاءت فى وقتها لتملأ فراغا فى الحياة السياسية والاجتماعية بالمغرب استمرت مدة خمس سنوات لا نستطيع الجزم ـ مهما قيل فى محاسن حالة الاستثناء ـ بأن الاغلبية الساحقة من الامة كانت راضية عليها ، بل المفروض ان الطبقة النيرة من السكان كانت تستعجل زوال حالة الاستثناء وتعويضها بحياة نيابية عادية يطمئنون اليها ويعتمدونها ، بناء على نصوص مكتوبة ، فى مباشرة اعمالهم كلها داخل اطار واضح لا غبار عليه من الحرية والديمقراطية . وهذا ما جعل الشعب المغربي عن بكرة ابيه يرحب بالدستور الجديد ويصوت عليه باغلبية لم يسبق لها نظير .

* * *

ذلك ان الذين قدر لهم ان يخوضوا معركة الاستفتاء فى الصيف الماضي يعلمون مقدار تحمس طبقات الشعب واقباله على وثيقة الدستور اقبالا لا يمكن تعليله الا بمحبته القوية للملك .

كما ان الذين تصدوا لمعارضة الدستور يعلمون هم الآخرين مقدار الحرية التى كانوا يتمتعون بها وهم يعلمون ـ دون جدوى ـ على التنقيص من مزية هذه الوثيقة واظهارها بما لم تشتمل عليه من نقص أو عيوب .

والواقع الذى لا يقبل الجدل هو ان جلالة الحسن الثاني خطا بامته ، بوضعه للدستور الجديد، خطوة جريئة ترمي الى تركيز قواعد الديمقراطية فى البلاد مستوحاة من حضارتنا الاصيلة وديننا العريق كما تهدف الى ارساء دعائم الحرية بيننا بما يضمن سعادة المواطنين والمواطنات كافة ومعنى ذلك ان الدستور جاء ليحقق لسكان هذا البلد الامين رغبتهم فى الاعراب عما لهم ـ باعتبارهم احرارا فى بلد حر ـ من حقوق طبيعية وعليهم من واجبات تؤكد من جملتها ايجابية الدستور المغربي وفعاليته من ذلك ان هذه الوثيقة جاءت لتنص على ان النظام السياسي فى المغرب نظام ملكي دستوري ديمقراطي واجتماعي . هذه الكلمات الاربع تكتسي وحدها اهمية بالغة بالنسبة لمصيرنا جميعا فوق هذه الارض الطيبة ، بمعنى ان الحكم قائم مستمر لا يثنيه عن عزمه شيء، متجسم فى شكل ملكية تعتمد على دستور مقبول من الاغلبية الساحقة من الشعب ومعناه ايضا ان الحكم المنبثق عن هذا النظام تتمخض عنه بالطبع حياة ديمقراطية اجتماعية ، وهو نظام يمكن المواطنين والمواطنات من المشاركة فى الحياة العامة بنصيب يضمن لهم العيش ويساعدهم على الاندماج فى نظام اجتماعي ينشد التوازن فى كل شيء وهو نظام اختاروه لانفسهم بمحض ارادتهم واقبلوا عليه عن رضى وطيب خاطر لما فى ذلك النظام من محاسن ومزايا لا تنكر ومن خصائص الدستور الجديد انه اعطى السيادة للامة تمارسها بواسطة المؤسسات

الدستورية كمجلس النواب والمجالس البلدية والقروية بحيث تبعث الى هذه المجالس من ينوب عنها ويدافع عن حقوقها كما انه اعطاها الحق فى ان تسحب منهم ثقتها كلما حادوا عن الخطة التى اشارت عليهم باتباعها ، وهناك جانب يجسم فى هذا الدستور الاهداف الديمقراطية التى تسعى الدولة لتركيزها فى البلاد هو جعل المغاربة اجمعين سواء امام القانون ، والواقع ان الدستور انما جاء ليؤكد هذا الحق لان القوانين المعمول بها منذ سنوات فى المحاكم المختلفة وفى المحكمة العليا على الاخص كلها تشير بصراحة الى ان المتحاكمين جميعهم سواء امام العدالة ، ويكفي المغاربة فخرا واعتزازا وجود محكمة عليا فى البلاد ـ تدعى بالمجلس الاعلى للقضاء ـ مستقلة كل الاستقلال همها النظر بنزاهة واخلاص فى كل ما يقدم لها من قضايا تتعلق بحياة المواطنين على اختلاف طبقاتهم ، عملا بالمبدا الذى اعرب عنه صاحب الجلالة فى غير ما مرة حيث قال : « ما زال **العدل يستاثر باهتمامنا وينال حظا وافرا من عنايتنا، لا لانه اساس الملك فحسب ، بل لانه حق مقدس يجب ان يتمتع به كافة الافراد والجماعات** » .

اضف الى ذلك ما سطر فى الدستور من ان اللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية بناء على ان الاسلام دين الدولة وقد نزل بلغة قريش فكان من الطبيعي ان تكون اللغة الاصلية فى المغرب هي لغة القرآن الكريم .

اما فيما يتعلق بالحياة التنظيمية للمجتمع المغربي فيجب ان نشير فى هذا المقام الى ان الدستور اعطى المراة المغربية نفس الحقوق التى يتمتع بها الرجل ، بل اعطاها القانون الجديد ما لم تعط من الحقوق السياسية او الاجتماعية غيرها من النساء حتى فى الدول التى تعتبر متقدمة من الناحية الصناعية والتكنولوجية ، والدليل على ذلك ان هناك دولة اوربية عريقة فى الحضارة والتقدم ومع ذلك لم تمكن المراة من ممارسة الحقوق التى يمارسها زوجها فيما يرجع الى تربية الاطفال وتوجيههم الا منذ زمن قريب ، كما ان هناك دولة اوربية اخرى تعتز بما احرزته من تقدم ورقي ، ومع ذلك فانها لا تسمح لحد الآن لنسائها حق التصويت الذى تتمتع به المراة المغربية على الاطلاق وتمارسه بحنكة ودربة تدلان على رجاحة عقلها واتزان مزاجها . افيقال بعد هذا ان الدستور المغربي لم يات بشيء جديد بالنسبة للحياة الاجتماعية فى المغرب ؟ ومن يستطيع القول بان الدستور لم يات بشيء مفيد وهو الذى ينص نصا صريحا على ضمان انواع الحريات لكافة المواطنين ، حرية التجول وحرية الراي وحرية تاسيس الجمعيات وحرية الانخراط فى اية منظمة سياسية او نقابية يختارها المواطن لنفسه ؟! اليس الدستور هو الذى نص بوضوح على تحريم انتهاك المراسلات ؟ الم يذكر الدستور ان لكل مواطن ان يتقلد ما شاء من المناصب مهما كانت عالية الا على شرط واحد هو ان تكون للراغبين فيها من المؤهلات ما يرشحهم لتقلدها عن جدارة واستحقاق ؟ الم يعط الدستور افراد الشعب الحق فى التربية والتعليم وممارسة الشغل وحقهم حتى فى الاضراب عن العمل بشرط الا يكون ذلك سببا فى عرقلة الحياة السياسية والاجتماعية فى البلاد ؟ الم يكن لهذا الدستور الفضل الاكبر فى انه اقر قانونيا حق الملكية لكل من استطاع ان يملك بالطرق المشروعة مع العلم ان نزع هذه الملكية لا يمكن ان يقع الا فى احوال خاصة وطبقا لمقتضيات اوضحها القانون ؟.

تلك هي جملة من الحقوق التى كان لجلالة الحسن الثاني الفضل ، واي فضل ، فى وضعها وتقديمها لشعبه الوفي طبقا للوعد الذى ضربه على نفسه الكريمة ، وغني عن التوضيح ان الوفاء بالوعد من شيم القلوب الكريمة والعامرة بذكر الله . هذا ولقد نص الدستور كذلك على طائفة من الواجبات التى تقع طبعا على كواهل المواطنين كواجب مساهمتهم فى الدفاع عن الوطن وضرورة تحمل نصيبهم من التكاليف التى لا يفرضها الا القانون على المواطنين .

* * *

يستنتج اذا من هذا كله ان نص الدستور الذى قدم للامة المغربية لتقول فيه كلمتها بالرفض او القبول ، فاقبلت عليه ورضيت به قانونا تسير بمقتضاه وتنظم شؤونها دينا ودنيا بما جاء فى نصه ومحتواه دستور ايجابي فعال نظرا لما جاء فى طيه من حقوق لفائدة المواطنين واوضحه من واجبات لا يستطيع المخلصون من ابناء هذا الشعب الا ان يتقبلوها بمنتهى الموافقة والحماس، ذلك لانهم يعلمون ان الحسن الثاني ، الملك الصالح المصلح ، لا يقبل على امر الا كان فيه سعادة ابناء شعبه ، ولا يفكر فى

مشروع الا كان فيه الملك بوادر الخير لكافة طبقات امته ، هذه الامة التى اجمعت على حبه طبقا للميثاق الذى جمع بينها وبينه بصورة اكدت التحام الملك والشعب .

من اجل ذلك كان التصويت على الدستور من طرف الامة قاطبة بالموافقة على كل ما نصت عليه بنود الدستور ، فكان هذا الاجماع بمثابة برهان آخر على وحدة الصف بين المواطنين والتفافهم حول ممثل الدولة العلوية الشريفة وقائدها المظفر الذى آل على نفسه أن يسير قدما الى الامام بهذا الشعب العزيز الى ما يرجوه ويتمناه من تقدم ورقي وازدهار .

الرباط ـ محمد محيي الدين المشرفي



لا يعطينا التاريخ المغربي معلومات ذات قيمة كبرى عن أعمال ومواقف ولاة العهد خلال جميع ادوار تاريخ هذه البلاد ، ففي حياة آبائهم كانت تطغى على الكتاب شخصية هؤلاء وعندما يبايع الابناء بالملك ، كانت تطغى شخصيتهم كملوك عن أعمالهم وهم ولاة للعهد .

ونحن نعلم ان عليا بن يوسف بن تاشفين ، وابا عنان بن الحسن المريني وزيدان بن المنصور السعدي واسماعيل بن الشريف وسيدي محمد ابن عبد الله والحسن بن محمد بن عبد الرحمان كانوا من اكبر قادة عصورهم ، واعظم ابطال دولهم ، ولكنهم ولدوا حقا بالنسبة للتاريخ في نفس اليوم الذى قرئت بيعتهم من على المنابر . غير ان احد اولئك الامراء الولاة ، خصه التاريخ لا بالذكر ولكن ايضا بالتقدير، ولم يكن التاريخ مخيرا في ذلك ، لان الامير الولي كان أحد ثلاثة صنعوا ذلك التاريخ وبلوروه : (الشعب ومحمد الخامس والحسن ابن محمد) .

في يوم الثلاثاء تاسع يوليوز 1929 كان جلالة محمد الخامس رحمه الله في رحلة خارج المغرب ، وابلغ في مساء ذلك اليوم بازدياد ولي عهده الذى كان يعلق عليه منذ اعتلى العرش آماله الكبار ، ويود ان يحيله الى مختبر تجاربه في ميدان التكوين والتدبير والقيادة الثانية ، وتلقى الحاجب الملكي بعد ايام الرسالة التالية :

« خديمنا الارضى الحاجب محمد الحسن بن يعيش ، سلام عليك ورحمة الله ، اما بعد فقد وافتنا المكاتيب التى وجهت معلما بحقيقة الاحوال هناك ، وصرتنا من الكل على بال ، اما ما يتعلق بالتسمية فاحضر بها الوزراء والرؤساء وباشا الرباط وباشا سلا ، ويتعين ان تذبحوا ضأتين ، الاول يذبحه وزير العدلية ، والثاني تذبحه انت ، واظهر بهذه المناسبة فضل الله الذي تشكره بكل لسان ، وما يمكن من الصدقة للفقراء والمساكين ، واجعلوا الشريف سمى جده مولاي الحسن ، راجين من الله الكريم الوهاب ان يجعله على اثره صالح الدين والدنيا ، ثم اعلمنا بكل ما تفعلون في هذا السبيل فورا عاجلا والسلام .

في 5 صفر عام : 1348. محمد بن يوسف.

ان هذا التوقيت يحمل دلالات مختلفة ، وايحاءات سياسية ونفسية ، فسنة 1929 التى شهدت ميلاد صاحب الجلالة نصره الله بالرباط تقترن بانبعاث الحركة الوطنية المغربية ، وظهور مخايل التحرر القومي فى بعض المدن وكان ذلك المولود الذى حفل به القصر الملكي العامر ، كان يأذن بتحول خطر فى السير التاريخي للامة المغربية التى سقطت — فى غفلة من القدر — بين يدي الاجانب ، بعد خمسة قرون من المدافعة والكر والفر .

ويذكر جلالة المغفور له محمد الخامس — الذى كان ولا شك اكثر الناس تحسسا لوضعية البلاد فى نهاية الثلث من القرن ، واشدهم تفهما للمنزلق الذى انحدرت اليه الامة التى لم تعرف احتلالا على هذا النحو طيلة تاريخها — يذكر انه لم يجد انسب من اطلاق اسم الحسن على الصبي ، تيمنا باحد عظماء تاريخ العلويين ، الذى جنب البلاد وضعا شبيها بوضعها عندما ولد الامير الصغير ، وقادها الى انتصارات حاسمة ضمنت لها السيادة على جميع اطرافها من جهة ، وضمنت لها ايضا احترام الاجانب وتقديرهم ، فاذا هم يسارعون الى خطب ودها واهتبال صداقتها بل وتأييدها بدلا من التكالب على المغانم واجتزاء الفوائد .

ولا شك ان تلك التسمية — التى اطلقها الملك الوالد رضي الله عنه عن وعي وتقدير كما أكد ذلك بنفسه فى خطاب تنصيب ولي العهد — كانت تحمل من الصدق والتطابق ما لا يمكن ان يحمل الا على تقدير نظرة الملك الراحل البعيدة وتوقعاته المصيبة السديدة ، ولا شك ان تلك التسمية ايضا كانت بمثابة عهد على النضال قطعه الوالد لشعبه وعلى نفسه ، وواجبا طوق به الامير ، الذى لم يلبث ان اصبح رمزا للوطنية بين اقرانه ثم بين الشباب ثم بين الرعيل الثائر فى حواضر البلاد وبواديها جبالها وصحرائها .

ولم يكن الرجال العاملون بالذين تخفى عليهم هذه المقاصد او يغمض عليهم المرمى الذى هدف اليه عاهل المغرب الذى بقي يجسد الرمز الوحيد لماضي امتنا وسيادتها وامجادها وتقاليدها المعروفة فى الكفاحية والجهاد .

وهكذا اقترن اسم الامير وهو لا يزال حدثا ناعم الاظفار لين العود بجميع المظاهر التى تعبر عن ذلك وتؤكده . فالفرق الرياضية والثقافية والفنية اطلقت على نفسها اسم الامير الصغير تيمنا به والمدارس الحرة الاولى التى كانت عبارة عن كتاتيب قرآنية تدرس مواد الحساب والجغرافيا والعربية والتاريخ بكيفية سرية اختارت اسمه واطلقته على مؤسستها فى المدن كما فى البوادي ، ونفس الامر كان بالنسبة للفرق الكشفية والجمعيات والنوادي التى عمدت الى اقتناء صور الامير وهو لم يتجاوز بعد سن الرضاع والصاقها على محالها وكأنها تضرب موعدها التاريخي مع الشبل الصغير ، موعدها مع التفجير المقبل الطاقات الوطنية والتصعيد الايجابي لتلك الطاقات نحو آفاق التحرر الشامل .

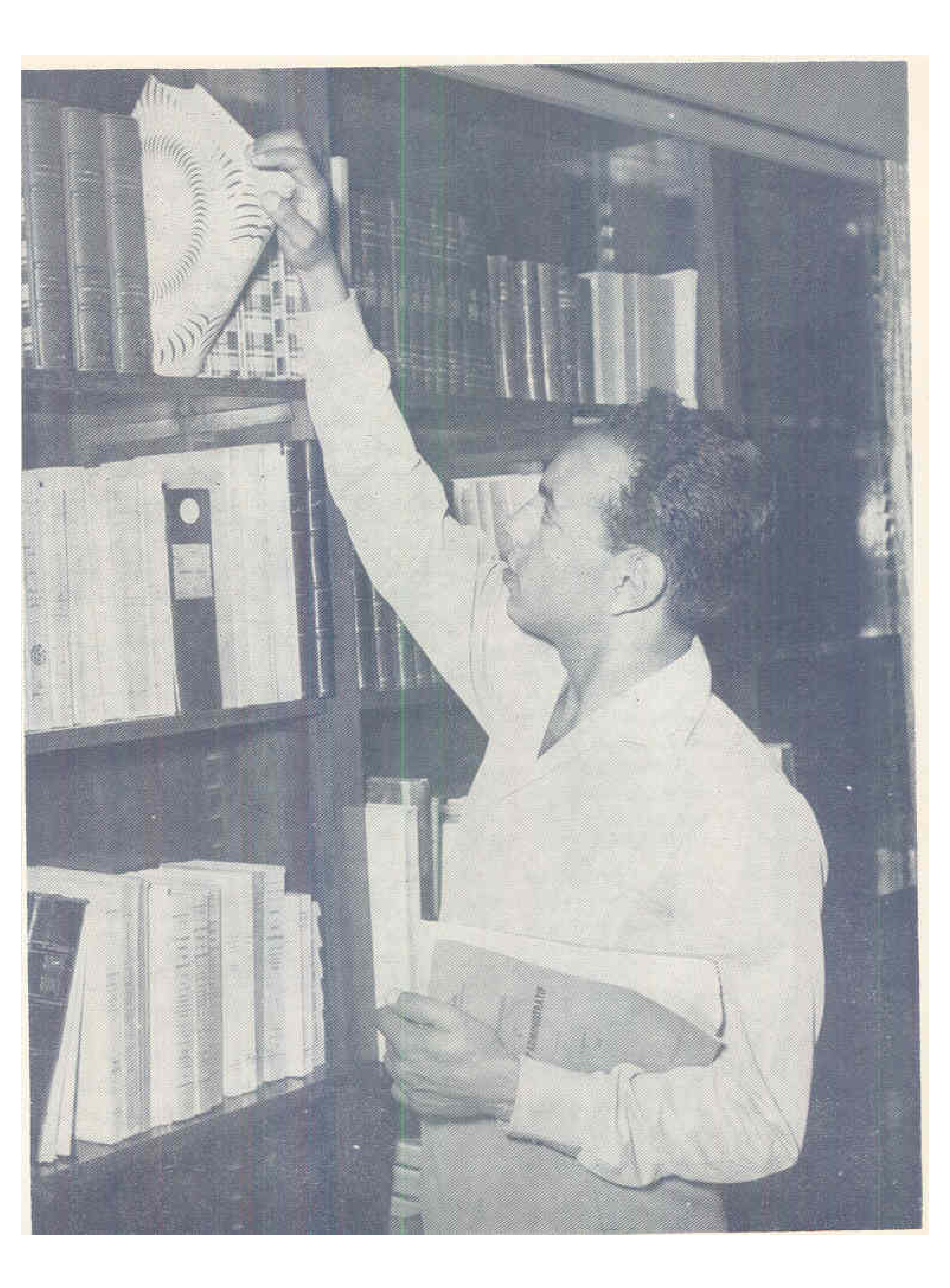
تربيــة مثاليــة

ان تربية جلالة الحسن الثاني وحداثته الاولى سوف تستوقف المؤرخين عندما يتاح لهم تعميق هذه الفترة فى حياة جلالته المديدة .

فهذه التربية لا تعد فى الحقيقة مثالية ولا تعد صارمة فقط، ولكنها تمثل تناظرا منقطع النظير لما كان عليه امراء البيت المالك الذين اصبحوا فيما بعد عظماء على مسرح هذه البلاد امثال المولى اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله وسيدي محمد بن عبد الرحمان والمولى الحسن. وتربية جلالة الحسن الثاني نصره الله تعطي بالاضافة الى ذلك ، عنصرا آخر من عناصر عظمة العرش العلوي ، فى مسايرته للتقاليد العريقة التى درج عليها ملوكنا وامراؤنا الفخام ، ولاحدث الطرق البيداغوجية الحديثة .

فمن خلال هذه التربية الاولى يطل علينا جلالة المغفور له محمد الخامس بكل ما آتاه الله من حرص ونفاذ بصيرة وعمق نظر ، فارضا شخصيته الشريفة، اسكنه الله فسيح جناته ، على فلذة كبده ، وولي عهده ، طامعا فى ان يحصل الامير الصغير على تعليم اسلامي صحيح بل ان يحصل من وراء تعليم الامير على مثال ناصع لجيل مغربي كامل ، متين التربية ، واسع الادراك عميق النظر ، آخذا بأسباب المعرفة الاسلامية والحديثة على السواء .

فمنذ نعومة اظفار الصبي الامير ، فسح له محمد الخامس فى قصره جناحا يأخذ فيه نصيبه من آيات القرآن الكريم القصيرة التى تعينه على



اقامة الصلوات والانفتاح نحو الآفاق الابعد في النهل من العلوم الاسلامية التي هي عماد حضارتنا الروحية.

وفقيه الجيل ، استاذ القراءات محمد اقصبي هو الذي اختاره المغفور له لتلقين الامير السور القصيرة من كتاب الله ، وكان الملك الوالد يشرف بنفسه على تعليم الصبي يذاكره فيما اخذه ، ويحاول ان يوصل لمفاهيمه الفتية معاني كلام الله المنزل .

ومن جهة اخرى فقد اختار له المربية الفرنسية الآنسة إسباني التي اهلت الصبي للتحدث باللغة الاجنبية وهو لا يزال حدثا ناعم الاظفار . فلقد كان جلالة الوالد يعلم بأنه يعد للمستقبل رجلا سيكتب له ان يقف الى جانبه في مواجهة الملمات ومقارعة الصعاب، ثم يقف وحده - عندما يصبح ملكا - ممسكا بمقاليد الامة آخذا بها في دروب المصير . واذا وجدنا اليوم ان محمدا الخامس قد اعطى لهذه البلاد ملكا عظيما يعتبر مثالا فريدا في الثقافة ونفاذ الفكر ، ومعرفة خفايا ادق الشؤون تعقيدا ، فان مرجع ذلك الى سنوات طويلة في المعاناة والحرص والاشراف المباشر .

ويقص معلموا الامير الاول ، أن والده كان يجلسه الى جانبه في الكتاب الملكي ويبدي انشراحه التام عندما يجده حافظا لما القي اليه ، صادحا بصوته الناعم الهادي بآيات القرآن واحاديث الرسول .

وهكذا فمن الواضح ان تربية جلالة الحسن الثاني - كما ارادها له محمد الخامس رحمه الله انصبت على عدة اسس تلفت المتتبع عند النظر اليها بكيفية فاحصة استقرائية والاساس الاقوى هو اعتماد القرآن من دراسة وتفسير في المراحل الدراسية الاولى لجوهرة البيت المالك وولي عهد المملكة ، وذلك بطبيعة الحال من مستلزمات امارة المومنين ، وما تفرضه الوشاجة الدموية التي تربط بين الاسرة الشريفة وبين جدها علي ابن ابي طالب ، وعلي ابن ابي طالب - كما نقرا في التاريخ - ساهم في جمع القرءان وتلقينه ثم في تفسيره وتأويله ، ولقد دأب بضعة الرسول وحفدة على كرم الله وجهه على اخذ المثال من الجد الاعلى ، بل ان الحب المكين والتعلق المدهش الذي ابداه الفيلاليون لجد الاسرة الشريفة المولى الحسن الداخل مرده في الحقيقة الى المام هذا المولى بعلوم القرءان والحديث فضلا عن حفظه القرءان وتجويده لآياته حسب الكثير من القراءات والحروف .

وبفضل الحسن الداخل وحفدته الذين سعدت بهم سجلماسة منذ أواسط القرن السابع الى قيام المولى محمد بن الشريف والذين تصدوا للجهر بالدعوة والنهوض بالامر ، تحولت سجلماسة الى عاصمة للعلم والمعارف ولم يضاهها في ذلك سوى الزاوية الدلائية . ويفيدنا الامام اليوسي بأنه كان يوجد في هذه العاصمة الاولى للاسرة العلوية على عهده الفا طالب يحفظون القرءان على الروايات العشر والسبع. ولعل المؤرخين لم يندهشوا كثيرا للترحيب الذي قوبل به المولى الشريف وسيدي محمد بن الشريف لدى مختلف القبائل في طول البلاد وعرضها عندما قادا جيوش الصحراويين في وقت مبكر من عمر هذه الاسرة الجليلة ومرد ذلك ولا شك الى انهما حفيدان كريمان للرسول وعالمان من علماء القرآن . ومن هنا وجد المغرب وهو يتخبط في خلافاته القبلية والسياسية وحتى المذهبية ان الوحدة الوطنية والتماسك القومي لا يمكن تحقيقهما الا تحت ظلال شرفاء هذا البيت الذين تحسسوا مشاكل البلاد ووضعوا نصب اعينهم تجنيب البلاد ويلات الفرقة والضعف . فتوحيد البلاد تحت راية القرآن كان مما دفع ملوكنا ، على اختلاف الاحقاب التي رفعتهم الى مسرح تاريخ هذه البلاد ، الى الحرص على الاخذ بتعاليمه وتلقينها لافراد القصر واميراته. ومن هنا كان جلالة المغفور له محمد الخامس - تمثلا بمن سبقه من عظماء البلاد - احرص ما يكون على تمكين ابنه ووراث سره في المستقبل من علوم الدين، باذلا في ذلك جهده ومذيبا وقته وممضيا يومه وليله فيه .

ولا بدع ان نرى اليوم هذا الامير وقد القت اليه البلاد بمقاليدها وبوأته منها القيادة واصبح ملكا وسيدا ووارثا للعرش العلوي ، يجلس الى العلماء ياخذ عنهم ويعطيهم ، يقارعهم الحجة ويهديهم النصح والارشاد .

ففي السنوات الاولى للمراحل الدراسية التي قطعها الجناب الشريف تتجلى عدة حقائق ووقائع من الضروري ابرازها وتوضيحها لما لها من دلالات عميقة اولا ، ولانها كانت عماد التربية ثم الثقافة التي تكون اليوم عاهلا من اعظم ما ظفرت به هذه البلاد ،

فبالاضافة الى التربية الاسلامية التي كانت منا محل تنويه ، نجد انفسنا اليوم امام جوانب اخرى لا تقل عن ذلك الجانب اهميه وخطورة : اول تلك الجوانب حرص جلالة الملك الوالد على ان يختلط ابنه الصغير، وهو في سنه المبكرة بابناء الشعب من مختلف اصقاع المغرب وطبقاته الاجتماعية ، فلم يكن هناك تعليم خاص بالامير بل كانت هنالك مدرسة مولوية يجلس فيها الامير الى اطفال في مثل سنه يذاكرهم ويناقشهم واكثر من ذلك يحتك بهم ويسمع الكثير مما يقصونه عن قضاياهم الاجتماعية في اوساطهم ، وثاني تلك الجوانب هو رغبة محمد الخامس في ان يرى ابنه آخذا بالعلوم الحديثة الى جانب علوم العربية ، فذلك وحده كفيل بأن يسمح بالاطلال على ثقافات من سبقونا الى التقنية والانفتاح على علومهم وثقافتهم ، وثالث الجوانب هو ان الملك الوالد اجتهد اجتهادا قويا في ان يمكن ابنه من الاطلاع على مشاكل الشعب ومطالبه وحيث يمكنه ذلك الاطلاع من الوقوف الى جانبه تم وحده امام الوضع الغريب الذي كان يفرضه وجود سلطات الحماية من جهة ، وانعدام وسائل الحياة الافضل لهذا الشعب الراقي بنظره الى قائده ورائده ومنقذه . وبالنسبة للجانب الاول لا شك ان جلالة محمد الخامس اراد التمثل بالمولى اسماعيل والمولى سليمان في هذا السبيل ، فالتاريخ يذكر انه اقيمت بالقصر الملكي بمكناس عام 1.100 للهجرة حفلة ختم القرءان وسرد الحديث تبارى فيها امراء القصر وثلة من الطلبة وقد استاثر الفرح بالامبراطور وهو يجد فلذة اكباده على النحو الذي يريد ويطمع فقام وامسك الابريق بنفسه وصب الماء على ايدي العلماء ، وشاركهم في طعامهم ومجنسهم بعد ذلك وفي الهزيع الاخير من الليل احضرت الجوائز الى الحضرة ففرقها على التلاميذ النجباء وكان من بينهم ثلاثة امراء فقط .

وان ذلك يذكرنا بحفلات اختتام السنوات الدراسية في المعهد المولوي ، فالتاريخ اعاد فيها نفسه تمام الاعادة ، ولنا فيما لا زال مسجلا في الصحافة الى اليوم خير شاهد على هذا التماثل ، وافضل برهان على ما عاقه جلالة المنفور له على فلذة كبده وولي عهده جلالة الحسن الثاني نصره الله .

واذا كان الامير قد برع في الآداب العربية والثقافة الاسلامية على يد اساتذته المبرزين وبحرص ومراقبة صارمة من والده المنعم ، فان الوجه الآخر لثقافته حيرت اساتذته واطلقت السنتهم واقلامهم بالثناء الجميل ، ويشير احد الاجانب وهو مؤرخ امريكي الى عمق واصالة هذه الثقافة قائلا :

« كان الامير يقضي اغلب عطله بفرنسا وفي العادة صحبة محمد ابا حنيني فيقيمان في البادية الفرنسية في قصر احدى العائلات الفرنسية البارسية ، مثل قصر كونت باريس الذي كان احد اصدقاء السلطان الفرنسيين ، او يقومان باكتشاف باريس ، الشيء الذي يعني اساسا اكتشاف المتاحف والمسارح المولع بها ولعا كبيرا .

وقد نمى خلال هذه الرحلات والاجتماعات بالكتاب والفنانين الفرنسيين غرامه بالفنون المختلفة وتعاطيه الادب الكلاسيكي كانتاج مونطين وكورني وراسين وكذلك آداب اليونانيين . وعندما اشرف على نهاية العقد الثاني من عمره بدأ يتجه باطراد نحو الآداب الحديثة ، ولما كان تعليمه المدرسي لم يتجاوز به اناطول فرانس اكتشف بنفسه كتابات مورياك واراكون وكامو ومالرو وكوكوتو ، وقد تكبد تعبا في سبيل لقاء بعض هؤلاء الكتاب الذين اصبح بعضهم اصدقاء له ، وحذا حذوهم ايضا بعض المحررين والصحفيين والناشرين الفرنسيين الباريسيين ، ورغم ان الادب كان هو اصل العلاقة بينه وبينهم فسرعان ما كان يفضي بهم الى موضوع السياسة المغربية ، وفي مثل هذا السبيل نجح في جعل كودبور وكوسترمان وجوليان ودوبيسر بارا يرون عدالة المطالب المغربية ، وقد برهن بعض هؤلاء الرجال في سنوات 1950 وما بعدها عندما كان المغرب يحارب من اجل الاستقلال على انهم حلفاء اوفياء .

ورغم اتصالاته العديدة (بالعصريين) فان حماس الامير للفنون المرئية لم يتفتح على الفنون التجريدية او الديكور والتاثيث الحديثين ، ولما اصبح ضروريا تأثيث بيته في السويسي وبعد ذلك مقره في القصر الملكي في الرباط ، فضل القطع المصنوعة في فترات ازدهار صناعة الاثاث الكلاسيكي » .

سلا ـ محمد احمد الغربي



الشعوب التى تصنع تاريخها تقف لتتملى الصنعة عندما تواتيها المناسبة ...

وصناعة التاريخ تعبير وبما يكون اقرب الى الشعر ، ولكن جسامة العمل لا يدركها الا من يملكون احساسا حضاريا بصعوبة الانجاز.

لا يدرك جسامة العمل الا من يملكون احساسا بعنف الحركة التى تدفع المجتمعات المتيقظة الى تحقيق مصائرها .

ان التاريخ من نسيج الزمان ، وقد ينساب الزمان سهلا لينا طائعا ، ولكن التاريخ لا تكتب فصوله العظيمة الا الارادات العظيمة .

لان تركيب التاريخ ذو طبيعة اخرى وان كان من نسج الزمان . لان مداميكه ابقى وامتن .

التاريخ العظيم لامة من الامم ، لحمته الاخلاص وسداه العمل الصالح ، وغايته خلق عالم افضل .

ولقد صدق الذى قال ان النقد سهل والابداع صعب . فصناعة التاريخ عمل ابداع، لانه تغيير لوجه الارض ولطبائع العمران والعيش ولطبائع النفوس أيضا .

ذلك التغيير الجليل الذى قال عنه جل وعلا :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

ان هذه الامة الكريمة تغير ما بنفوس ابنائها من حال الى حال ، وتغير مظاهر عيشها من حال الى حال ...

انها بكلمة اخرى تتحرك ، ومن يتحرك يعش ويتقدم ويسعد .

ومن ينظر الى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن بعين فاحصة متجردة يقارن ويستنتج يدرك مدى حركة هذه الامة .

انها منطلقة لا ريب ، وان انطلاقها يحكمه ويقوده عقل مدبر ، وارادة حاسمة ، وقلب كبير .

ان ملك هذه الامة وفي لصناعة التاريخ .

واحتفاء هذه الامة بوقفة متدبرة من وقفاتها المصيرية تقليد حكيم .

لان الشعوب التى تحافظ على تقاليدها ، هي التى تحافظ على تماسكها واستمرارها . فتقاليد الامم هي الحلقات التى تربط سلسلة تاريخها ، تجعل الماضي يلتصق بالحاضر .

وعيد العرش واحد من هذه الحلقات التى تشدنا الى انفسنا اولا ، فنحن لا نكون الا انطلاقا من مقوماتنا التاريخية والحضارية .

وعيد العرش هو بالنسبة للمغاربة ذكرى عزيزة لانه ذكرى حضارية ، ولان فيه استعادة

وقية تذكر بمجد تبلور في الماضي ويتبلور في الحاضر على يد جلالة الملك الحسن الثاني .

ورغم ان الشعوب لا تنهض الا بطيئا تبعا لسنة التاريخ ولحتمية التطور الجماعي ؛ فان النهضة تقاس بمقارنة شعب من الشعوب بذاته منذ بداية نهضته ، لا بمقارنته بشعوب اخرى سبقته بمئات السنين في طريق النهضة الانسانية المعاصرة .

واذا سلمنا بهذه الحقيقة وقفنا على نمو في مجالاتنا المختلفة تكاد ان تبهر) ومصداق على ما نقول هو تلك الدراسات التي تقوم بها مؤسسات خارج الوطن عن النمو الاقتصادي والمالي والفلاحي والصناعي ، كلها يعدها مختصون اكفاء في ميادين اختصاصهم .

هذه التقارير تعطي صورة بلغة العصر التي هي الاحصاء والحساب والمقارنة ، تعطي صورة لما هو عليه بلدنا اليوم .

هذا ما يخص مظاهرنا الخلفية التي تحتاج الى العين المختصة النافذة لاستقطابها . اما ان نظرنا الى ظاهر واقعنا المغربي فاننا نتوقف على مظاهر البناء ومظاهر التغير .

مجتمعنا المغربي يتغير ، ومظاهر مجتمعنا المغربي تتغير بشكل قد لا يلاحظه بصورة جلية من يعيش في قلب هذا التغير ، ولكن من يراقبه ، تصل به المراقبة الى ان هناك شيئا ما يحدث ، ويحدث باستمرار فيغير من مظاهر تباطئنا الاجتماعي والمادي الذي ابتلينا به خلال حقب من تاريخ الاستعمار .

عيد العرش هو مناسبة للوقوف من اجل تدبر ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ، هذا الوقوف ميسر لكل من يريد ان يتدبر ما يحدث من تغيير في امورنا .

ويساعد على هذا التدبر خطاب العرش الذي هو تقليدنا الوطني لاستعراض « حالة الامة » ، وهي سنة حميدة اصبحت كثير من دول الغرب والعالم اجمع تقلدها اليوم لتطلع الشعوب ، في مناسبة مختارة ، على ما يجري في الوطن ، وعلى الرياح المتضاربة التي تعصف به يمينا وشمالا ، اماما ووراء .

عيد العرش احد وجوه هذه الامة الحميدة ، لانه تقليد عن حياة امة .

ان تاريخنا هو حقيقتنا ، ونحن اليوم ، وبهذه المناسبة الكريمة نعيش حقيقتنا التي دامت واستمرت ، ذلك هو ربط صلات الوصل بين ملك منكب على تدبير شؤون امته بالليل والنهار ، يأخذ اهتمامه بها كل وقته وراحته ، وبين شعب لا يترك مناسبة تمر من دون ان يعبر عن اخلاصه ووفائه .

واذا كان عيد العرش يعتبر جزءا ملتصقا بماضينا وتاريخنا ، فهو ايضا نافذة نطل بها على المستقبل .

لان المستقبل ليس عماء يعاش اعتباطا ، ولكنه تخطيط وتصميم وتدبر ، كل ذلك يبدو من خلال تلك الوقفة التي يقفها جلالة الحسن الثاني مع شعبه ، يحدد له مظاهر المستقبل على ضوء الاشواط التي حققها في ماضيه ، ووقف عليها في حاضره .

يقف جلالة الملك الحسن الثاني يبين لامته معالم الطريق ، بل يبين هذه المعالم لكل العالم الذي ينظر الى المغرب بعين ملؤها الاحترام ، هذا الاحترام الذي لا يقتصر على الحكومات فحسب ، وانما يتعداه الى افراد الناس كذلك .

ومن يسرت له الظروف ان يتجول في مناطق مختلفة من ارجاء المعمور يدرك مدى سمعة المغرب في آفاق الدنيا .

عيد العرش مظاهرة وطنية تخص هذا الشعب المغربي ، وتفتح الحوار بينه وبين ملكه ، ولكنه ايضا مناسبة لان يظهر وجه هذا البلد للناس ، وان يظهر كذلك التحامهم بتاريخهم وبقوميتهم وبمسيرتهم الحضارية وبملكهم .

لان عيد العرش ليس تقليدا سلبيا يتكرر روتينيا ليحسب مرور السنوات ، ولكنه يحمل مغزاه من خلال هذا الالتحام بين الملك وشعبه ، وبين الشعب المغربي والقضايا التي تهم حياته ومصيره ، وبين المغرب وبقية امم العالم . انه مناسبة لالتقائنا بانفسنا وبالعالم المحيط بنا .

ولو نظرنا الى عيد العرش من وجهة نظر فلسفية وحضارية انسانية لوجدناه رمزا للاستمرار الذي ينشده كل شعب ، اذ بدون اتصال الماضي بالحاضر انكبابا على المستقبل تضمحل معالم الشعوب التاريخية والانسانية ، ولهذا كانت مناسبة كبيرة

مثل هذه التى نعيشها اليوم تعتبر غـذاء لميراثنا وحضارتنا ، بل هـي محـرك ضروري لكي نعرف انفسنا ونعرف ما نريده من انفسنا .

هذه الابعاد كلها يبرزها جلالة الملك الحسـن الثاني فى خطابه لامته، وفى استعراضه للقضايا التى تشغل بالها وتأخذ وقتها واهتمامها .

نحن اذن امام عدة مغـازي لمناسبـة وطنيـة نعيشها اليوم ، مغزى تاريخي وحضاري وانساني ، ومغزى تحتمه ضرورة التخطيط لآفاق المستقبل ، ومغزى استمرار الالتحام بين الملك وشعبه والشعب وملكه .

فلا يسعنا افرادا وهيئات الا ان نعطي مناسبة هذه اهميتها الوطنية حظها من الاعتبار الذى يليق بمقامها ، ومظاهر اعتبارنا تتجلى فى فرحتنا مـن اقصى المغرب الى اقصاه باحتضان هذا اللقاء بيننا ومليكنا .

ان تاريخنا حاضر ابدا بين اعيننا وفى نفوسنا لان مناسباتنا الوطنية تعيد احياءه فتحيي فى نفوسنا تقديرا لماضينا القومي التليد ، وتحيـي فى نفوسنـا طموحا لمستقبل قومي مزدهر ، يعمه الرخاء ، وتحف به النعم فى ظل من الوفاء لملك وفي ، وهبه من الله الذكاء والحكمة والتبصر ما جعله محط اعجاب من لدن كل من اتصل به من قريب او بعيد ، وآمال هذه الامة كلها منصبـة على ما يخططـه جلالة الحسـن الثاني من مشاريع طموحة لمواجهة متطلبات العصر، ومتطلبات امة تسعى الى الاخذ بمدارج الرقي .

الرباط ــ محمد الشوفاني



في سبيل بناء المغرب الجديد

عدم الانحياز الذي آمن به المغرب

للأستاذ زين العابدين الكتاني

ان التخطيط المرتكز على الاختيار المغربي الصميم المتميز بالتعايش ، والمبني على التفاهم والتعاون ، هو الاسلوب الدبلوماسي المغربي في الخارج ، وطريقه في بناء المغرب الحسني ، ولذلك فلم يكن حضور المغرب في المؤتمر الثالث لدول عدم الانحياز حضوريا وكفى ، ولكن المغرب سعى اليه وهو ينتظر بل ويؤمن ان هذا المؤتمر سيكون المشجع الجديد لجميع المقتنعين بأن بناء علاقات اكثر عدالة وتكافؤا وبناءة في العالم يمثل البديل الوحيد لكابوس الضغط والسيطرة ويجد الطريق لانتهاج سياسة عدم الانحياز بشكل انشط واوسع على الصعيد الدولي ولاسيما في منظمة الامم المتحدة التي يمكن ان تكون قاعدة لتعزيز دور وفعالية المنظمة العالمية في الدفاع عن السلام والاستقلال ، وهذا بالفعل ما سجله الملاحظون بصفة عامة وهم يتلقون خبر اجتماع لوساكا الاخير.

يرتكز مفهوم المغرب في عدم الانحياز على تحديد دقيق وضعه المغرب منذ البداية في النصين التاليين:

اولا : في خطاب جلالة الملك المعظم في بلغراد (في 1 – 6 سبتمبر 1961) الذي جاء فيه :

« ان حيادنا لا يعني الانعزال او اللا مبالاة بالنسبة لجزء من البشرية ، بل هو على العكس من ذلك يعني قبول كل ما هو عادل ، وحق في نطاق الفكر البشري ، وانه حياد نشيط وحي ، ولا يستهدف سوى انقاذ القيم الانسانية ، واقرار السلام والتقدير بين الجنس البشري » .

ثانيا : اما المثل الشخصي لصاحب الجلالة فقد اوضح في الاجتماع الثاني للمؤتمر (اكتوبر سنة 1964) المفهوم المغربي بما يلي :

« ان عدم الانحياز ليس مذهبا ولا عقيدة . بل هو سلوك اي عبارة عن اتخاذ مواقف ازاء المشاكل الدولية الكبرى » (1)

وهذا التحديد يرتكز مع روح التأسيس من جهة ، ويساير المبادىء الخمسة التي اقرها الاجتماع التحضيري (2) وهو ينتهي من اجتماعاته التاريخية التي اقرت المبادىء التالية :

(1) جريدة (الانباء) ص : 2 – 24 اكتوبر 1964 / ع : 275

(2) في القاهرة في يونيه 1961 .

1) ـ يجب ان تكون الدولة قد انتهجت سياسة قائمة على تعايش الدول ذات النظم الاجتماعية والسياسية المختلفة ، وعلى عدم الانحياز .

2) ـ يجب ان تكون الدولة مؤيدة دائما لحركات الاستقلال القومي .

3) ـ يجب الا تكون عضوا فى حلف عسكري جماعي ثم فى نطاق الصراع بين الدول الكبرى .

4) ـ يجب الا تكون الدولة طرفا فى اتفاقية ثنائية مع دولة كبرى .

5) ـ يجب الا تكون قد سمحت لدولة اجنبية باقامة قواعد عسكرية فى اقليمها ، ولا يعنينا من هذه المبادىء الخمسة هذا الا المبدا الثاني الذى يجب ان يكون محور تحركنا الدبلوماسي فى مؤتمر لوساكا لان محاربة الاستعمار الصهيوني فى فلسطين لا تخرج عن كونها حربا من حروب الاستقلال القومي ، ومن واجب دول عدم الانحياز ان تساند هذه الحروب تطبيقا للمبدا الذى اقرته مؤتمرات عدم الانحياز وجعلته ركنا من اركان سياستها (3) .

ولم تكن هذه المبادىء الخمسة التى استقرت اليها دول العالم وخاصة دول العالم الثالث والمحبة للسلام والخلاص وليدة الصدفة ، ولكنها جاءت اثر عدد من المؤتمرات المؤسسة حيث انعقد :

ا ـ **مؤتمر باندونغ** : المنعقد باندونيسية فى فى 18 ابريل عام 1955 والذى اشتركت فيه تسع وعشرون دولة وانتهى الى القرارات التالية التى تعتبر اساس عدم الانحياز وهي :

1 ـ احترام حقوق الانسان الاساسية ، واغراض ومبادىء ميثاق الامم المتحدة وهذا القرار ليس الا تطبيقا لفكرة الحق الدولي التى تدين بها نظرية الحياد الايجابي والتى دعت هذه النظرية الى تقديسها ، كما ان احترام ميثاق الامم المتحدة هو من اخص مظاهر هذه السياسة باعتبار ان هذا الميثاق هو امل العالم ـ اذ روعي نصا وروحا ـ فى تحقيق السلام العالمي وهو ذات الهدف الذى تدعو اليه سياسة الحياد الايجابي

2 ـ احترام سيادة جميع الامم وسلامة اراضيها .

3 ـ الاعتراف بالمساواة بين جميع الاجناس وبين جميع الامم كبيرها وصغيرها .

4 ـ الامتناع عن اي تدخل فى الشؤون الداخلية لبلد آخر .

5 ـ احترام حق كل امة فى الدفاع عن نفسها انفراديا او جماعيا وفقا لميثاق الامم المتحدة .

6 ـ الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية لاي دولة من الدول الكبرى، وامتناع اي بلد عن الضغط على غيره من البلاد ، وهذه المبادىء جميعها من مقتضيات سياسة الحياد الايجابي التى تحترم سيادة الدول وتقدس حق الحرية .

7 ـ تجنب الاعمال او التهديدات العدوانية او استخدام العنف ضد السلامة الاقليمية او الاستقلال السياسي لاي بلد من البلاد .

8 ـ تسوية جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية مثل التفاوض او التوفيق او التحكيم او التسوية القضائية .. الخ .

9 ـ تنمية المصالح المشتركة والتعاون المتبادل، وهذه الاهداف تتفق والهدف النهائي من سياسة الحياد الايجابي ، وهو تحقيق السلام العالمي وتتفق والوسائل التى رسمتها هذه السياسة لتحقيق تلك الاهداف .

10 ـ احترم العدالة والالتزامات الدولية ، وهذا المبدا هو تطبيق لفكرة العدالة الدولية كما وعتها وارست قواعدها سياسة الحياد الايجابي .

ب ـ **مؤتمر بريوني** المنعقد بيوغسلافية فى يوليوز عام 1956 خلال زيارة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الراحل ليوغسلافية فى يوليو عام 1956 واسفرت هذه المحادثات عن اذاعة بيان يرتكز فى اساسه الى القرارات التى أذاعها مؤتمر باندونج ويقر المبادىء التى انبثقت منه ، مما جعل التلاقي فى حقيقته تطبيقا صريحا لنظرية الحياد الايجابي .

---

(3) « مجلة السياسة الدولية » المصرية (س : 6/ عدد : 21 يوليو 1970)

واوضح البيان ان انقسام العالم الى تكتلات قوية من شانه زيادة هذه المخاوف ، وكان ذلك تاكيدا لنظرية عدم الانحياز (4) .

ج ـ **مؤتمر اكسرا** الذى انعقد بغانة فى ابريل 1958وحضرته الدول الافريقية المستقلة ، وقد انتهى هذا المؤتمر الهام بقرارات هي فى ذاتها تطبيق للمبادىء التى تنطوي عليها سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز اذ قرر المؤتمر بعد تبادل وجهات النظر الولاء المطلق لميثاق الامم المتحدة والتمسك بالاسس التى ابرمها مؤتمر باندونغ ، المتصلة باحترام حقوق الانسان الاساسية ، واحترام السيادة والاعتراف والمساواة بين الاجناس والامم . ونادى بتدعيم فكرة الحرية التى هي من الاسس الجوهرية فى سياسة الحياد الايجابي (5)

د ـ مؤتمر **الدار البيضاء** المنعقد بالمغرب فى يناير 1961 بحضور المغرب والجزائر (الحكومة المؤقتة) وليبيا والجمهورية العربية المتحدة ومالي وغينية وغانة .

وانتهى هذا المؤتمر الى ثمانية قرارات اولها اعلان ميثاق افريقي ارتبطت به الدول التى اشتركت فى اعمال المؤتمر ، ثم سبعة قرارات اخرى وقد اكد الميثاق ان هذه الدول لن توحد جبهتها السياسية لتتخذ مواقف مشتركة تنبع من مصالح القارة ؛ وتتفق مع اهدافها فى التقدم والتطور والحرية الحقيقية ؛ وكان هذا القرار تطبيقا صريحا لمقتضيات القوة المعنوية التى تنادي بها سياسة الحياد الايجابي والتى تنبعث من ضم الصفوف ، ولم الشعث وجمع اليد بين الدول ذات المصالح والاهداف المشتركة ؛ كما انبثقت سائر القرارات التى اقرها المؤتمر من قرارات مؤتمر باندونغ . (6)

المغرب وعدم الانحياز فى دورته الاولى

اتسمت الدبلوماسية المغربية ، واشتهر عنها فى المحافل الدولية انها لعبت دورا طلائعيا فى تركيز مبادىء عدم الانحياز ، والسير على نهجه بدقة ، والحقيقة ان مرد ذلك لسببين مهمين وعميقين فى مفهومه وسلوكه هما :

اولا : انه بقاسم المحركين الاولين لمؤتمر بلغراد انواع القلق الذى كانت تدعو اليه الحالة الدولية فى ذلك العهد ، ويحس باحساسهم ، ويبدو ذلك واضحا فى كونه « **وافق بسهولة على ضرورة عقد هذا المؤتمر (7)** » .

ثانيا : ايمانا منه ، وثقة فى هذا الاختيار « **جعل من عدم الانحياز محورا اوليا لسياسته الخارجية (8)** » ويدعو اليها باقتناع ، واهتبال بمفهومها الانساني ونتائجها الحسنة خصوصا فى هذه الظروف العصيبة التى تجتازها الانسانية ؛ ولقد مثل المغرب فى الدورة الاولى للقاء هذه الدول جلالة الحسن الثاني (سبتمبر 1961) وفى اول عهده الميمون .

وفى هذا المؤتمر التاريخي الذى حضره سبعة وعشرون من رؤساء الدول والحكومات كان جلالة الملك الحسن الثاني هو الذى يمثل المغرب ، وقد ظلت مساهمة ملكنا فى هذا المؤتمر الذى لم يكن له نظير على صعيد المجتمعات الدولية ، تقيم الدليل القاطع على تعلق المغرب بمبادىء العدل وعدم التبعية فى المساهمة فى مشروع السلام ، وفى اهتماماته بالبحث عن الحلول الصالحة للمشاكل المشار لها.

وان ادراك جلالة الحسن الثاني لهذه السياسة التى أعطت لعدم الانحياز مدلوله الواقعي ؛ لم يكن ادراكا لسياسة توازنية ، ولم يكن هذا الادراك يقضي مطلقا بنوع من عدم الاهتمام او بحالة واقعية تتجلى فى الانكماش او فى خشية عدم الصدع براي ايجابي فى شان حوادث تؤثر على الحالة الدولية ، بل هذا الادراك هو كما بينه ملكنا بوضوح ؛ لا يعني ابدا انكار كل فكرة حكيمة مثمرة او ايجابية تنبعث من اندفاع كل من الكتلتين ، وليس هذا الادراك كذلك بمثابة بذل الوسع وافراغ المجهود امام مشكل وقع طرحه لايجاد حل من الحلول ، لا يكون آتيا لا من

(4) كتاب «سياسة الحياد الايجابي» الصادر ضمن سلسلة (كتب قومية) ص : 311
(5) المصدر السابق
(6) المصدر السابق ص :314 .
(7) كتاب (الديبلوماسية المغربية فى عشر سنوات) صفحة 104 .
(8) نفس المصدر .

المغرب ولا من الشرق اذ الامر ـ كما قال صاحب الجلالة ـ من الحلول ما يؤخذ وما يترك ، ولابد من ان يستند الاختيار على الموضوعية الثابتة .

واذا كان ممثل المغرب قد حدد مواقف بلاده نحو القضايا التى تشغل بال الراي العام فبالاضافة الى هذه الاراء المتعلقة بالمشاكل السياسية التى قسمت العالم الى كتلتين متضادتين فى الكفاح من اجل النفوذ فى العالم ، فان المغرب الذى هو على بينة من الاخطار العظيمة التى تتمثل فى هذه المشاحنة ، اراد ان تنبثق اسباب عدم الاستقرار الدولي عن عدم التوازن الاقتصادي والتجاري والاجتماعي الموجود بين الامم الغنية والامم الفقيرة، لان عدم التوازن ، اذ نما يوما بعد يوم يظل العنصر الاول لعدم الاستقرار ، ولعدم الثقة المحدث فى العلائق الدولية ، وان الآراء المغربية فى المشاكل السياسية المعروضة موضوعيا من طرف ممثل المغرب، ضمن اطار التفهم الذى اراد ان يكونه من عدم الانحياز الموصوف بالحركة والايجابية والنشاط ، هذا الادراك الذى تبناه المغرب قياما بدوره نحو المشاكل الخطيرة التى كانت تهدد السلام طيلة العهد الذى انعقد فيه مؤتمر بلغراد ، قد امته عليه الحالة الجغرافية التى توجد عليها البلاد ، كما املاه عليه تطوره طيلة تاريخ شعبه الموصوف بالشجاعة والانصاف والطاعة والتشبث بالحرية والعدل ، ومن هنا كان موقف المغرب له وزنه وقيمته فى المجالين الداخلي والخارجي ولان جلالة الحسن الثاني « كان المعبر الشعبي لمطالب شعوب نامية ، متحررة ، تؤمن بالتحرر فى اجلى مظاهره ، وفى تعايش سلمي فى اروع مراحله الموصلة الى حياة افضل ، وبقاء اسعد، يخدم هذه الانسانية المعذبة من جراء طغيان العظماء ، وطغيان شوكتهم الاستعمارية والاستغلالية على بعض الجهات التى لا زالت تواجه جيوشهم ، وجيوش حلفائهم ومنظماتهم (9) » .

ومن هنا فمفهوم عدم الانحياز بالنسبة الى المغرب ، متسع خصب واكثر حيوية مما يظن عادة، وهو يرى ان عدم الانحياز لا يمكن ان يكون مجرد نظرية سياسية ، بل فلسفة اكثر انسانية وواقعية ايضا .

وباشارة من المغرب ، الذى ربما هو اول دولة ارادت ان تضيف الى عدم الانحياز السياسي ، عدم انحياز اقتصادي ، قد انعقد مؤتمر لا يقل شأنا عن مؤتمر بلغراد بالقاهرة بعد مضي سنة واحدة ، فاهتم بالمشاكل من النوع الاقتصادي والاجتماعي والتقني، التى هي من مشمولات مقترح جلالة الحسن الثاني فى سبتمبر 1961 . وقد خرجت نظرية عدم الانحياز من هذين المؤتمرين ، اقوى ما كانت عليه ، لانها فرضت وجودها بالقاهرة .

ومنذ ذلك التاريخ ، استطاع عدم الانحياز ، بفضل الواقعية والحكمة التى تحلى بها جميع رؤساء الدول والحكومات الذين شاركوا فى المؤتمر السياسي فى بلغراد ، وفى المؤتمر ذي الصبغة الاقتصادية والاجتماعية بالقاهرة ، ان يضفي مزيدا من البيان على نظريته ، ومزيدا من الوضوح على خطته (10) .

اللقاء الجديد

وانعقد المؤتمر الثالث لدول عدم الانحياز بعاصمة زامبيا الافريقية بعد ان وافقت تسعة وخمسون دولة فى « الاجتماع الاستشاري لبلدان عدم الانحياز » الذى انعقد فى بلغراد فى 8 يوليوز 1969 بمشاركة المغرب الذى سارع للحضور مؤكدا ان « **العامل الرئيسي المشترك لدى الاقطار غير المنحازة هو التزامها بمبادىء الاستقلال والسيادة وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية** » (11)

وقد مثل المغرب فى هذا الاجتماع السيد محمد السجلماسي الكاتب العام لوزارة الخارجية يومئذ ، حيث اقر المجتمعون الاستفادة من العيد الخامس والعشرين لمنظمة الامم المتحدة لهذه الغاية وكلف لجنة (12) لذلك ، وبعد شهرين تلاه مؤتمر ثان فى نيويورك ، وفى شهر ابريل 1970 انعقد اجتماع تمهيدي لوزراء خارجية عدم الانحياز بدارالسلام مثل المغرب فيه وزير الخارجية سابقا السيد عبد الهادي

(9) جريدة «العمال» المغربية (ع : 11 ـ 9 ـ 61 ، ص : 8
(10) كتاب (الديبلوماسية المغربية فى عشر سنوات) صفحة : 104 .
(11) جريدة «الانباء» (ع : 1711 ، ص : 1 ـ 5 ـ 7 . 69)
(12) تتكون من العراق ويوغسلافية وغانة واثيوبيا .

بوطالب وتكونت فى هذا اللقاء لجنة تحضيرية لمؤتمر القمة تتكون من 16 دولة ضمنها المغرب حددت ايام : 8 – 9 – 10 من شهر شتنبر 1970 كموعد لاجتماع القمة فى «لوساكا» ؛ واجتمعت هذه اللجنة فى نيودلهي ، كما عقدت اجتماعا ءاخر فى لوساكا آخر يوليوز 1970 ، وتقرر فى هذه الاجتماعات جدول الاعمال وفيه ايضا حددت ستة معايير لحضور المؤتمر الثالث .

◆ انعقد المؤتمر الثالث يوم 7 سبتمبر 1970 م / 1390 هـ بمدينة (مالنجوشي) (13) بضواحي لوساكا عاصمة زامبيا .

◆ حضر المؤتمر 62 دولة (14) تمثل شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية وبعض دول اوربا .

◆ تراس المؤتمر السيد كينيت كواندا رئيس جمهورية زامبيا بالانتخاب ، كما انتخب ستة نواب للرئيس وهم : رؤساء وفود السودان وسيلان ويوغسلافية وجمهورية وسط افريقية والهند وموريطانيا وانتخب رئيس وزراء غويان كمقرا للمؤتمر .

◆ وقد حضر المؤتمر 25 رئيس دولة .

◆ كما شارك فيه 300 صحفي من كل انحاء العالم .

◆ ويتكون الوفد المغربي فى مؤتمر عدم الانحياز كما يلي :

السيد عبد الهادي بوطالب ممثل جلالة الملك وعضوية :

السيد يونس نكروف ورئيس قسم اوروبا وامريكا بوزارة الخارجية .

السيد ابو بكر بومهدي رئيس قسم افريقيا وآسيا بوزارة الخارجية .

السيد المهدي زنظار سفير المغرب بالقاهرة .

السيد رفيق الحداوي مدير ديوان وزير الخارجية .

السيد احمد بورزايم سكرتير الوفد

◆ اما جدول الاعمال فكان كما يلي :

اولا – تصريح حول السلام والحرية والنمو والتعاون وديمقراطية العلاقات الدولية

ثانيا – مناقشة عامة حول الوضع الدولي .

ثالثا – مناقشة حول حفظ وتقوية السلم والامن الدوليين باعتبار الوضع الحالي فى العالم :

ا – دور عدم الانحياز وتقوية التعاون بين الدول اللا منحازة .

ب – تقوية هيئة الامم المتحدة والمنظمات والهيئات المختصة التابعة لها .

ج – نزع السلاح العام والشامل

د – الاحلاف العسكرية والقواعد الاجنبية والوجود العسكري فى بعض الاقطار .

هـ – مبادىء التعايش السلمي العالمي وتدويلها .

رابعا – حفظ وتقوية الاستقلال والسيادة الوطنية وسلامة الاراضي الوطنية والمساواة بين الدول :

ا – ما يجب القيام به لتحرير البلاد المستعمرة وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لحركات التحرير فيها :

ب – القضاء على جميع انواع الميز العنصري .

ج – الاستعمار الجديد .

د – حفظ وتقوية استقلال البلدان اللا منحازة .

---

(13) تبعد عن العاصمة بحوالي 20 كلم . وهي مدينة حديثة اقيمت خصيصا لهذا المؤتمر

(14) بحضور عدة حركات سياسية وثورية تناهض الاستعمار والانحياز .

هـ ـ عـدم التدخـل فى الشؤون الداخليـة للدول .

خامسا ـ التنمية الاقتصادية وضرورة الاعتماد عـلى :

ا ـ التعاون الثنائي الجهوي وعلى الصعيـد الاقليمي فيما بين دول عـدم الانحيـاز والبلاد النامية .

ب ـ السياسة الخاصة بالتجارة والمعونة .

ج ـ العقد الثاني لتنمية هيئة الامم المتحدة .

سادسا ـ قضايا مختلفة .

واذا كان هذا المؤتمر قد انعقد فى ظروف دقيقة جدا فان خطاب رئيس المؤتمر تميز باسلوب واضـح وبمواقف محددة ، اعتبر كل الملاحظين ان خطابه كان فى مستوى الاحداث ، ويمكن ان نجمل هذا الخطاب فى النقط التالية :

1) ندد الرئيس كواندا فى بداية خطابه بالدول الغربية التى تبيع الاسلحة الى جنـوب افريقيـة ، واكد ان استثمارات هذه الدول فى جنوب افريقيا وارسال الاسلحة لها قد مكنت التفرقة العنصريـة من توسيع حدود نفوذها .

2) وفيما يخص اسباب انعقاد المؤتمر الثالث لعدم الانحياز فقال بانه اذا ما تم تفادي اندلاع حرب عالمية ثالثة منذ انعقاد القمة الاولى فان مبادىء قاعدة الحركة تبقى دائما صالحة .

3) وقال: نحن فى حاجة الى استقلال وحرية وعدالة وسلم وتنمية اقتصاديـة متوازنـة وعدالـة اجتماعية .

4) طالب القوات الامريكية بالانسحاب التام من جنوب شرقي آسيا لانه اول عمل من شانـه ان يؤدي الى خلق سلم دائم وحقيقي .

5) طالب الرئيس كوانـدا باتبـاع سياسـة مبنية على التعاون الاقتصادي والمالي والفني .

6) اوضح ان التعاون بين **الدول غير المنحازة** لا يعني التخلي عن التعاون مع **البلدان المتقدمة .**

7) وقال : ان هدفنا الاساسي **هو التقليل من** تبعيتنا للدول الكبرى التى نتتظـر منهـا **اعانتهـا** الاقتصادية والمالية والفنية .

وبعد انتهاء الرئيس من **خطابه** تناول الكلمـة الامبراطور هيلا سيلاسي الذى **اقترح مخططا يشتمل** على خمس نقط لوضع حد لنظام جنـوب افريقيـة العنصرية وهي :

1) العمل على تحقيق **حظر التبادل التجاري** مع جنوب افريقية وبقية **الحكومات العنصرية .**

2) قطع العلاقات الدبلوماسيـة مع جنـوب افريقية وروديسيـة والبرتغال

3) وحظر استخدام **مطارات وموانيء** وطائرات وسفن هذه الدول .

4) تقديم جميع المساعدات **المالية** لضحايـا السياسـة العنصرية .

5) اتخاذ مواقف فعالة **لمسانـدة الحركـات** التحررية .

اما الخطاب الذى القاه الرئيس تيتو **فقد** تميز ب :

1) استنكاره للسياسة **التوسعية لاسرائيـل** وقال : اذا لم يتم التغلب على الازمة **فان من الممكن** ان تسيء الى السلام العالمي .

2) ودعا دول عدم الانحياز **الى ان يوحـدوا** بعزم فى الكفاح ضد سياسة القوة **والسيطرة .**

وقال : ان علينا ان نثبـت **بأقـوى ما يمكـن** تضامننا وتدخلنا بشكل موحد خصوصـا **اذا** كـان علينا ان نقـدم مساندتنـا **ومساعدتنـا للاقطـار** والشعوب غير المنحازة التى تكون ضحية **العدوان ،** وتوجد فى وضع عصيب .

3) دعا دول عدم الانحياز الا تبقى غير مبالية ازاء العدوان الاسرائيلي على الاقطار العربية .

4) ثم تحدث عن قبول اسرائيل لمشروع روجرز ثم رفضها له ، فوصف ذلك بانه مناورة تدخل قطعا في اسلوب وتصرف اسرائيل من 1948 الى الآن (15)

اما باقي الخطب فيمكن ان نقول بانها تميزت بتمديد مفهوم الحياد ، واعطاء الراي في الطرق التى يجب ان تتبع لمحاربة الاستعمار والميز العنصري وقضية الشرق الاوسط في حين تميز موقف المغرب بصفة خاصة وموقف دول المغرب العربي بصفة عامة بوضوح شامل عبر عنه بوشوح وزير خارجية الجزائر في خطابه بقوله :

« ان انعقاد مؤتمر القمة الثالث للبلدان غير المنحازة في لوزاكا يعتبر شرفا لقارتنا ، وانا لسعداء بصفة خاصة ان نجد انفسنا في بلد شقيق تربط الجزائر به علاقات صداقة وتعاون مثاليين في خدمة القضية الافريقية والعدالة والسلام والامن الدولي .

ان الاجتماع الحالي له مغزى عميق خاصة وهو ينعقد في هذا المكان القريب جدا من مناطق الكفاح من اجل الحرية، وهو يبرهن من الآن عن المكانة المعتبرة ، التى تحتلها افريقيا الجديدة في الحظيرة الدولية ومن الدور المتزايد الذى تلعبه في اعادة ترتيب العالم على اسس ديمقراطية مطابقة لآمال الانسانية ولمتطلبات عصرنا الحالي (16) » .

في حين كان خطاب المغرب على حد تعبير وكالة (فرانس بريس) يتميز بطابع خاص ، وباسلوب جديد مستهدف ، وذلك بالفعل ما نلمسه في النقط السبعة الواضحة الاتجاه التى يحددها مجموع الخطاب المغربي فيما يلي :

اولا : لا شك ان مؤتمر لوساكا سينهي العمل الذى بدىء في مؤتمري بلغراد والقاهرة ويحدد معالم العمل الذى ستقوم به دول عدم الانحياز في المستقبل، وان الحكومة المغربية التى تدرك اهمية عدم الانحياز استعرضت ما حققته دول عدم الانحياز خلال عشر سنوات من العمل وسجلت النتائج التى تحققت حتى الآن ، وكذا المتاعب والصعوبات كما لاحظت الفرق بين الآراء والاعمال وحالت مختلف التقلبات على الصعيد الدولي ، كما حاولت الخروج بفكرة عن الوسائل والسبل التى تعزز جانب دول عدم الانحياز في المجتمع الدولي وتضمن فعالية هذه الدول .

وان التقلبات التى شهدها العالم خلال السنوات الاخيرة تدعونا الى توحيد الصف ، وتكميل الانسجام ، والعمل بفعالية لوضع حد لظاهرة افتقار الفقراء اكثر فاكثر ، وتعزيز جانب البلدان الغنية في نفس الوقت ، ويجب استخلاص العبرة من الاحداث التى يشهدها العالم ، ومن الحوار القائم بين الاقوياء واعتدادهم وتوحيد وجهات النظر حتى يتمكنوا من تسيير شؤون العالم حسب مشيئتهم » .

ثانيا : « وينبغي ان ندرك من خلال الاوفاق الخاصة بنزع السلاح بين العملاقين الكبيرين ومن خلال المحادثات الاولى للحد من الاسلحة الاستراتيجية ، ومحادثات السلام في باريس واتفاقية نبذ استعمال القوى بين الاتحاد السوفياتي والمانيا الغربية ، ومحاولات اقرار السلام في الشرق الاوسط والتقدم الذى تحقق في عقد مؤتمر أوروبي للامن والاتصالات بين الصين الشيوعية والولايات المتحدة في فرسافيا من خلال مواجهة الدول ذات الاقتصاد القوي لمطالب دول العالم يجب ان ندرك من خلال كل هذه الامور ان الحرب الباردة التى كانت في اوجها عند مولد فكرة عدم الانحياز قد خفت حدتها ولذلك يجب علينا ان نكيف آراءنا واعمالنا مع الاساليب الجديدة التى تستعملها الدول القوية الجانب »

ثالثا : « واذا ادركنا ان هوة شاسعة تفصل بيننا وبين نزع السلاح بصفة شاملة وان الجهود المبذولة لتصفية الاستعمار بطيئة وان الانظمة العنصرية في المستعمرات البرتغالية وروديسيا وجنوب افريقيا توسع نشاطها ، وتحظى بالدعم وان ميثاق الجزائر لم يحقق الاهداف المرجوة منه وان

---

(15) ملخص عن وكالة المغرب العربي يوم (9 — 9 — 1970) .
(16) جريدة (الشعب) الجزائرية (ع 2408 — 15 — 9 — 70)

ارساء العلاقات بين الامم على اسس ديموقراطيـة لا يعدو ان يكون مجرد امنية وان منظمة الامم المتحدة لا تقوى على تأكيد سلطتها المعنية وان البلدان القوية والغنية تتضافر لضمان مصالحها ، فسنلاحظ اذن: ان عدم الانحياز اذا اراد تحقيق اهدافـه يجب ان يبحث عن جميع الوسائل الكفيلة لضمان الانسجـام وتحقيق التضامن وتحديد المصالح المشتركة ووضـع قاعدة للعمل المشترك من اجل بلوغ اقصـى حد من الاهداف .

رابعـا : « وان المغـرب يعتقـد ان الاســاس السياسي والايديولوجي لهذه القاعـدة هو التمسك بمباديء عدم الانحياز واستقلال بلداننا عن قـوى الهيمنة وجميع القوى التي تعمل ضد طموح شعوبنا والتعايش بين مختلف الانظمة السياسية والاجتماعية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وحق الشعوب في الحرية وتقرير المصير .

خامسا : « ان اسرائيل بعد ان طردت شعبـا برمته من وطنه لتجعل منه شعبا مشردا فانها بمـا يتوفر لها من القوة تستمر في تحدي ضميـر الراي العام الدولي وتواصل اعتداءاتها على الجيـران ولا ترحم السكان المدنيين وحتى الاطفال منهم وتحاول بجميع الوسائل نكران حق الشعب الفلسطينـي في العودة الى وطنه وقد ذهبت الى ابعد من ذلك عندما قامت بعدوان غادر مكنها من احتـلال اراضـي ذات سيادة تنتمي الى عضوية الامم المتحدة ولمجموعة دول عدم الانحياز كما تحاول ابتلاع هذه الاراضي بصفة نهائية واخضـاع سكانهـا السيطـرة العنصـرية الصهيونية .

ونظرا لذلك فان التجاء اسرائيل للقـوة ومـا يتوفر لها من امكانيات بسيكولوجيـة ، وسياسيـة واقتصادية كلها عناصر تشكل تهديدات مباشرة على السلام ، ويتعين علينا نحن دول عدم الانحياز الا نقف موقف اللا مبالات من هذه التحديات ونبقى مكتوفي الايدي بل يجب ان نساعد في البحث لايجـاد حـل عادل ومنصف يؤدي الى الانسحـاب من الاراضـي العربية المحتلة واقرار حقوق الشعب الفلسطيني .

سادسا : « ان اقاليم اخرى كالصحراء المدعوة بالاسبانية ما زالت تخضع للسيطرة الاجنبية »

سابعا : « اننـا مقتنعـون بان هـذا المؤتمـر سيبرهن للعالم عن نضجنا السياسي وادراكنا لواقع الامور وعزمنا على النضـال بـدون كلـل لنصـرة العدالة » .

ومن هنا نجد ان المغرب قد حدد موقفه هذا في المعنى الحقيقي لكلمة عدم الانحياز ، وهذا ما دفعه الى الاعلان عن النتائج المقبلة لهذا التجمع في حين اوضح ان المشاكل التي تقف في وجه انتشار الحياد نتيجة « **للحوار القائم بين الاقوياء واعتدادهم وتوحيد وجهات النظر حتى يتمكنوا من تسيير شؤون العالم حسب مشيئتهم .»**

وهذا ما يجعله يرى ـ حسب تعليـق الاذاعـة الوطنية بالرباط ـ ان « القوة الحقيقية في تجمع هذه الدول ، وفي عملها المشترك ، ومواقفها الموحدة تكمن ، ليس فيما تدل عليه كلمة عـدم الانحيـاز ، ولكن في ان هذا الموقف تمليـه وتفرضـه كثير من الحقائق والاشياء ، ليس في مقدمتها بالضرورة ان تصدر هذه الدول عن منطلق عقائدي موحد ومتكامل وليس بالضرورة كذلك ان تسعى هـذه الـدول الى خلق قوة سياسية ثالثة في مواجهـة قوى الشـرق والغرب . (17) »

وبالرغم من كل هذه الجـوانب التـي اثارهـا المتكلمون ، اما الذين حاولوا ان يفرغـوا فيه عـدم الانحياز في قالب متطـور ، فان الشيء الذي كان يستقطب كل وفد هو بغية التوصـل الى سياسـة خارجية تلتزم بمواقف ايجابيـة لعـدم الانحيـاز ، والتخفيف من الضغوط الواقعة عليها ، وعلـى دول العالم من احد العملاقين النوويين : امريكا وروسيا .. لكن هل استطاعـت سياسة عـدم الانحياز ، في المرحلة الحرجة التي يمر بها العالم ، ان تتوصل الى الفكاك ، والتخلص من آثار نفوذ العملاقين الدوليين، وتوجه كل قواها نحو الانحياز التـام لكل مبـاديء الحرية ، والتنمية ، والمساواة في التعاون الدولي ، وبالتالي ، في مساندة كل دولة تكافح الاستعمار ، والاغتصاب ، والتمييز العنصري ؟ وان دول آسيا، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية وبعض دول اوربا ، تقف

---

(17) تعليق الاذاعة الوطنية يوم 14 ابريل 1970

اليوم ـ وبعد انعقاد مؤتمر القمة الثالث لدول عدم الانحياز ، ودول القمة الافريقي لدول ميثاق اديس ابابا ـ في منعطف طريقين :

طريق اول : يقود الى مواجهة صريحة ـ ايجابية ـ شجاعة في مواجهة المشاكل التي هي نتيجة لتدخلات الدول الاستعمارية ، والامبريالية ، فيكون في ذلك بعث جديد لحركة التحرر الوطني في العالم الثالث كله ، وتعطي لهذه السياسة ـ عدم الانحياز ـ معنى ومضمونا انسانيا ، واخلاقيا ، وعمليا . .

طريق ثاني: يؤدي الى الهروب من المشاكل، وذلك بالمجاملة ، والتردد والمساومة والاستسلام ، فتسقط سياسة هذه الدولة بين مخالب سياسة امبريالية استعمارية لا ضمير لها ، وتقع اسيرة لمؤتمرات عديدة ، ومتنوعة من جهة ، ومفاجئات وهروب ، وانقلابات من جهة اخرى . (18)

ومرد ذلك « لان الحاجة الى التكتل اصبحت اقوى مما كان عليه الامر غداة مؤتمر باندونغ خاصة وان اغلبية الشعوب التي كانت مستعبدة آنذاك تتمتع الآن بحريتها وسيادتها » ولكن هذا العالم الذي تنتمي اليه تلك الشعوب . يواجه ، وبدرجة واحدة من التحدي ، مشاكل نابعة من اصل واحد ، وذات سمة واحدة . . وهي مشاكل التخلف والقضاء على بقايا الاستعمار ، وتحرير بقية الاجزاء المغتصبة في افريقيا بصفة خاصة ، والمضي بحماس في بناء صرح التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، في جو يسوده السلام والتعاون وينعدم فيه الخوف والذعر من الحروب . . وفي عالم تنتفي فيه نهائيا سيطرة القوة الغاشمة وتنحنى فيه رؤوس الاشرار والطغاة والعنصرية في الشرق الاوسط ، وفي جنوب افريقيا وروديسيا والمستعمرات البرتغالية ، وفي غير هذه الاماكن من العالم (19) .

ولذا فان الدعوة الى تضافر الجهود ، ورسم خطة موحدة للدول الغير المنحازة للعمل السياسي والاقتصادي والفني تعني مواجهة المعسكرات التي تقتسم العالم باسم السلام ، وتعني مواجهة الخطر الذى يتهدد الدول اللا منحازة من جراء هذا التقسيم، وتعني بالتالي تكوين قوة ايجابية لهذه الدول في المجال العالمي . .

وهذا التكتل لا يمكن له ان يقوم على اسس ايجابية وفعالة الا اذا كتلت الدول اللا منحازة جهودها من اجل رسم طريق واضح لتعاونها في المجالات الاساسية كالاقتصادية والتقنية والسياسة من اجل السلام لا سلاما مسلحا . (20) »

النتائج المطلوبة :

والذى يلمسه المتتبع للاحداث وهو يقرا مقررات المؤتمر هو ان عددا من دول العالم الثالث قد تركت نفسها قليلا عرضة للخداع واللف والتجوية تمشيا مع التطورات الطارئة عليها ، ولكن كان ناقوس اللقاء الثالث لدول عدم الانحياز يدق منبها . . وهذا ما جعلها تراجع موقفها ولو على الرغم منها لانها لمست ان الذين اختار واعدم الانحياز بالامس في المؤتمر الاول والثاني استعرضوا اليوم المواد التي ينبغي ان تقوم عليها رسالتها وهي في مؤتمرها الثالث بلوساكا قد حولت تلك المواد وصاغتها في نقط لم صبتها في قالب وثيقة اساسية بنيت عن حسن نية ووفاق وهي التي يمكننا ان نجملها في هذه النقط :

- « العمل على اقرار السلام العالمي . واقامة نظام فعال للامن الدولي .
- مناهضة الاحلاف العسكرية واقامة قواعد عسكرية في تراب تراب بلدان اخرى او مرابطة قوات عسكرية فيها خلافا لرغبتها .
- حق الشعوب التي لم تتحرر بعد في تقرير مصيرها ومساندة ومؤازرة الحركات التحررية ماديا ومعنويا بما هو في الامكان .

---

(18) مجلة (الجيش) الجزائرية (ع : 79 / اكتوبر 1970 ص: 52)
(19) افتتاحية جريدة «الانباء» ع: 1950 / 15 / 4 / 70 ـ ص : 6)
(20) «جريدتك» (ع : 36 ـ 11 / 9 / 70 ـ ص : 2)

- حق كل الامم ذات السيادة فى تخطيط الطريقة التى تراها صالحة لتنسيقها وحقها فى الاستفادة من اصول التقدم الاقتصادي والتقني .

- تكتيل الجهود وتوحيدها داخل اسرة البلدان النامية قصد ادخال التغييرات اللازمة والعاجلة على هياكل الاقتصاد العالمي .

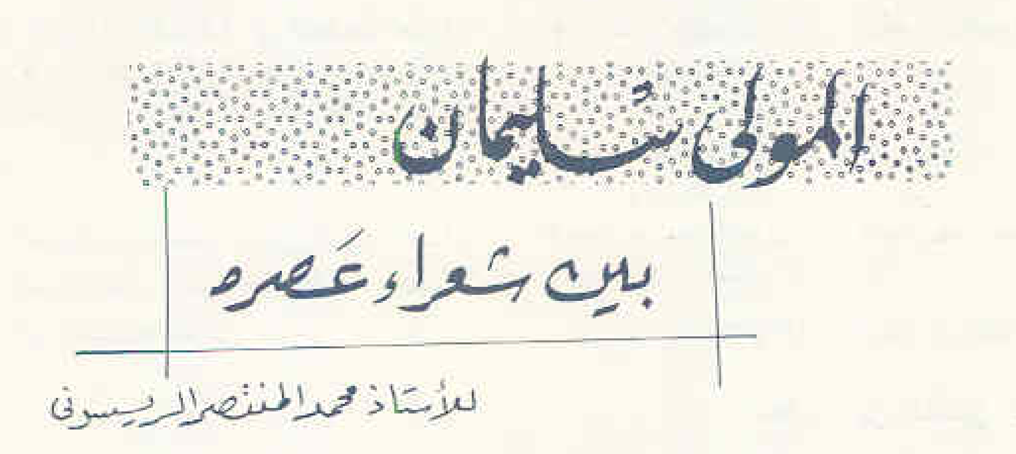
- دعم منظمات الامم المتحدة والاعتراف بمبدأ عالميتها » .

وهذه النتائج والقرارات ستطرح ايضا اسئلة جديدة وهي الى اي مدى سيتركز اتجاه عدم الانحياز، بعد التطورات الجديدة المختلفة التى تشهدها دول العالم الثالث ؟؟

ذلك ما ننتظر الجواب عنه فى اللقاء المقبل .

سلا ـــ زين العابدين الكتاني





قال الشاعر :

الابن ينشأ على ما كـان والـده
ان العروق عليها ينبت الشجر

هذه الحكمة التى اطلقها الشاعر حكمة فى غاية الوجاهة ، وموافقة الى ابعد حدود الموافقة للواقع المعاش ، ذلك ان الطفل عندما يفتح عينه للمرة الاولى يجد انه محاط باسرة ترعاه وتحدب عليه ، وتيسر له جميع انواع الرعاية والعطف ، ويعمل صاحب القوامة فيها على تكوينه اخلاقيا وعلميا ودينيا . ولا شك ان الطفل فى هذه المرحلة الدقيقة بالذات يتلقى بسهولة كل ما يملى عليه او يشاهده فى البيئة التى يعيش فى ظلالها ، فينشأ نشأة كريمة طيبة طبق السيرة التى تنهجها الاسرة ، وكذلك كان المولى سليمان يحيا فى جو تسوده روح ندية شفافة، تكلؤه وتمده امدادا كاملا لمواجهة الحياة .

فتح المولى سليمان عينيه على ضياء الحياة سنة 1180 فى حضن والده العالم المولى محمد بن عبد الله ، فرباه تربية اسلامية دينية علمية ، واختار له نخبة من العلماء تلقى عنهم شتى ضروب العلم ، من بينهم السيد عبد الوهاب اجانا والسيد عبد الرحمن ابن الحبيب .

وبعد وفاة اخيه اليزيد الذى لم يستمر عهده غير سنتين اصبح ملكا اثر تحرير علماء القرويين البيعة له ، لما راوا فيه من الكفاءة لهذه المهمة العظمى .

ورغم تقلده منصب الملك لم ينقطع عن حضور المجالس العلمية والاستفادة من اعلام المعرفة فى عصره ، والعطف على العلماء ، وزيارتهم فى بيوتهم .

وقد ساهم المولى سليمان العالم بدوره فى الحركة العلمية فالف وصنف من بين ذلك شرحه لكتاب الخرشي على مختصر خليل و « امتاع الاسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع » ورسالة له تحت عنوان « جواز التجمير بالقسط فى رمضان » .

وهذه الروح المعرفية التى تحلى بها المولى سليمان دفعته الى تشجيع العلوم واصحابها فانعكس ذلك على عهده الذى نعتبره امتدادا لعهد والده (1) فى كثير من انواع الثقافات ، والذى ازداد نشاط علمائه اكثر بفضل عنايته ورعايته . ومن يرجع الى كتاب العز والصولة (2) ، يجد فيه عددا وافرا من العلماء الذين كانوا يتقاضون مرتباتهم فى عهد هذا السلطان وذلك حسب طبقاتهم من بينهم الفقيه السيد احمد بن سودة والسيد العباس بن كيران .

---

(1) انظر بحثنا « المولى محمد بن عبد الله بين شعراء عصره » فى مجلة دعوة الحق العدد الثالث — السنة الثالثة عشرة — فبراير — مارس 1970

(2) ج 2 ص 167 وما بعدها — المطبعة الملكية — الرباط 1962 .

اما اعماله العمرانية فيمكن لنا ان نلخصها فيما يلي : تجديده المدرسة العنانية ، وتجديده قنطرة الرصيف ، وتشييده مسجد وزان وتطوان ، وابراجا بطنجة ، واصلاحه القناطر التى بين مكناس وفاس. وكانت وفاته سنة 1238 هـ .

— ✻ —

والشعر طبعا كما هي طبيعته يسجل الاعمال الجليلة ، ويتتبع بشغف حركات الاصلاح ، ويصور مرافق الحياة بما يكمن فيها من رائع نفيس ، ويحدد موقفه مما يعايشه فيدلي برايه ، لذلك نلمس فى عصر هذا الملك هذا الفن من الكلام يخوض الميدان باخلاص فيرسم كفاحه فى كل حلبة .

واول شاعر جدير بالتقديم على غيره من الشعراء ابو الفيض حمدون بن عبد الرحمن ابن الحاج السلمي المرداسي (ت سنة 1232) لكونه الشخصية الشعرية الاولى لدى المولى سليمان كما كان المتنبي فى بلاط سيف الدولة — مع فارق الجودة الشعرية بين الشاعرين — لذلك واكب شعره تحركات الملك كبيرها وصغيرها ، وراح يرسم لوحات تلو لوحات عن اصلاحاته ومكرماته ، وخصاله حتى تكون من كل ذلك ديوان قائم الذات سماه «السليمانيات»

ونحن سنحاول ان نقتطف باقات متنوعة من اعماله الشعرية تكفي للتدليل على نظرة الشاعر الى ممدوحه ، ومدى الحب الذى يكنه له فى اعماق نفسه .

فى مجلس من المجالس السليمانية انشد الشاعر السليماني — حمدون — موشحه معارضا موشح (3) ابن سهل الذى مطلعه (4) :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى
قلب صب حله عن مكنس

فهو فى نار وخفق مثلما
لعبت ريح الصبا بالقبس

اسقني جريال ثغر شبما
عندما مر بذلك اللعس

به سكر لا بما غش بما
من عصير سر به فى تعس

ويقول واصفا ممدوحه :

يا هلالا عاليا افقا سما
وهزبرا غالبا للحمس

بالذى آتاك ملكا قسما
ما يعاديك سوى النكس المسي

ويذكر بعد ذلك مسجد « الرصيف » الذى بناه الملك سنة 1209

لو راى جودك خالد لما
كف عن جدة ذيل الحندس

ولقد ابدى لنا قدرك ما
شدته من مسجد كالمقدس

بقعة قالت على من خصني
بالذى اوفى عفاة رفدها
وعلى تقوى الاله رضني
كعروس زادها الطرس دها
الخ .. (5)

وعندما بعث المولى سليمان اخاه المولى الطيب الى الجبل لضبط الامور هناك واقام أثر ذلك احتفالا بذكرى المولد النبوي الشريف قال حمدون لامية استهلها بمقدمة غزلية :

اسرت الى القلب ما باللحظ من ثمل
ونار خدي مباري الشمس فى الحمل

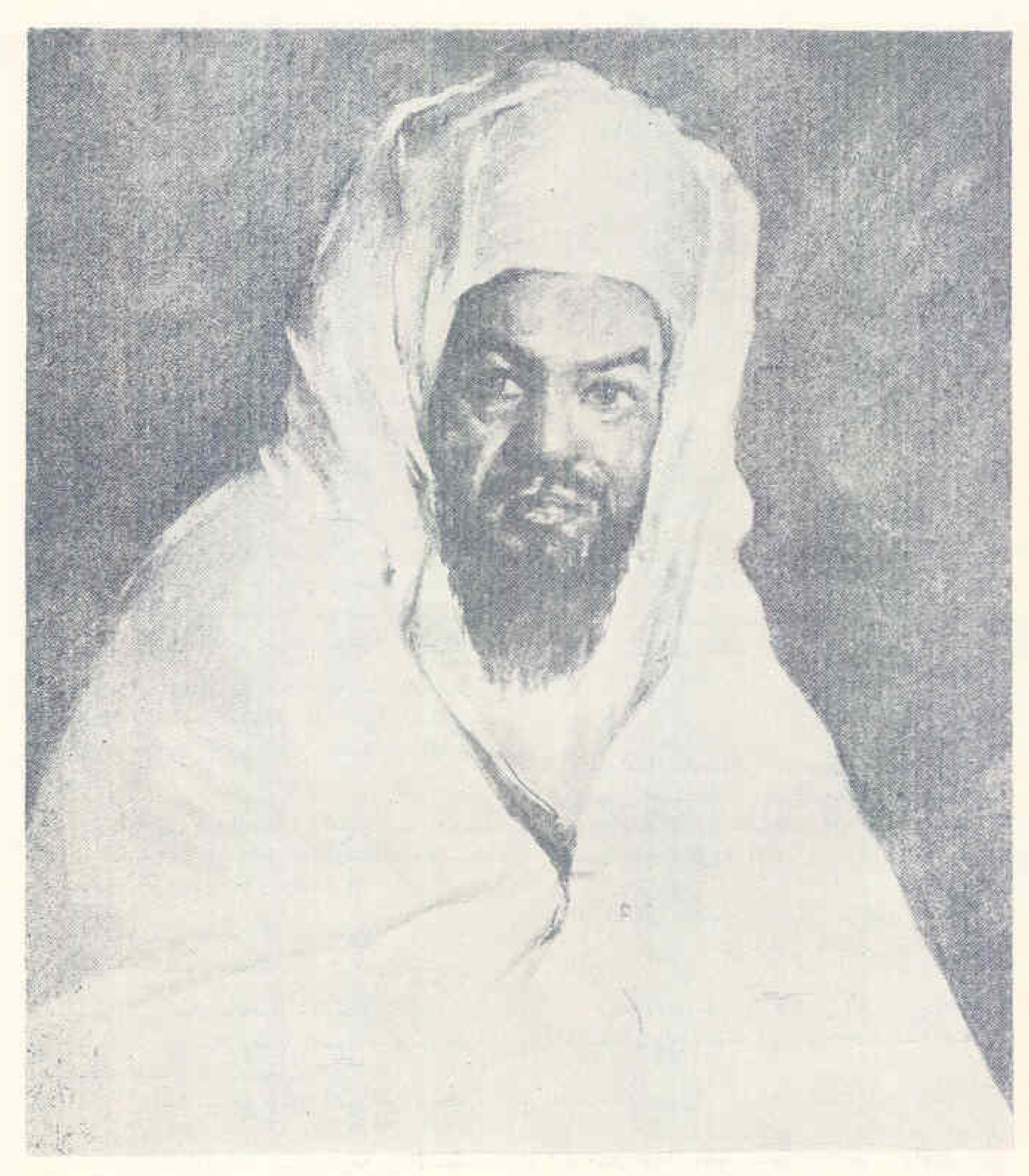
ثم بعد المقدمة الغزلية انتقل الى المديح النبوي، وما عتم ان راح يحدثنا عن ممدوحه مبينا حنكته

---

(3) عارض هذا الموشح لسان الدين بن الخطيب بموشحته الشهيرة « جادك الغيث اذا الغيث همى »

(4) المطلع عند الموشحين هو مجموعة من الاشطار ، والموشح الذى يبدا بمطلع يسمى « التام » والذى ليس له مطلع يسمى «الاقرع» .

(5) اورد الموشح الفيلالي فى كتابه التاريخ المفترى عليه فى المغرب ص 154 .



المولى سليمان

الحربية وتجربته السياسية وشغفه فى الطعن فى مناوئيه ، ولذلك اعداؤه لا يستطيعون المجازفة بانفسهم فى حرب ضروس معه ، وسيرة هذا الملك فاضلة كريمة بها اضحت الايام مخضرة يانعة ، لانه اكتسب الفضل عن اصالة ، وورث الخلق عن كرام اجداده ، فلا غرابة – اذن – ان حالفه التوفيق فى كل ما يعزم على الاضطلاع به ، والبرهان على ذلك انه كثيرا ما حقق العز الاثيل والمجد الكريم بصبره وجلده :

ازمانهم سعدت فيه كما سعدت
ازماننا بسليمان ابنه البطل

للضرب والطعن فى العدا يميل كما
يميل صب لضم القد والقبل

خرصانه فى عواليه مبنية
عادات آبائه النيران فى القلل

وان تنائى عدو قال رمحه فى
طول الوصول فخل السيف فى الخلل

وان تقارب قال السيف فى يده
فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

بحسن سيرته الايام باسمة
وزانها زينة الثغور بالرتل

اصالة الفضل زانته ولا عطل
لمن حمى نفسه من ساحة السفل

وحلية الفضل زانته ولا عطل
لمن تحلى بخلق السادة الاول

يا باديا سيف الدولة وحاميها
ما قاله المتنبي فيك لم يحل

ان السعادة فيما انت فاعله
وقفت مرتحلا وغير مرتجل

كم امتطيت مطايا العز مدرعا
بالصبر معتملا بالبعد عن فشل

ويذكر الحادثة الحربية التى صالت فيها جيوشه فابلت البلاء الحسن وقد قادها اخوه المولى الطيب :

ارسلت جيوشا عليهم يؤزهم
ازا كما ترسل البازي على حجل

فيه أخ لك طيب بصلب اب
له تمطى العليا ولم يزل

ويدعو الشاعر للمولى سليمان بالخير والوقاية من شر الطغاة ، وان يظل دائما متحليا – كما هي عادته – بخلال العفو والسماحة والصفح :

كفاك شر الطغاة فى البلاد فدم
فى ظل امن ظليل غير منتقل

ودم على العفو والصفح الجميل ولا
تعجل وان خلق الانسان من عجل

وفى مجلس آخر من المجالس السليمانية العطرة قال حمدون قصيدة عارض بها قصيدة ابن الخطيب :

سلا هل لديها من مخبرة ذكر
وهل اعشب الوادي ونم به الزهر (7)

جمع فى ابيات منها شمائل المولى سليمان التى نستقطبها فيما يلي : مكانته الرفيعة ، وتشجيعه العلم ، ونشر انواع المعارف ، وكريم منبته ونسبه وتقواه التى دفعت الرعية الى اطاعته لذلك فالنصر حليفه ، تجري مراكبه فلا تقوى الحوت والاسماك فى الماء ولا العصافير فى السماء ان تحاول سباقها مهما بذلت من محاولات :

مولاي يا بيت المعالي وركنها
«لك الصدر دون العالمين ولا قبر»

فان لك الذكر الجميل ميسرا
وليس يموت المرء ما حيي الذكر

واحييت احياء العلوم بنشرها
وكشف محياها فطاب لك النشر

وآباؤك الاشراف قوم تحافظوا
على نسبة زهراء دام بها طهر

---

(7) انظر القصيدة فى النفح ج 3 ص 45 وما بعدها ط 1 .

واخوالك الاحلاف قوم تحالفوا
على شيمة غراء قام بها فخر

ولما اطعت الله جهد استطاعة
اطاعك كل الخلق والبر والبحر

الى رياح النصر زفت مراكبا
جواري تجلى والقلوع لها ازر

يسابقها فى الماء حوت وفى السما
ء طير ، ولا حوت حكاها ولا طير

وفى شهر رمضان ارسل المولى سليمان للعلماء اعطية فقال شاعره حمدون مخلدا هذه المكرمة :

ايد الله هماما
به ثغر المجد باسم

وبطيب المدح فيه
طيب الله المباسم

انجلى فى رمضان
مخجلا جود النواسم

وكيفما كانت الحال فقد اضطلع شعر السيد حمدون ابن الحاج بتسجيل المراحل الحياتية للسلطان المولى سليمان ، واحصاء ما حفلت به اعماله من بطولات شتى فى مختلف الميادين ، كما انه استطاع ان يتفاعل مع الاحداث ، ويعبر عنها بعاطفة صدق متدفقة، وشعور متجاوب حي على الرغم مما قد يشوبه من تقريرية وخطابية فى بعض الاحيان ؛ ولذلك استحق هذا الشاعر تبوؤ الرتبة الاولى بين شعراء عهده ، وكان من الممكن ان تجتزيء به عن الباقي لو كان عنوان البحث « المولى سليمان من خلال شعر حمدون ابن الحاج » .

وهذا شاعر آخر هو الكاتب المتمكن ابو عبد الله محمد (8) بن ادريس العمراوي الفاسي نسبه من بني ادريس ، استقر اجداده فى بني عمرو من قبيلة زمور فنسبوا اليهم (ت سنة 1264) يقول همزية فى فتن فاس افتتحها بمقدمة غزلية جريا على الطريقة التقليدية للشاعر العربي القديم :

اعين العين للمحبين داء
والدوا فى شفاهها والشفاء

فاذا ما رمين سهما لصب
فالهوى قد هوى به والهواء

ونلاحظ ان الشاعر طفر طفرة محببة من غزله فعرج بالحديث على صفاته الحميدة كالجود والخلق الطيب ولسبه الكريم وفضله وكرمه المتناهي ورعايته للمعارف ، وهو بهذا قد زهت شخصيته بشمائل سامية جذابة :

ليس الا ابا الربيع ربيع
خلقه الجود والجدى والوفاء

ملك ملك العلا والمعالي
وسما فله الفخار سماء

نجدة المجد درة العقد من قد
راق من فضله السنا والسناء

نجل خير الورى وافضل من قد
ابانت بظهوره الانبياء

من اذا رجاه راج لسول
قبل حل الحبى اتاه الحباء

خلق دمثه وخلق بهي
فمه ذكي نوره ثغار ذكاء

كفه كفت الفساد وكفت
كل عاد فما له اكفاء

راحه راحة لكل فقير
بحياء تحيا به الاحياء

روضة راضت العلوم واكن
عرفها العرف والثراء الثناء

الى ان يقول باسطا ما قام به الغوغاء من الفتن عندما خلعوا ربقة الطاعة ، فاجترحوا ذنوبا عظمى من بينها القتل والسلب والنهب ، واولئك بفعلهم ذلك خانوا ذمة الاسلام لكونهم اعتدوا على الناس – اليهود – يعيشون فى كنف الامام يرعاهم امتثالا لاوامر الشريعة ، وهكذا انتهت الفتنة بقيام جنود الامام بما تفرضه عليهم المسؤولية . ثم دعا للامام بالسداد فى مهمته ، واعانته على اقامة الحق :

قتلوا سلبوا اضافوا وحافوا
ما تناهم عن القبيح تناء

ما رعوا ذمة ولا فعل ذم
بل عراهم من الحياء عراء

(8) انظر ترجمته بتفصيل فى ذكريات مشاهير رجال المغرب الحلقة 3 ط . تطوان للاستاذ كنون

نهبوا حارة اليهود وهدوا
دورهم وعرى النساء سباء

لو تراهم بين الرعايا عراة
يحتذيهم رجالهم والنساء

خفروا ذمة النبي فذموا
لعماء فلا سقاهم عماء

فعبيد الاله خير عبيد
قد كفى منهم الاعمام كفاء

حاربوا ضاربوا على الحق راعوا
ذمة الله لاعداهم علاء

يا اله الانام خذ بيديه
واعنه فقد عناه العناء

فينام الامن فى ظل امن
ورداه للماردين رداء

وعليه السلام ما سار سار
وشدت فوق ورقها الورقاء (9)

ثم نلتقي بعد هذا بشاعر آخر هو العلامة الطيب بن صالح الغماري الزريني يمدح المولى سليمان بقصيدة عصماء يفتتحها بالحديث ـ محتذيا نسق الشعراء القدامى ـ عن سفره والمتاعب التى لقيها فى ترحاله ليؤم امير المؤمنين :

كم بالصريمة من جديل عبقري
يفرى فلا يلوى على متعذر

قذفت به قذف النوى قلب الفلا
متعجرا ثوب الظلام الاعجر

ليؤم مولانا سليمان الذى
قال السماح عليه انى خنصري

ويشرع بعد المقدمة التقليدية فى المدح فيرى ان هذا الملك يعتبر بلا منازع مقلة المحجر بالنسبة لملوك الارض ، لكونه شخصية عظيمة متحلية بالثقافة والحلم ومحامد رفيعة ، وبالاضافة الى ذلك فهو مقدام بطل مغوار لا تراه الا ممتطيا صهوات الخيول ، وعندما يتاهب للحرب نراه يشمر عن ساق الجد لمجابهة الشدائد فى صلابة وبسالة منقطعة النظير :

هو فى ملوك الارض غير مدافع
فيهم بمنزل مقلة من محجر

علما وحلما فى مقام تحكم
وشمائلا تزكو بطيب العنصر

ما ان يرى الا بصهوة سابح
يمشي العرصنة او بصهوة منبر

ما زال يعتد العتاد مشمرا
من حزمه للحادث المتنمر

وامير المؤمنين خلال هيجان الحرب يبدو فى حماسته وقوته كالاسد الهائج القوي ، ورعيته لولاه ما عاشت فى ظل نعيم مستطاب من الانصاف والعدل والامن .

وبدا امير المؤمنين بمقنب
زجل كليث فى الهياج غضنفر

تحاذت رعيته به وتانقت
من عدله فى ظل عيش اخضر (10)

هذه هي سياحتنا مع شعراء المولى سليمان، ولو استرسلنا فى الحديث عنهم وعن اعمالهم لطال الكلام وتشقق ، وفى ذلك كفاية واي كفاية لاظهار مكانة هذا الملك العالم من خلال بعض اعمال شعرائه .

تطوان ـ محمد المنتصر الريسوني

---

(9) القصيدة اوردها صاحب الاستقصا فى ج 8 ص 144 وما بعدها . ط . دار الكتاب ـ الدار البيضاء 1956 وقد حذفنا منها بعض الابيات نظرا لطولها .

(10) القصيدة اوردها الاستاذ كنون فى كتابه « النبوغ ص 899 وما بعدها ط. 2 دار الكتاب اللبناني ، وقد حذفنا بعض الابيات منها لطولها .



الدهر عن وجه المسرة مسفر ... والحب يشرق والبشائر تغمر

والارض ترفل فى السعادة والهنا ... والجو مبتسم لها مستبشر

وعلت هتافات الثنا فترددت ... اصداؤها فى الخافقين تعبر

والشعب ملتهب العواطف مائج ... كالسيل فى افراحه متجمهر

طربوا لعيد العرش فانجرفوا له ... ولكلهم فرح به وتأثر

فاذا العواصم زينت فكأنها ... بيض عرائس حاليات تسحر

واذا دواعي الشعر تطرق دونما ... اذن وباعث قوله متوفر

فتزاحمت غرر البديع تريدني ... فاخترت اي وجوهها اتخير

وتناثرت درر القوافي لؤلؤا ... فتنافست فى العقد منها الابحر

فسبرت اقتنص اللآلىء ببحرا ... واخذت فى الفاظهن اجوهر

ومن البحور اخترت كاملها عسى ... يرضى بذاك الكامل المتبحر

ملك القلوب العاهل الحسن الذى ... يسمو به الوطن العزيز ويفخر

تلك المآثر والمحامد لم تزل ... فى كل اقطار البسيطة تنشر

فشدا بها الجيل المعاصر مطربا ... ومضى بها التاريخ وهو يخبر

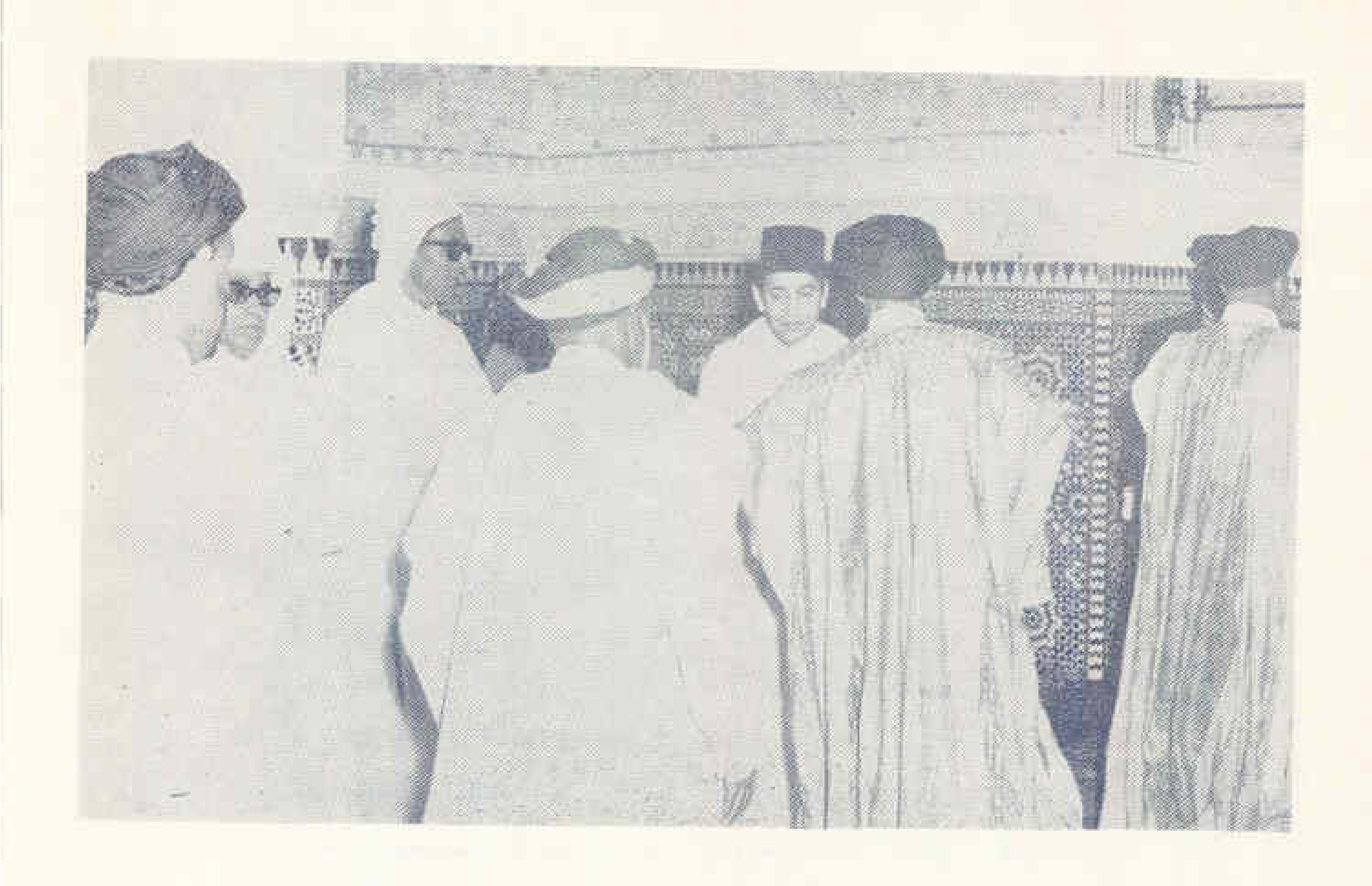
قل للملوك تقاصروا عن شأوه ... فالدهر مندهش له متحير

لا تتعبوا فى دركه وطلابه ... شأوا فذلك فى الحقيقة يبهر

مولاي يا حسن الفعال لك الهنا ... ولانت احرى بالثناء واجدر

حلى الزمان بمكرمات انها ... درر على وجه البسيطة تنشر

وازدانت الدنيا بها وتقلدت ... تلك السموط اللؤلئية تفخر
ولقد تضوع فى العوالم نشرها ... فاستنشقت ذاك الشذا تتعطر
بالامس اعلنها ابوك على العدى ... حربا مقدسة فقمت تكبر
حزت البطولة من ابيك محمد ... ارثا وكنت بجنبه لا تقهر
بالامس حاربت الجحافل صامدا ... فرمت بهم فى الجو ريح صرصر
بالامس ثرت الثورة الكبرى فما ... زالت بها افريقيا تتحرر
واهتزت الدنيا لامرك هزة ... يشقى بها الخصم العنيد ويذعر
ورايت ما منيت به افريقيا ... والعالم المتخلف المتعثر
ورايت فى الصحراء شعبك موثقا ... قد عاث فيه المعتدون وتبروا
وغدت تسود العالمين حضارة ... مجنونة وميوعة وتهور
فى القدس تنتهك المحارم عنوة ... وتعنتا ودم العروبة يهدر
فعلا نداء فى الشعوب مدويا ... شرقا وغربا بالخطورة ينذر
ما زلت تدعو المسلمين مناديا ... للوحدة الكبرى تسر وتجهر
حتى جمعت شتاتهم وجبرت ما ... قد كان من جمع العروبة يكسر
وجعلت مغربنا لذلك ملتقى ... ولنعم ذاك الملتقى والمحضر
فاذا انطلقنا للجهاد جهنما ... سوداء يصلى ويلها المستكبر
وتسعرت أرض العروبة ثورة ... وكسا جوانبها الملا الاحمر
عدنا بماضينا وتالد مجدنا ... ولنحن اقوى فى النضال واصبر
مولاي آخيت القلوب موحدا ... فاذا المحبة والمودة تغمر
واذا الشعوب جنوبها وشمالها ... دارت بهالتنا ونحن المحور
شرفت بك الاوطان وازدهرت وما ... زالت تطول كريمة تتبختر
سعدت بأفياء العدالة فازدهت ... فى ظل عرشك حرة تتطور
تسعى الى احيائها ونمائها ... وعلى تطورها تقوم وتسهر
مولاي فى الصحرا لعيشك شيعة ... حياك منها غائبون وحضر
غذيت بحبك فانتشت سكرا به ... ومضت به كلفا تزيد فتخمر
قوم عواطفهم تجيش محبة ... وتثور وجدا ان رأوك وتسعر
ولقد طووا احشاءهم وقلوبهم ... حبا عليك فانت فيها مضمر
ان يسمعوا لك فى النوادي خطبة ... قامت جموعهمو اليك تكبر
واذا راوا لك فى المجالس صورة ... هزت مجالسهم وضج المعشر
انا اناس لا نريد توسعا ... كلا ولكنا نثور ونثأر



عمت شعبك ان يناضل صامدا   فانساب كالاعصار وهو يزمجر

ورسمت منهاج الفداء فلم نزل   نرد الوغى مستاسدين ونصدر

فادامك المولى تؤيد دينه   وتوحد الاسلام فهو مبعثر

وتحرر الاوطان من ظلم العدى   فلقد عتوا وطغوا بها وتجبروا

وأدام مولانا الامير محمدا   يسمو ويعظم فى حماك ويكبر

محمد الكبير العلوي



الجيش المخزني في عهد الدولة العلوية

للأستاذ عبد الحق المريني

عناصـر الجيـش :

1 ـ القبائل المخزنية : كان الجيش يتالف من عناصر تدين بالطاعة للمخزن وهي القبائل الكبيرة كالشراكة والوداية والشراردة الخ ... ومن « الباخرة » العبيد الذين كانوا يتكون منهم الجيش الاسماعيلي . وكان على كل قبيلة من القبائل المذكورة ان تجعل رهن اشارة « المخزن » « رحى » من « المخازنية »اي الجنود الذين يتمركزون اينما استقر «المخزن» . فكان اغلب هؤلاء «المخازنية» يتمركزون فى ضواحي مدينة فاس عاصمة المغرب ومقر السلطة المركزية وعلى اطراف « المدن السلطانية » عاملة على اخضاع القبائل المحيطة بها .

2 ـ العسكر : كان تحت امرة « حكومة المخزن » « طابور » يضم 500 « عسكري » . ويحمل اسم « العسكر » وهو مجموعة من الجنود الذين يتجندون طول حياتهم لحماية المخزن سواء فى حالة الحرب ام السلم . ويدعون ايضا «المسترزقة» . وكانت اسماؤهم تحفظ فى «كناش» المخزن ويفرض لهم العطاء من بيت المال .

وقد كانوا متمركزين فى المناطق الرئيسية كمناطق فاس ومكناس ووزان وتافيلالت وتيزنيت ووجدة .. وكانوا يستعينون فى حالة حرب « بالنوايب » (نايبة : هلة عسكرية يقوم بها الخيالة) .

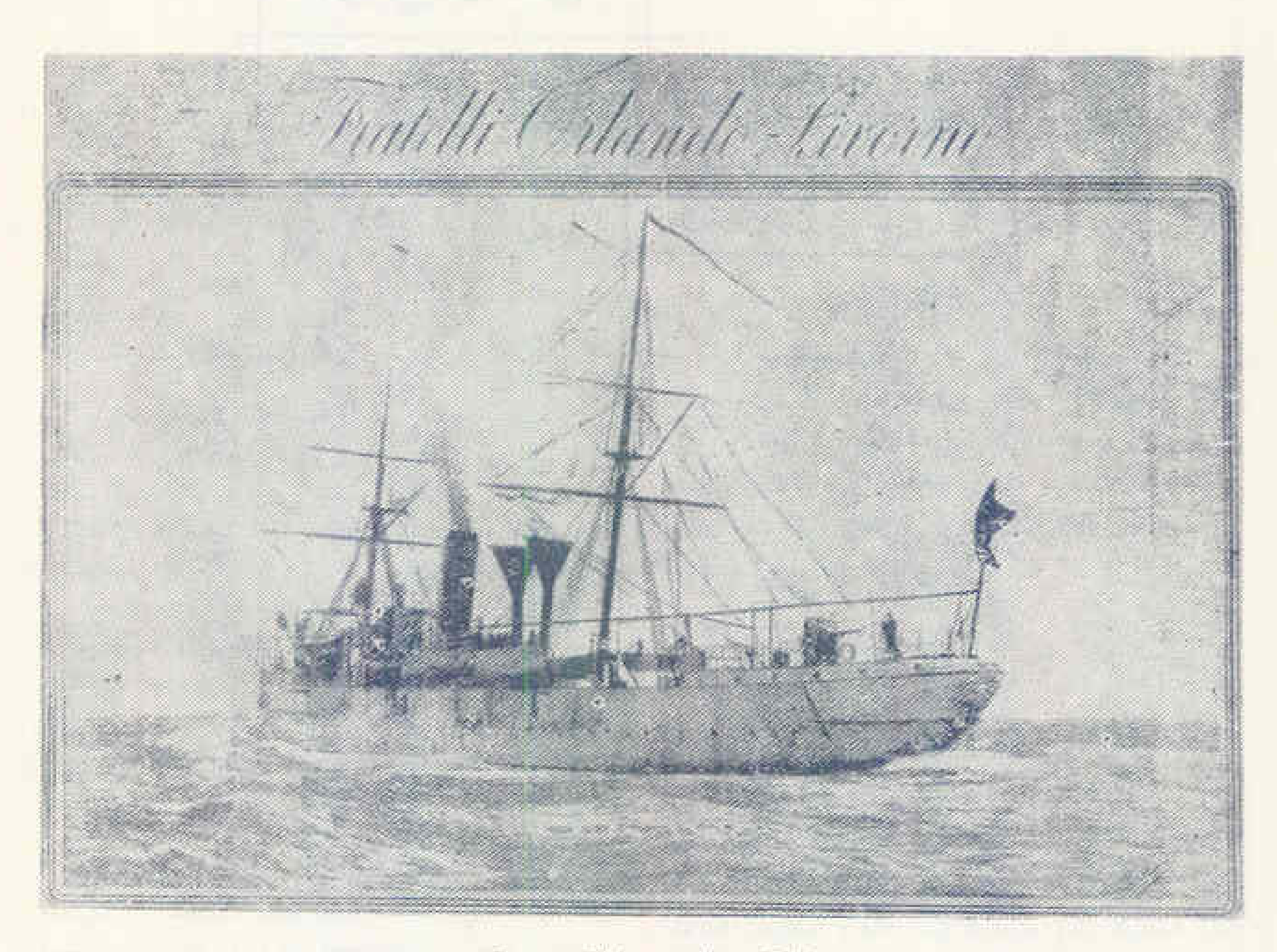
3 ـ المتطوعون : وهم الجنود الذين خرجوا من «التنقيد » كان عددهم فى الجيش «المخزني» يبلغ عشرين الفا فى صفوف المشاة وعشرة آلاف فى صفوف الخيالة واربعة آلاف فى صفوف المدفعية . وكان يعبر عن التطوع فى الجيش بالعبار الآتية : « كتب روحو فى الطابور » .

وحدات الجيش المخزني :

1 ـ عسكر المشاة : يتالف جيش المشاة من «العسكر» ومن «المتطوعين» وينقسم الى عدة «طابورات» . وكان لكل طابور (500 جندي) قائد يدعى «قائد الرحى» (كولونيل) وله خليفة . وتنقسم الرحى الى 5 « مئات » يقود كل واحدة منها «قائد المائة» (عريف) والمائة الى 8 فرق وكل فرقة (12 عسكري) يقودها «مقدم» (ضابط صف)

وكان كل طابور من هذه الطابورات يقيم بمدينة رئيسية كمراكش وطنجة ويحمل اسم المدينة التى يقيم بها . ما عدا طابور مدينة مكناس الذى كان يحمل اسم « عسكر العبيد » لكونه كان يضم رجال «الباخرة» .

وكان سلاحهم هو «المكحلة» و«الكوبيطة» و«تفالة» و«بوشويكة» وكانوا يدعونه «ليقامة الحرب» .



مسمى المركب البحري الماخر بـ :

« بشير الاسلام ، بخوافق الاعلام »

وكان زي جندي المشاة يتألف من كبوط أحمر او اخضر وسراويل ازرق و«بدعية» حمراء وشكارة من الجلد و«بلغة» صفراء و«شاشية» حمراء . اما ضابط جيش المشاة فكان يلبس بذلة مكونة من القميص والقفطان و«الفراجية» و«البرنس» و«التماك» وحزامة لحمل الرصاص . وكانت البذلة توزع بواسطة «قائد المخزنين» بمناسبة الاعياد.

وكان لجيش المشاة علم يسمى حامله «بالطراد» .

2 ـ الخيالة :

كان جيش الخيالة ينقسم الى « رحى » يبلغ عدد فرسان كل واحدة منها 300 وتنقسم هي الاخرى الى «محلات» في كل «محلة» 100 فارس يقودها «قائد المائة». وكان الخيالة يعززون جيش المشاة في حالة حرب لمهارتهم في فن الرمي . اما في حالة سلم فكانوا يوزعون على المدن المخزنية للقيام بدور «رجال الدرك». وكان 800 فارس من جيش الخيالة يصحبون « الموكب السلطاني » في حله وترحاله .

وكان قائدهم الاعلى هو قائد المشور الذي كان ملحقا بالصقر السلطاني . اما قائدهم في المدن فهو باشا المدينة وقائدهم خارجها قائد القبيلة . وكانوا يرتدون نفس بذلة المشاة . وكان سلاحهم هو « المزرقة » والسيف والسكين و«الكمية» و«السكوبيطة» و«الكابوس» .

3 ـ الطبجية :

كان جيش الطبجية (جند المدفعية) يتكون من المتطوعين ومن «الباخر» ومن بعض رجال القبائل . بلغ عددهم ما يقرب من 4000 «طبجي» . وكانوا موزعين على المدن الساحلية كطنجة والعرائش والبيضاء ورباط الفتح (معسكر النصر) والجديدة والصويرة . وكانوا يحمون السواحل المغربية من كل دخيل عن طريق البحر تحت امرة قائدهم «قائد الطبجية» . وكانت فرق اخرى من جند المدفعية موزعة على ابراج المدن الداخلية كفاس ومكناس ومراكش ووجدة .

وكانوا يستعملون في دفاعهم عن الشواطىء والمدن المذكورة مدافع ثقيلة من نوع 75 ورشاشات من نوع «مكسيم» وبطاريات . وكان يعمل في صفوفهم مهندسون تخرج بعضهم من اوربا لمساعدتهم في كيفية الرمي بالمدافع والبطاريات .

4 ـ القوات الاحتياطية :

كانت في كل مدينة فرقة عسكرية مسلحة تدعى «عسة» وهي مكونة من خمسين جنديا تسهر على امن السكان تحت امرة باشا المدينة . ففي النهار كانت هذه الفرق تحمي البنايات الرسمية وفي الليل كانت تقوم مقامها « دوريات » اخرى تسمى «بدوارة» تطوف في ازقة المدن لتحميها من المجرمين تحت امرة « قائد الدور » .

وكان فيلق آخر يدعى «المشورة» مؤلفا من 800 الى 1000 جندي يكون الحرس للمشور وللقصر الملكي بجانب فيلق « المسخرين » .

5 ـ القوة البحرية :

كان الاسطول المخزني يحتوي على عدة بواخر حربية منها :

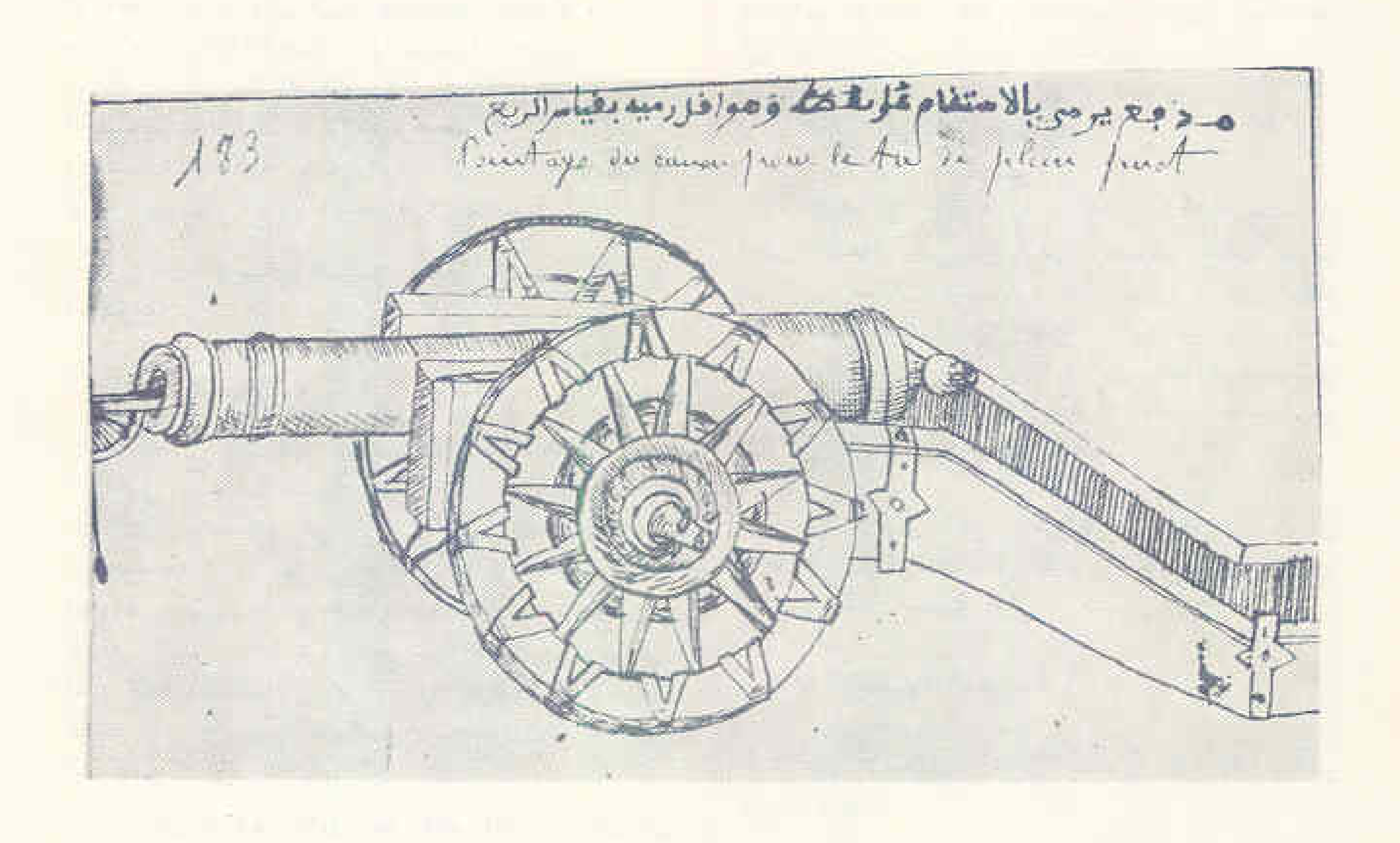
ـ **الحسني** : اشتراها المولى الحسن الاول من انجلترا سنة 1885 عدد بحارتها 40

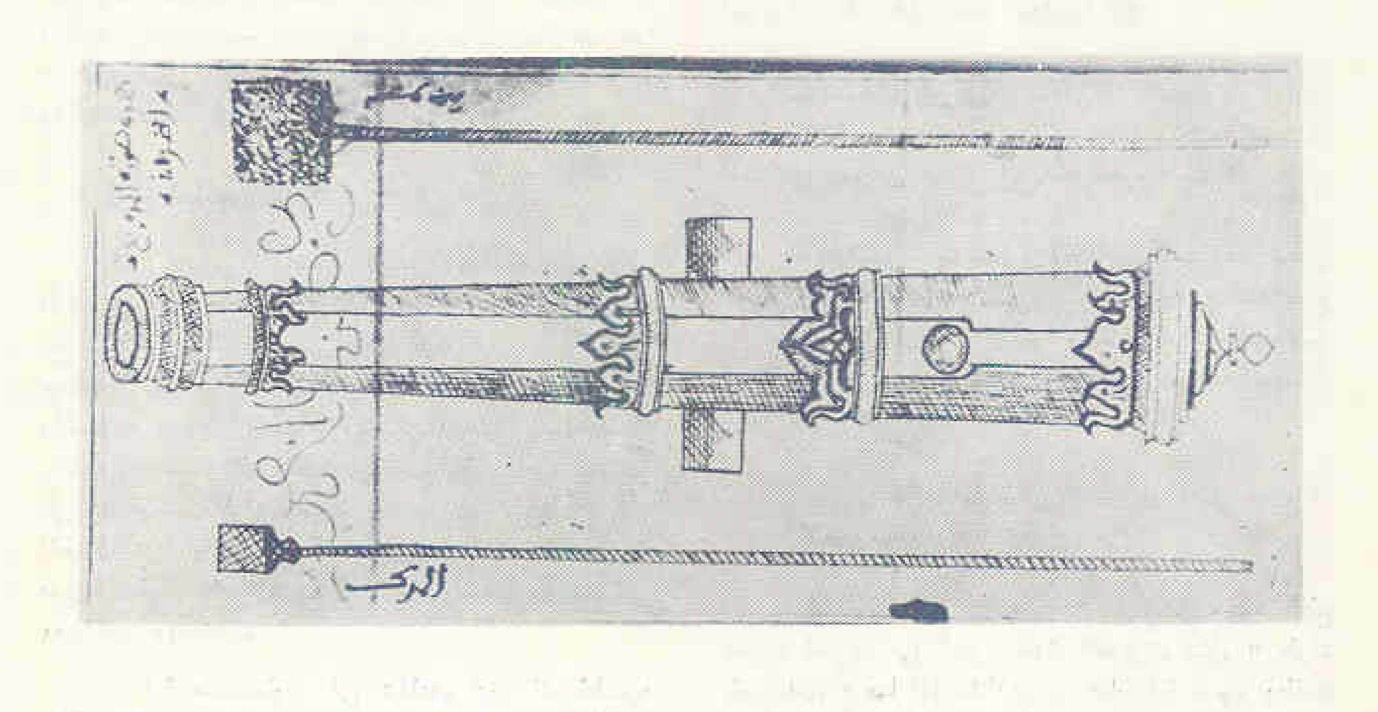
ـ **سيدي التركي** : اشتراها المخزن من المانيا سنة 1810 عدد بحارتها 20 وكانت راصفة بميناء العرائش لتموين مراكز الريف الحربية .

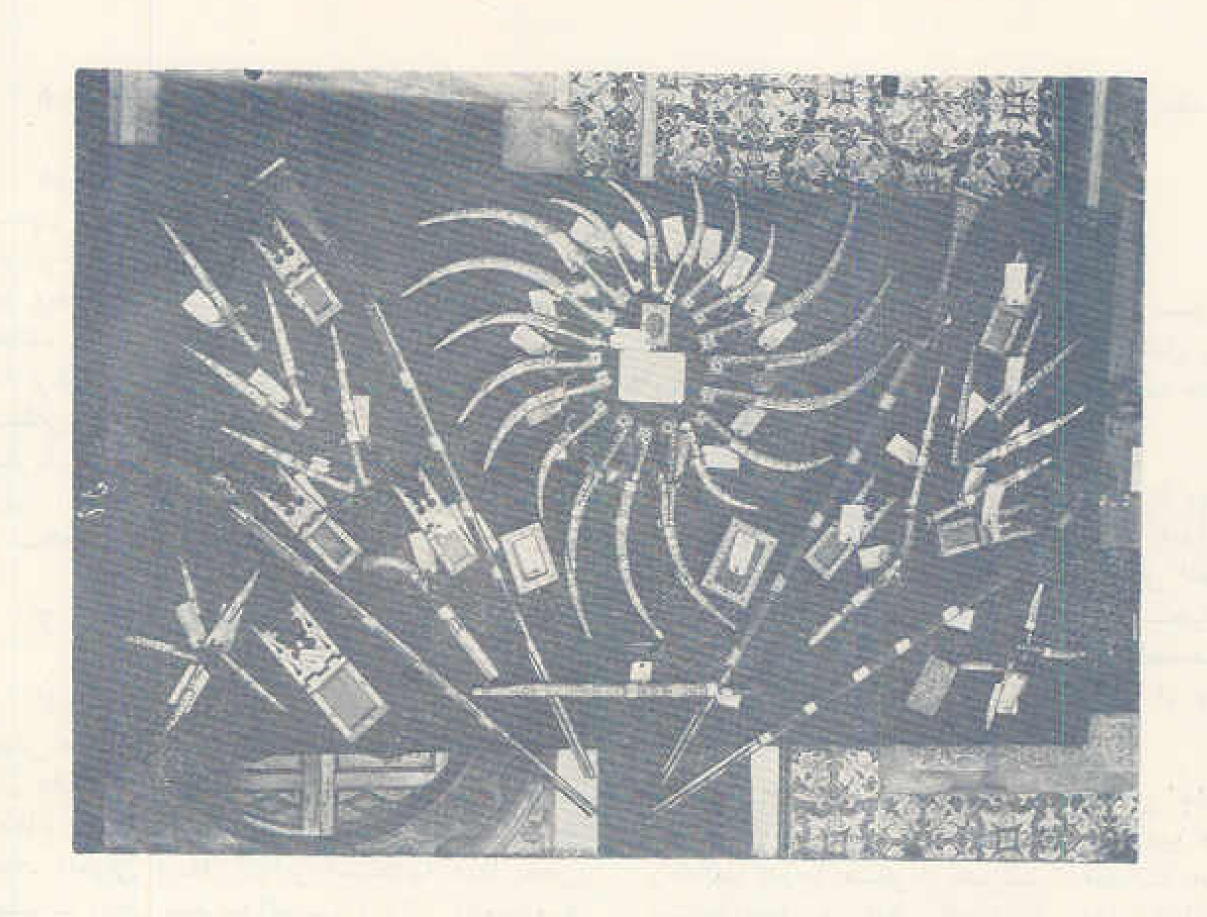
ـ **البشير** : صنعت في ايطاليا واشتراها المخزن المغربي سنة 1899 م وزودها بـ 22 من المدافع وبمائة من البحارة الرباطيين والسلاويين والطنجيين ليقاوم بها قراصنة الريف . وكانت راسية بميناء طنجة .

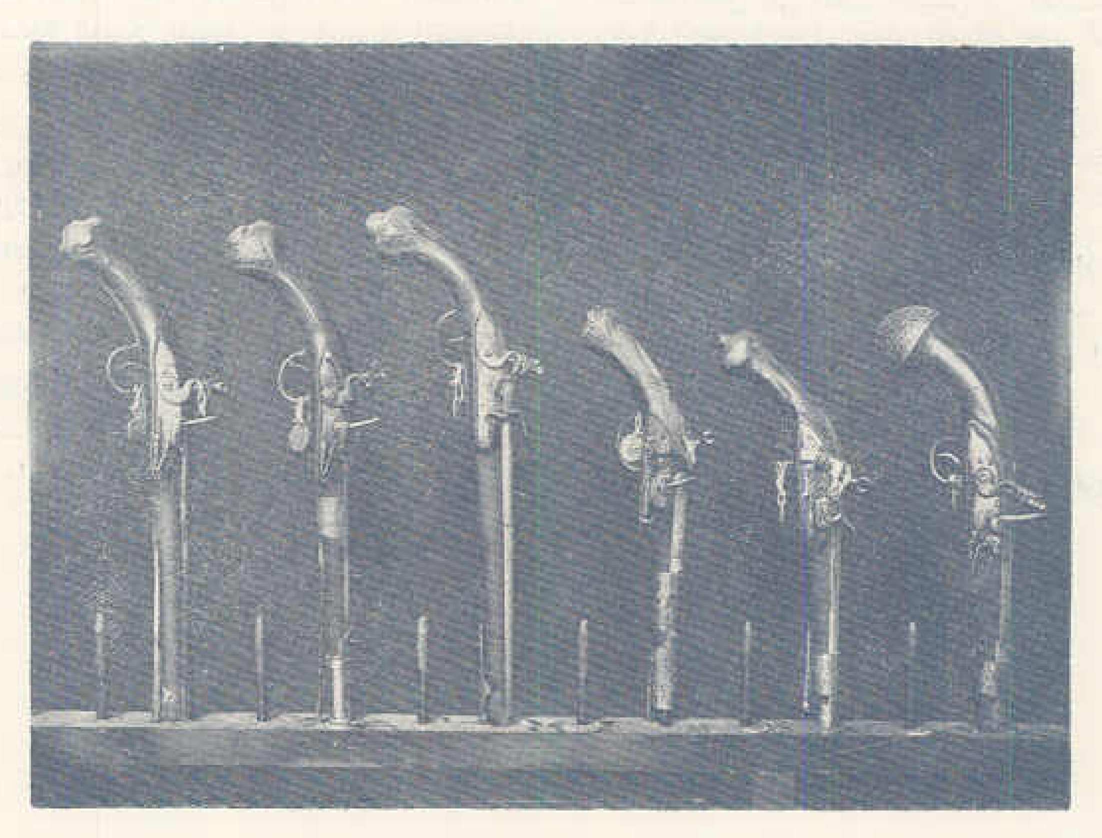
وكان ربانها المانيا يدعى «مثنى» وامين صائرها « عبد الكريم زيوزيو » التطواني .

وتحدثت بعض المصادر التاريخية عن وجود قطع بحرية اخرى في آخر العهد العزيزي مثل « طراد طوربيدي » بها 10 مدافع من عيار 12 سم. وبلغت حمولتها 2200 طن . ومثل « احسان » الخ ..









اسلحة مغربية

6 ـ الحرس السلطاني :

هم « خدمة السلطان من الجند العسكري » ويسمون «بطابور العبيد». ولهذا الطابور قائد يدعى قائد الرحى» وخليفة و«قواد المائة» وخليفة لكل واحد منهم ويدعى «الشاوش» ومقدمون (لكل مائة اربعة) وخلائف «للمقدمين» يسمونهم «الانياشي» (وهي كلمة تركية) و«علافان» و«علام» يحمل العلم الخاص السلطاني وهو من ملف احمر . وكانت فرقة عسكرية موسيقية تابعة للحرس السلطاني يبلغ عدد عازفيها الثلاثين تقدم الوانا من الحانها بالمشور عقب كل صلاة عشاء.

7 ـ قيادة الجيش :

كان يعتبر وما يزال السلطان هو القائد الاعلى للجيش فيشرف بنفسه على الحركات الهامة للجيش. وكان «العلاف» (مقتصد عام) بمثابة وزير للحربية والدفاع حيث يسهر على تموين الجيش وتزويده بالعتاد الحربي وينفذ الاوامر السلطانية فيما يخص التعيينات داخل صفوف الجيش . وكان «العلاف» يمسك سجلا للعسكر يشتمل على اسماء الضباط والجنود والمؤن المخصصة لهم .

وكان قائد الجيش بصفة عامة هو قائد «المشور» ويليه «قائد المحلة» الذي يشرف على قواد الرحى وقواد المائة والمقدمين ورجال الامن . ويعمل تحت امرة «قائد المحلة» كل من «قائد العسكر» وهو ضابط التموين «والزايط» الذي يكون مسؤولا عن الامن داخل صفوف الجيش وفرقه .

وكان ديوان السلطان العسكري ينقسم الى اربعة اقسام : « احدها فيما يختص من اثبات وعطاء والثاني ما يختص بالاعمال من رسوم وحقوق والثالث يختص بالعمال من تغيير وعزل والرابع ما يختص بيت المال » .

8 ـ تداريب الجيش واستعراضه :

كان الجيش المخزني يقوم بتمرينات عسكرية واستعراض امام « قائد الاعلى » في كل يوم اربعاء لمعرفة الحاضر من الجنود والمتغيب منهم وللوقوف على مدى تقدمه .

وكان السلطان يمتطي صهوة فرسه « ويتبعه وزراؤه واعيان دولته وجنوده حاملين للمدافع والمهاريس في موكب مهيب الى ان يصل الى المحل المعد للرمي والسباق» ويتلقون الجنود «الاستخبارات العسكرية الخاصة بكلمة السر» والاوامر الجديدة في شأن حمل السلاح واستعماله والتجول به او بدونه وما جد في عملية الهجوم الخ . .

وقد استدعى المخزن ضباطا فنيين اجانب ليساعدوا ضباط الجيش المخزني على تدريب جنود وحداتهم تدريبا عسكريا عصريا : فكانت بعثة اسبانية تعمل على تنظيم الجيش في مدينة طنجة وثانية انجليزية تدرب جيش الخيالة تحت امرة القائد « ماك لين » وثالثة ايطالية تسهر على صناعة الاسلحة بفاس تحت رئاسة كولونيل ايطالي ورابعة فرنسية تتعاون مع القيادة العليا لجيش المخزن لاعادة تنظيم وحداته تحت قيادة ضابط من رتبة كمندار .

وكانت مهمة «الجيش المخزني» كمهام الجيوش الاخرى تتلخص في حماية وحدة التراب المغربي واستعادة الثغور المغتصبة والمحافظة على النظام في مجموع المملكة المغربية .

الرباط ـ عبد الحق المريني



سيشهد التاريخ لأجيال متلاحقة أن اسرة ملكية عريقة ـ يتقدمها ملك جليل عظيم المكانة ـ خرجت من حياة الملك بهناءته الى حياة المنفى بقساوته ... قيادة للمواطنين الأحرار الراغبين فى تحرير المغرب العزيز ، فكان ان رسم الطريق امام احرار آخرين ليحرروا اوطانهم .

الجو افريقي حار لافح ، ولكن الرجل الاشيب اتخذ مجلسه تحت شجرة افريقية عظيمة غريبة الاسم من حيث استوى فى ارتخاء على كرسي وثير مصنوع من أعواد الخيزران ، قائم على نصف دائرة من نفس الاعواد وبذلك كان يتحرك أماما وخلفا فى تنعم وترفه، تعلو راسه قبعة كبيرة تغطي الجبهة والقفا ، وهي شبيهة بخوذات الحرب ، لولا انها من الخفاف المبطن بالثوب (الكاكي) ومن نفس الثوب اتخذ الشيخ قميصه القصير الاكمام ، وسرواله المتين وان كان الساقان والقدمان يغطيهما حذاء جلدي أسود لامع ومتين ، وفى اليد اليسرى كان يعبث بعصية انيقة ، بينما اليمنى تتامس القليون الضخم الذي احترقت فيه عدة علب من خالص التبغ وما زال صالحا للاستعمال .

وفى مثل هذا المجلس الهادىء لا بد وان تثور الذكريات فى نفس العجوز ، المسيو (بروطال) : لقد وهن منه العظم ، وجف الجلد ، وابيض الشعر ، وكل البصر ، ولم يبق سالما فيه الا الفكر وخفقات القلب وحاسة التذوق ... فهو منطقي التفكير حار التعبير، قوى الجدل ، صارم فى وجهة النظر لا يتنازل عن رايه بسهولة ... وهو كفرنسي قح يحب الجمال فى كل شيء ، فلا اشهى على نفسه من محادثة سيدة مهذبة ، جميلة المحيا ، رنانة الصوت ، تضعضع كيانه بمداعبة خصلات شعرها ، أو تتخلق امامه متحدثة بملامحها وحواجبها وأكتافها وبمقدمة صدرها ... ان يوما يتيسر له فيه مثل هذا اللقاء مع مثل هذه السيدة لهو يوم سعيد ، يضاف الى سجل الايام السعيدة الذي تحفل بها ايامه ، وما هي بقليلة ...

ما نسي ولن ينسى أيام (باريس) حين كان العمر فى اوجه ، والشباب فى روعة تفتحه ، واللذائذ يمكن أن تتصل ليلا ونهارا فى الصالونات والمقاهي والمسارح والحدائق الغناء النادرة ... لولا الحروب القظيعة التى تشتعل بين الحين والحين فتنهك الشعب الفرنسي وتذهب بزهرات مجتمعه . ان كل فرنسي ملزم بأن يحمل السلاح ويواجه الموت دفاعا عن الوطن وهو يرضى ان يحطم ويسحق فى اتم شعوره ولا يرضى لباريس ام العواصم ان تسحق وان تحطم ،

لقد سجنه الالمانيون واذاقوه مرارة المكر البشري ، ولما افلت من الاسر خرج راكبا باخرة من البواخر ، قيل له انها في طريقها الى مرفا (كوتونو) بالداهومي.

ارتحل دون ان ياخذ بالاحتياط لهذا الرحيل ، الذي ياخذ به ـ عادة ـ امثاله من الاوربيين الحاذقين، قد فاجاه كل ما في افريقيا : بيئة غير البيئة ، وشمس محرقة طالعة وغاربة ، لا اثر لصقيع ولا ثلوج ولا ضباب ، واشجار وحيوانات وبشر وطبائع وسلوك مخالف لكل ما يعرف ، لكن الخصب والنماء والدفء في كل مكان . والاربيون المهاجرون سمر السحنات، ضخام البطون ، كثيرو الاكل والشراب ، قليلو النفقات كثيرو الارباح ، ذهب عنهم انقباضهم واصبحوا سباقين للتعارف والتوادد ولذلك فوجيء بهم وهم يحسنون استقباله ، ويكثرون من الاحتفاء به واخذوه باتفاق مع حاكم البلاد ـ الى ارض تركوا له حرية تحديد القدر الذي يريد ان يملكه منها ، وملكوا له عشرين زنجيا وزنجية من الفتيان والفتيات ، وتركوه يفعل في هذه (الهبة) ما يشاء ..

يا ما احلى الذكريات !

لقد كان ذلك منذ خمس وثلاثين سنة ، يوم جاء وعمره خمس وثلاثون سنة ، بنى بيته ، استنبت حديقته ، وغرس الاشجار ، وشق مجرى المياه من النهر القريب ، وانشأ الحظائر لبهائمه ، واكواخا لعبيده وامائه ، وشرع يحرث ويبذر ويغرس ... فاذا الجانب الايمن من الضيعة العظيمة مغرس للبن ، والجانب الايسر مغرس للقطن . والبن والقطن يقبض ثمنهما من شركة التصدير وما زال الانتاج في براعمه.

وامعنوا في كرمهم فسمحوا له بالتوسع شرقا في ضيعته ، وامدوه بعشرين زنجيا آخرين مكتملي الرجولة ، اجرتهم اليومية لا تتعدى قوت يومهم ، مع بعض الاخشاب البالية لاشعال النار عند حفلات الرقص ، تلك الحفلات التي يستعد بها الزنجي بلباسه الخاص ، ويقبل فيها على الرقص والغناء الصاخب ، حائما حول النار مع اصدقائه ، وضاربا بكفيه على الطبل المزخرف بخطوط مستطيلة ومربعة ، الوانها من عصارة نباتات خاصة يعرف كيف يقتنيها من بين الاعشاب ... وتكون حينذاك سهرات صاخبة حول لهيب النار القاني ، وتحت سماء سطعت نجومها او استدار بدرها .

انما نفس المسيو (بروطال) تضيق وهو يرى هؤلاء الزنوج يتزاوجون ببساطة ، ويتوالدون بكثرة ، الى حد ان ضاقت بهم اكواخ الضيعة، فلم يسعه الان يسرح كل زوجة ولود مع ابنائها ويبقى الرجال الاشداء وتكرم الاخوان المبشرون والاخوات المبشرات بالعقيدة المسيحية في هذه الاراضي الافريقية فاخذوا الابناء والبنات ـ بعد اغراء امهاتهم ـ وراحوا بهم الى الاديرة لتعليمهم وتهذيبهم وهوايتهم . ما احسن ما فعلوا ، وياليتهم لم يفعلوا ! لقد علموهم اللغة العالمية العذبة، فعرفوا كيف يقراونها وان لم يعرفوا قط كيف ينطقونها ... ان المسيو (بروطال) ليعجبه ان يرى الزنجي قارئا للكتاب الفرنسيين ، ولا يعجبه قط ان يلقي عليه تحية المساء ، ان اذنه الرهيفة الحساسة لا تستسيغ ذلك مطلقا ... واحرز الاذكياء على الباكلوريا ، وذهبوا الى باريز ثم عادوا وقد قبضوا في اليد اليمنى على (الليسانس) وفي اليد اليسرى على غادة من الغيد الباريزيات خلابة بصباها وفتنة جمالها وروعة شقرتها .

كيف امكن هذا ، كيف امكن ؟ ان المسيو (بروطال) يغمض عينيه عند مثل هذه المشاهدة ، ويهتز عجبا وهو يسمع ان الزنجي ـ فلان ـ قد عادت به شقراؤه الى باريز وادخلته البرلمان الفرنسي كممثل لبلاده في المجلس الوطني .

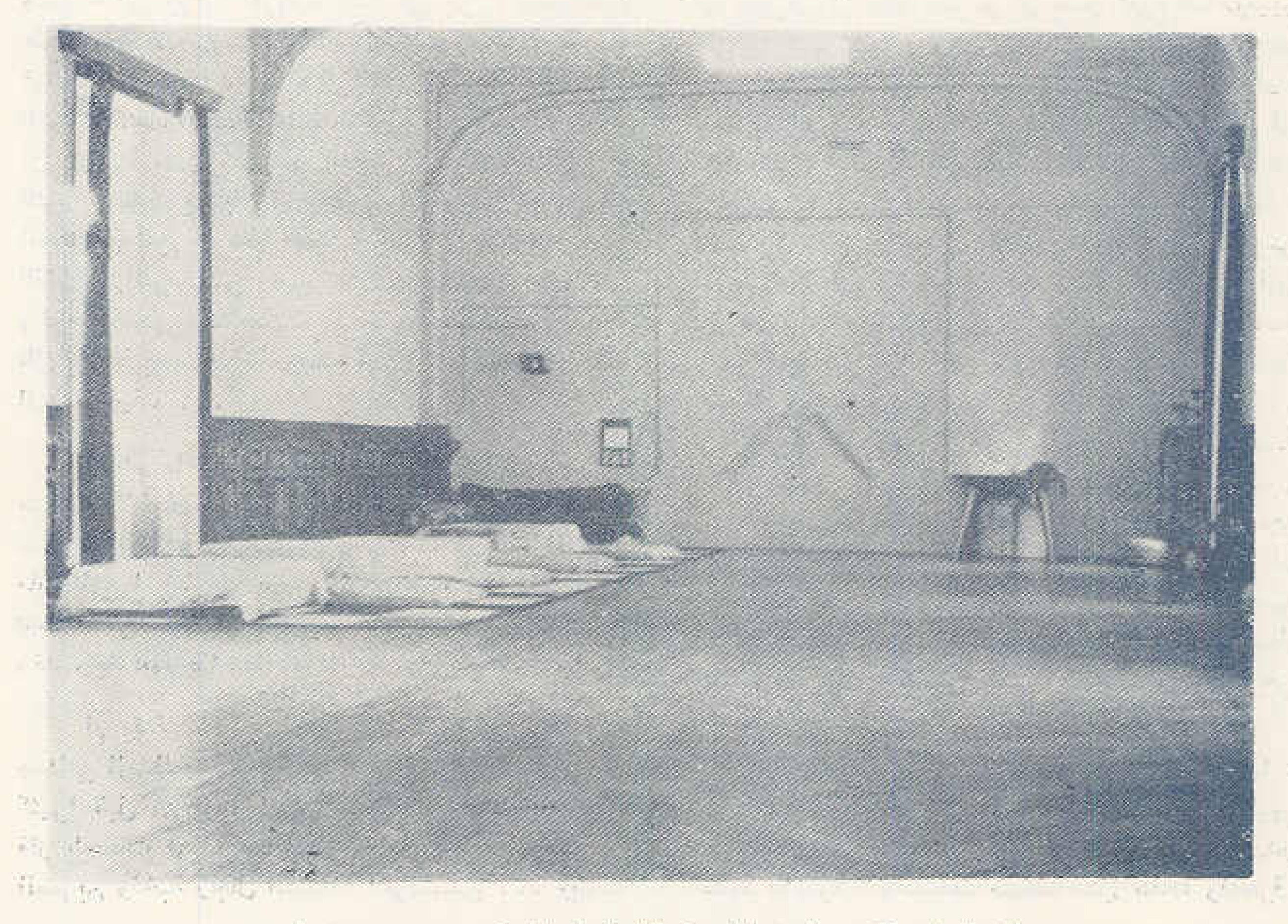
يستسيغ فكر السيد (بروطال) شيئا من هذا ، ولا يستسيغ البعض الاخر ، الا انه تربى على ان يحترم (الراي العام) في ارض الوطن ، حتى ولو جر هذا الراي العام البلاد الى ما فيه اخطار وبلايا .. الم يؤيد البرلمان نفي ملك المغرب محمد بن يوسف وابنه الحسن وعبد الله ، ولم يتمعن فيما يترتب عن ذلك من عواقب وخيمة .

واية عاقبة اخطر من الاقبال على الجرائد ، وعلى الاذاعات العالمية لتتبع اخبار المغرب ، البلد الافريقي الموجود في الشمال ، لقد كذب المسيو (بروطال) هذا لما بلغوه له ، ولكنه بعد جولته في الاسواق وبين كراسي المقاهي وفي بعض الاركان لاحظ ذلك بالفعل!

واكثر ما شاع هذا ـ قراءة الجرائد وتتبع الاذاعات ـ كان بين الداهوميين المسلمين ، ولو انهم يمثلون الجانب غير الغني ، وغير الواسع الثقافة ، فهم جانب من الشعب الداهومي المرموق الشديد التاثير .. ان منظرهم فاتن عجيب باعث على الاحترام عندما يذهبون لصلاة الجمعة زرافات ووحدانا ، في لباسهم الابيض الانيق الجذاب ، ومنظر الحجاج منهم جليل وهم يسيرون في ابهة وجلال وسط المجموع الى



جلالة الملك المرحوم وراء الاسلاك



القاعة التي آوت اليها الاسرة الملكية الجليلة وهي بالمنفى

الميناء للركوب نحو الحجاز ، ومنظرهم عامر بالمهابة والخشوع ، وهم يسيرون بلباسهم الابيض البراق وراء جنازة سائرة الى مرقدها الاخير ، ومنظرهم الاروع يكون يومي عيدي الفطر والاضحى — انهم يحملون حملات تلقائيا كل الداهوميين على مشاركتهم في عيدهم باعتزاز وافتخار .

ان هؤلاء المحمديين اصلب عودا امام الاحداث وتقلبات الايام ، انهم السابقون الى كل مقاومة ، والى منازلة كل خصم ، وهم القاهرون الغالبون دائما .. انهم يخشعون امام المقاومة بالمغرب ويكبرون من شأن اولئك الذين يهبون ارواحهم فداء لوطنهم ، ويودهم لو تسنح لهم فرصة اعتداء او هجوم ليفعلوا مثل ما يفعل الابطال !

وبقيت الحادثة — حادثة نفي الملك واسرته — تفعل فعلها في نفسه ، لانه بثاقب فكره كان يتوقع عواقب وخيمة ... وخيمة جدا . ولكنه شعر بالحقد والمرارة حينما علم — عن طريق عضو من البرلمان الفرنسي — ان الحكومة الفرنسية تنوي نقل الملك واسرته الى جزيرة افريقية نائية هي جزيرة (مدغشقر) فلم يسعه الا ان يتناول القلم ويكتب بصفته احد قيدومي المعمرين بافريقية الى المسؤولين في باريز .. ناشد الا تنقل العائلة المالكة المنفية الى ارض افريقية، ان الطائرة التي ستجتاز القارة الساخنة الدافقة النور ستكون بمثابة نسر عظيم يضرب بجناحيه العظيمين أديم الرمال الحامية فيثير غبارا في أعين القاطنين الفرنسيين وغير الفرنسيين فيعمي ابصارهم ويفوت عليهم مصالحهم ، في نفس الوقت يكون بمثابة ظل يستطيبه الافارقة ويحلو لهم (التحرك) في ظله الـــوارف ...

تعاظم ما بنفس المسيو (بروطال) وراح يتنشق الاخبار من كل جهة ولذلك اشترك في جميع صحف المغرب الفرنسية (بيتي ماروكان) و (لافيجي ماروكان) و (ماروك بريس) وكل هذه الصحف كانت تعطيه نظرة عن افكار الفرنسيين القاطنين بالمغرب ، وقد وجد أنهم حقا دعاة أقوياء عارفون بخطط أعمالهم .

لم يكتف بهذا ، فعقد العزم وقوى ارادته وسافر الى المغرب فزار مراكش وبني ملال ، وتردد كثيرا قبل أن يزور الدار البيضاء والرباط ، وهناك فاز بلحظات فريدة شارك أثناءها في مجالس كبار المعمرين ونخبة رجال الصحافة الفرنسيين ... وبذلك اخذ نظرة عن الحالة بالمغرب ورجع — بالتالي — غير مطمئن .

ان نظراته التي عمقها في أعين السكان المغاربة اكدت له ان المسلمين الافارقة البيض هم أيضا غير مستسلمين ، ان في اعينهم صرامة ، وفي افواههم المزمومة عنادا ، وفي ملامحهم العابسة علامات اللارضى ... فكيف يشعر القاطنون الفرنسيون بالاطمئنان ، ان فشل مخططاتهم الجريئة محتومة.. وهذا ما كان يتوقعه من بعيد .

وزاد في اعتقاده هذا ، وشدة مرارة ما يجد في نفسه ان الجزائر تحركت تحركا ثوريا مريعا ، ومعلوم — يا اسفاه — ان بجوار الجزائر توجد النيجر ، وفي حدود النيجر توجد الداهومي ... ان افكار المروق والتطلع لا تحتاج الى اذن ، لتتطفل على الاقطار المسالمة مثل النيجر والداهومي !

فكر المسيو (بروطال) في ان ينصح القاطنين الفرنسيين بالداهومي ان يكتتبوا لجمع قدر من المال تشترى به جميع الصحف الواردة من فرنسا ثم تطعم بها النيران.ان ذلك خير من ان يطلع القوم الداهوميين على ما كتب فيها ، ويتمعنوا باعجاب وتقدير ما فيها من صور مثيرة ... ان ربورتاج مجلة (الردار) وهو يمثل مقام محمد بن يوسف واسرته بالمنفى في ذلك البيت البسيط على لحاف رقيق ، بجانب مذياع عادي ... اشياء لا بد وان تفعل في النفوس فعلها ، وتبعث الكثير من التقدير والاعجاب والاكبار والتقديس لمن سلموا في المجد والرفعة والجاه الكبير وجاءوا الى المنفى ، وسلموا في القباب والرياض الرائعة وآووا الى بيوت بالية ، حجراتها بسيطة ، اراضيها الجرداء من حول ذلك محاطة بالاسلاك الشائكة ... ان الافريقي الصافي الذهن سيقوم بمقارنة سريعة ليدرك قيمة التضحية الوطنية ويتشبع بها ، ويهون عليه وهو ساكن الكوخ المفروش بالتبن واوراق الشجر المليء بالاثاث البسيط الرخيص ... يهون عليه أن يعد نفسه امثل هذه التضحية وهو يرى الاميرين الشابين وقد استبدلا فاخر الثياب بلباس بسيط كابسط ما يكون اللباس ... كل هول على الافريقي بعد هذا يهون !

ان صحافة (باري) تجاوزت حدود حريتها ، انها تفسد القوم على القاطنين الاوروبيين ، وتعطيهم (دروسا) على صفحاتها ... فتبا لحرية لا تقدر حدود الاضرار، ولتسقط صحف مثل هذه، ولتحرق

كل اسبوع وليذهب ثمنها في سبيل خنق انفاس الشيطـــان .

ولم يمنع هيجان (المسيو بروطـال) ولا افكاره المضطربة من ان يفكر في مشروع المزرعة المتفتحة على الشاطىء التي عول على انشائها مع ميناء خاص بها ، منه يصدر القطن والبـن الى ارض الوطن الام ، دونما حاجة الى ديوانة او اجراءات ... ان مزرعته لتبيح له بأن يفعل برزقه ما يشاء ، وله من العــزم والقوة والخدم والحشم ما به يفعل ما يشاء .

بات الليالي يقدر لمشـروع الميـناء الخـاص بالتصدير ، مقدرا له خمسين مليونا من الفرنكات بناء، وخمسين مليونا تجهيزا ، اما اليد العاملة التي ترفع الثمن عادة فهي رخصة رخص التراب .

وفي شأن اليد العاملة ــ التي يجب أن تكـون وافرة الى اقصى حـد ــ ذهـب الى الحاكـم العـام للداهومي وما راعه الا ان وجـده حانقـا ، ان افكـار الاهالي السود تبدلت ، وان فوارق الدين تضاءلت ، فالمسلمون اخذوا يعيدون مع المسيحيين،والمسيحيون يساهمون في ابتهاج في اعياد المسلمين ، واضحـت الرؤوس وامست تتقارب من بعضها ، وصـار هؤلاء يفيدون اولئك ، والعارفون بالاحداث الواقعة في اقطار افريقيا الشمالية يبلغون الى من لا يعرفون ، وكثـر الهمس والتناجي بقرب مرور (النسور) فوق ارض افريقيا في طريقهم الى المنفى الجديد، فاسف البعض ان تعتبر افريقيا منفى وهي ارض الخصب والنماء والخيرات والطيبوبة وحب الخير ، بل ان قلوب اهلها تعتبر اصفى قلوب على وجه الارض .. بينما فـرح البعض الاخر اذ تأوي افريقيا ابنا بارا من ابنائهـا ، يمثل شخصية اسلامية كبرى ، هي احسن مثـال يقدمه الدعاة لعموم الافريقيين ، ملك شريف النسـب، عرشه عريق في التاريـخ ، كان يعيـش في العـز والرفاهية ، ويتمتع بمحبة شعبه بلا استثنـاء ، كل احواله مستقرة لا انزعاج فيها ... هذا الملك يتقدم الصفوف المطالبة بالتحرير ، وتحمل تبعات هــذه الزعامة بما فيها من قسوة وآلام ، ينقل الى كورسيكا بلاد الجدب والجفاف ، ثم ينقل الى جزيرة افريقية منعزلة ... حقا انه نسر ونسر عظيم ، وبجانبــه نسور ، تطير في شمـوخ ، وتتوقـف في اعتـــزاز واقتـــدار ...

استفاض الحاكم امام المسيو (بروطـال) في حديثه ، وكأنه مجرى ماء كان محبوسا ، وتحمـس صاخبا ، بشكل لم يترك للزائر مجالا للتعليـق ... فبقي ساكنا على مضض ، يتحرك كأنه طور بيد ينتظر ملامسـة لينفجر .. ولما سكت الحاكم انطلق المسيو (بروطال) يقول :

ــ ان عملية نقل السلطان الى ارضنا الافريقية خطأ ما بعده من خطأ ، لقد كاتبت الحكومـة ولبعض اعضاء البرلمان ، وقلت لهم اننا بصفتنا اصحاب هذه القارة في معظمها لا نقبـل أن تمـر بأرضنـا طائـرة الوطنيين المنفيين ، مهما كان شأنهـم ، فاحـرى ان يكونوا امراء عريقي النسب من ذرية محمد . ان محمد ابن يوسف في نظر المسلمين ــ وحالتهم في الداهومي تعرفونها ــ امام من سلالة الرسول ، لهذا سيصبـر بمثابة (الامام علي) في نظر انصاره على مر التاريخ ! ان محنة هذا الرجل ستكون محنتنا نحن ، ان الناس ــ بعض سذاجهم اقصد ــ يعلقون عيونهم بالسماء ، متوقعين ان تمر طائرة المنفيين في سمائهم ، وبودهم لو يتحول اتجاهها نحوهم ، ليعظم شأنهم ، ويجـدوا ملاذا يتبركون به ، رغبتهم هي ان يصير بلدهم مقرونا بالتاريخ ما ذكر السلطان في التاريخ .

وعلق الحاكم :

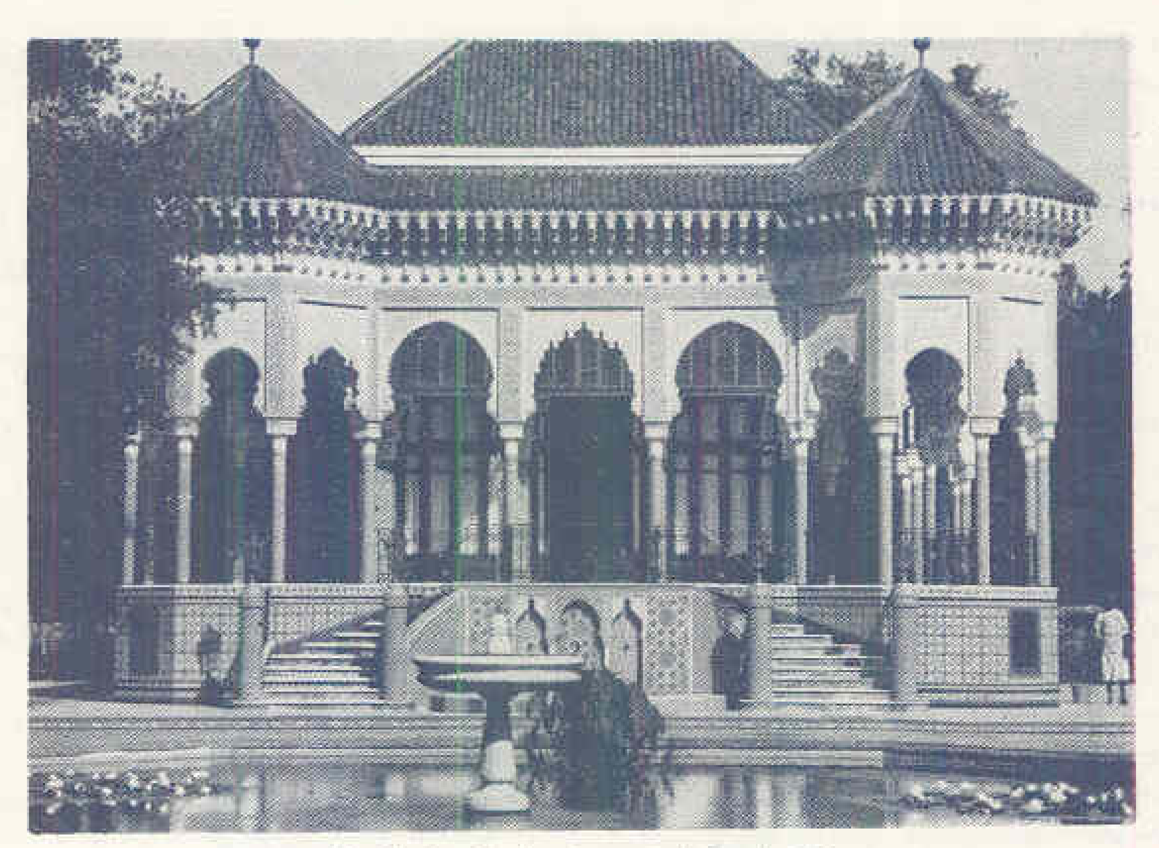
ــ والراديـو الملعـون ، ان الفلاحيـن ــ في حقولك يا مسيو بروطال هم ايضا يستمعون للراديو ، بالليل والنهار ، وهو يفعل في نفوسهم فعل السحر .

قال المسيو بروطال :

ــ اني بمجرد ما اضبط احدا منهم ومعه راديو الا وساطرده للفور .

رد الحاكـــم :

ــ الطرد لا يخفف المشكل بل سيضاعفـه ، سيصبح مطرودك صعلوكا ، فينعم بالاستمـاع بيـن الصعاليك ، وويل لنا يوم يستيقظ الصعاليك ... ان حادثة المغرب خطيرة وبعيدة الاثر ، اذ المغرب تاج في جبين افريقيا ، والمـاس بهذا التاج في نظر الافريقيين مساس بهم كلهم ... ان هنـاك حضـارة وعمرانا وتجارة وارباحا ، وحياة رافهة ومعرفة بفن العيش ، وهناك ديانة متينة ، وتصلبا في الدفـاع عنها ... لقد كان الافارقة يبحثون عن مثال فاوجدناه لهم،فهنيئا لنا بدهائنا السياسي ودهاتنا السياسيين!



قاعة استقبال بقصر دار السلام في الرباط ـ
الذي غادره محمد الخامس منفيا.

تصور ، ان ممثل الداهومي في البرلمان الفرنسي صار اوسع نفوذا مني ، لقد جاء الى هنا مرتين ، ومعه عادته الفرنسية ، ولم يات لأداء واجب الولاء ، وانما اكتفى بارسال بطاقة بسيطة فيها تحية مختصرة مع باقة ورد رخيص ... ومع ذلك لم يسعني الا ان اقبل الباقة والورقة ، وان ابلع الاهانة ... ولو تسرعت واهنته ، لاصبح زعيما ، ولست مستعدا لخلق زعامات ، ولا مستعدا لتوريط حكومتي ، انني موظف مسؤول ، اقدر مسؤوليتي ، ولو اضطررت الى مغادرة هذه البلاد فليس هنا ما اندم عليه .

وعبارة (ليس هنا ما اندم عليه ...) نزلت على راس المسيو بروطال نزول صخرة ضخمة ، اذ سرعان ما امتدت امامه خريطة الفسيحة الواسعة الاكناف النافذة على البحر ، وتخيل الميناء وهو يتحرك نشيطا تصديرا وايرادا ، والمال يتدفق على الصناديق بدون حساب ... فعاد الى اوراقه واخذ يشرح للحاكم ـ الذي لم يكن مهتما كثيرا ـ المشروع الجبار ومزاياه على صاحبه وعلى الداهومي .

قال الحاكم :

لقد تمر النسور في سماء افريقيا ، وتصفق باجنحتها فوق الرؤوس ، فيزداد المستيقظون تيقظا ويصحو الغافلون من غفوتهم ... انصحك أن توفر ملايينك الى حين .

قال المسيو بروطال :

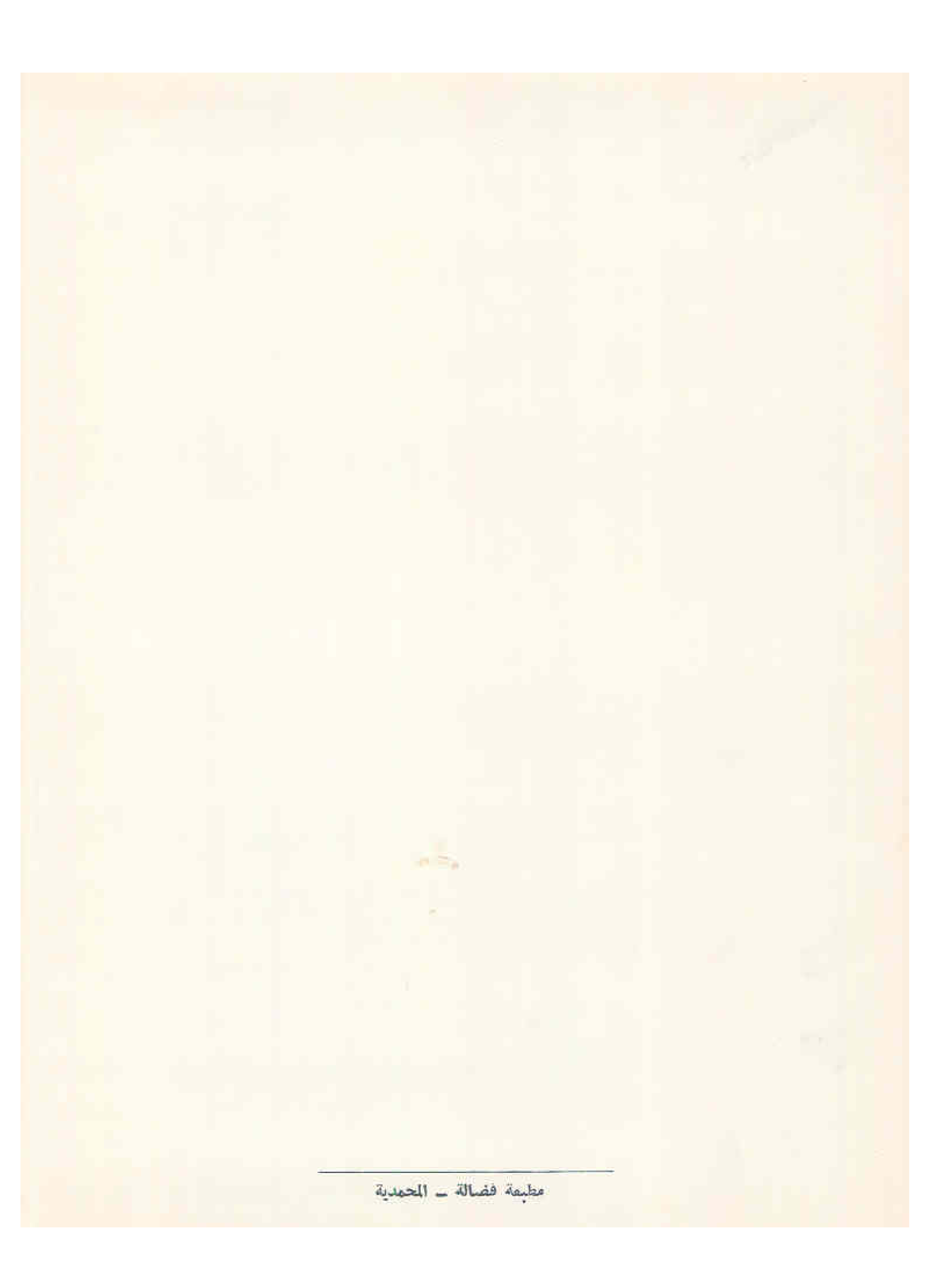
ـ سيدي الحاكم ، قد اضطر الى تصرف شخصي ، فمشروعي لا يحتمل التأجيل ولا الاهمال ، وداعا وداعا ... ...

سلا : محمد بن احمد اشماعو

فهـرس العـــدد الخـاص

صفحـة





مطبعة فضالة ـ المحمدية

مطبعة فضالة

